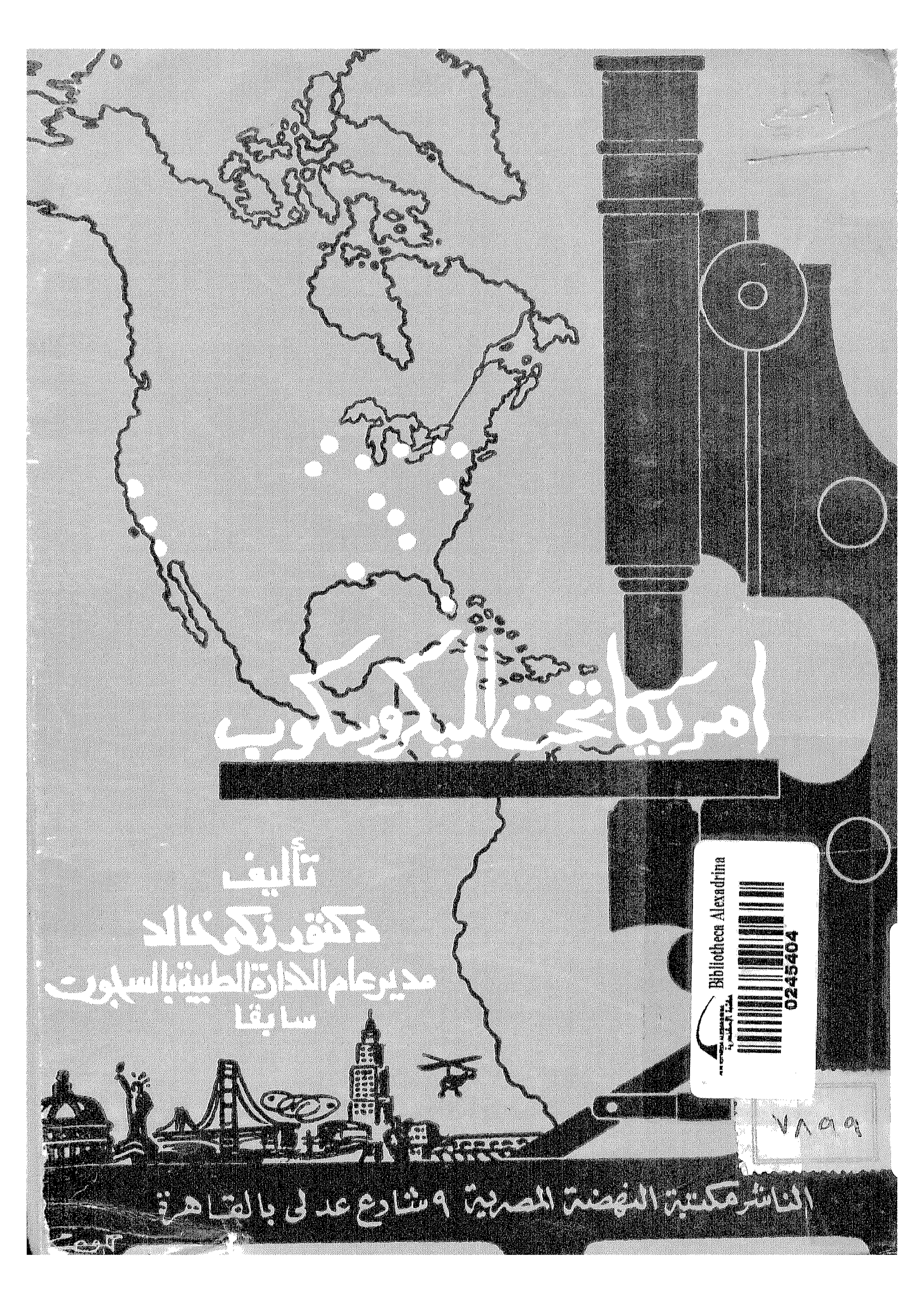


امريكا تحت الميكروسكوب
تأليف
دكتور زكي خالد
مدير عام الادارة الطبية بالسجون سابقا
الناشر مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلي بالقاهرة

أمريكا تحت الميكروسكوب

AMERICA UNDER THE MICROSCOPE

تأليف

الدكتور زكي خالد

Dr. ZAKI KHALED

M D., D.T.M.&H., D.P.H.

بكتريولوجي بحاثة بمعهد لستر بلندن

وبمعامل وزارة الصحة بمصر

مدير عام الادارة الطبية بمصلحة السجون سابقا

١٩٥٤

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عدت مع أولادى مساء الجمعة الرابع عشر من شهر مارس سنة ١٩٥٢ قافلين من السويس حيث كنا نقضى أجازة الويك إند . فوجدت فى انتظارى أسعد مفاجأة — تلك هى خطاب سلم باليد لمن كان فى المنزل هذا نصه :

وزارة الخارجية الأمريكية
السفارة الأمريكية

القاهرة فى ٨ مارس سنة ١٩٥٢

عزيزى دكتور زكى خالد

إن حكومة الولايات المتحدة ترغب فى تشجيع القادة المصريين فى مختلف ميادين النشاط على زيارة أمريكا حتى يشاهدوا بأنفسهم مقدار التقدم ويتموا تعارفهم الشخصى إلى زملائهم الأمريكيين .

ونحن نأمل أن يصبح فى الإمكان دعوة بعض أفراد قلائل لزيارة الولايات المتحدة لمدة تتراوح بين شهرين وأربعة خلال العام الحالى كضيوف على حكومتنا .

فإذا أمكن تنفيذ هذا البرنامج وإذا كانت هذه الفكرة تروق لك فنحن — نيابة عن السفير كافرى — نود أن نقترح إسمك ضمن القادة المصريين .

ويمكن القيام بالرحلة فى أى وقت خلال عام ١٩٥٢ ولكن الترتيبات النهائية لا بد أن تجهز قبل يوم ٣٠ يونيه .

فإذا كنت تريد أن نقترح إسمك فنرجو إعطاءنا الإستعلامات المطلوبة . وعند وصولها سنرسلها إلى واشنجتون سائلين عما إذا كان فى الإمكان عمل الترتيبات اللازمة لزيارة المعاهد والمؤسسات التى ترغب فيها حتى تصل إلى معرفة طرق البحث والأفكار الأمريكية فى الميادين العلمية التى تهمك .

وإنا نرجو مخلصين أن تهمك هذه الفرصة لزيارة الولايات المتحدة كضيف على حكومتنا إذ أن كلا من مصر وأمريكا سوف تستفيد من تبادل الآراء الذى تنيحه هذه الزيارة .

وإذا عنّ لك أى سؤال فإنى مستعد لذلك فى أى وقت تشاء .

وإنى فى انتظار رد عاجل منك .

المخلص

روبرت بيو
السكرتير الأول وضابط العلاقات العامة

وصدقنى أيها القارىء لقد وصلهم الرد عاجلا فطالما تاقت نفسى لزيارة أمريكا . لقد زرت بلاد أوروبا مراراً وتكراراً وعرفتها أما أمريكا فلا بد أنها تختلف عن كل ذلك . ولكن ما الحيلة وهى بلاد بعيدة جداً يكلف الوصول إليها الكثير وعملتها صعبة — بل صعبة جداً — ولذا كنت على يقين من أنه لا يمكن زيارة هذه القارة الشاسعة والإستفادة علمياً وأدبياً من مثل هذه الزيارة إلا إذا كان ذلك مصحوباً بدعوة رسمية بأى شكل من الأشكال .

وكانت الاستعلامات المطلوبة تشمل الدرجات العلمية التي حصلت عليها والمباحث الطبية التي قمت بها وأين ومتى طبعت . والجمعيات والمعاهد العلمية التي أنتسب إليها والبلاد الأجنبية التي زرتها واللغات التي أتكلمها وفوق كل ذلك المعاهد والأماكن التي أرغب في زيارتها بأمريكا وقد أجبت على ذلك بأني أرغب في التعرف إلى مدى التقدم في الطب وفي بحث ومعالجة الإجرام والجرائم وفي التقدم الزراعي ثم الإطلاع على الحياة الأمريكية الحقيقية .

قلت إني سارعت بالإجابة مسروراً بأن حلمي قد تحقق أخيراً . ولكني أصدقك القول أنه بعد إرسال الرد ابتدأ القلق يساورني ، إذ كيف أترك عملي بل أعمالي وعائلتي وأولادي مدى أربعة شهور طوال . ولكن كان الإغراء شديداً والجائزة كبيرة تستأهل المجازفة والتضحية ولذا أخذت أرتب الأمور على اعتبار أن رد واشنجتون سيكون بالقبول .

ولأسباب عديدة تأخر وصول الرد حتى شهر يوليه مع أني كنت أمني النفس بالقيام بالرحلة خلال شهور الصيف . ففي يوم ٢٤ من شهر يوليه سنة ١٩٥٣ وصلني الخطاب الآتي :

عزيزي دكتور زكي خالد (بك)

إني سعيد أن أتقدم لك باسم حكومتي بدعوة لزيارة الولايات المتحدة كضيف على حكومتها لمدة أربعة شهور .

وستعمل الترتيبات لتقابل القادة الأمريكيين في فروع تخصصك والفروع التي تهمك ولكن التفصيلات سوف تترك لرغباتك أنت الخاصة .

وإني لأرجو مخلصاً أن تتيح إقامتك بالولايات المتحدة الفرصة لزيادة

التفاهم المتبادل بين مصر وأمريكا وتعطيك فرصة الاستزادة من المعلومات في ميادين تخصصك .

وسيكون الدكتور جيمس كين الملحق الثقافي — سعيداً باعطائك كل التفاصيل الخاصة بزيارتك لو تفضلت بمقابلته في أسرع فرصة .

وإني أرجو أن تتقبل تهانئي وأحسن تمنياتي لرحلة ممتعة ومفيدة إلى الولايات المتحدة .

المخلص

جيفرسون كافري

وهكذا ترى أيها القارىء أن الدعوة وصلتني ونحن في أول (ثورتنا البيضاء) فكان هناك سقوط الملكية واشتعال الشعور الوطني وتتابع الأحداث الجسام ، فمنذا الذي يستطيع أن يترك وطنه في وقت يكتب فيه تاريخه الحديث المجيد ويطلب السفر لأمريكا مهما كانت رغبته عظيمة . كان لا بد أن أبقى وأن أقوم بدوري في هذا الانقلاب الشامل وأن أشاهد عن كثب هذه الأحداث وأن يطمئن قلبي . وقد كان من حسن حظي أن تأخر سفري إلى ما بعد الثورة فاني عند وصولي إلى أمريكا وجدت القوم هناك يعلمون الشيء الكثير — بل الكثير جداً عن مساوىء فاروق وعائلته وفضائحهم ولا بد أني كنت سوف أشعر بالحرج بل الخجل لو سافرت قبل ذلك وسئلت عن أحوالنا . أما الذي حصل فهو أني كنت فخوراً أينما ذهبت لأحكي لمن أقابلهم عن الثورة وما حققته وما سوف تحققه للوطن . وسوف تقرأ عن ذلك فيما بعد .

غادرت ميناء القاهرة الدولى فى الصباح الباكر جداً يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ على إحدى طائرات شركة الخطوط الجوية العالمية .T.W.A وفى الحق أنى لم أتردد فى اختيار الطيران كوسيلة للوصول إلى أمريكا بل إنى لم أستعمل فى تنقلاتى هناك سوى الطائرة ، إذ لا معنى لإضاعة الوقت الثمين فى وسائل الانتقال والأولى أن أصرفه فى مشاهدة المعالم التى أتيت خصيصاً لزيارتها .

وصلنا نيويورك بعد ٣٥ ساعة وبقيت فيها يومين للراحة قبل السفر إلى واشنجتون وزيارة وزارة الخارجية الأمريكية لبحث تفاصيل برنامج الزيارات . وفيما يلى البلاد التى زرتها والمسافة بينها فى الجو .

مصر	إلى	نيويورك (طريق باريس)	٥٧٠١ ميلا
نيويورك	«	واشنجتون	٢٠٤ «
واشنجتون	«	نيويورك	٢٠٤ «
نيويورك	«	بافالو	٣٩١ «
بافالو	«	ديترويت (ميشيجان)	٢١٨ «
ديترويت	«	شيكاغو	٢٣٦ «
شيكاغو	«	روتشيستر	٣٠٠ «
روتشيستر	«	أوماها (نبراسكا)	٤٠٠ «
أوماها	«	سان فرانسيسكو	١٤٢٥ «
سان فرانسيسكو	«	لوس أنجلوس	٣٤٥ «
لوس أنجلوس	«	سان ديجو	٢٢٠ «
سان ديجو	«	ميامى (بطريق دالاس) ونيوأورليانس	٢٣٥٥ «

ميامى	إلى	اتلانتا (جورجيا)	٦١٠	ميلا
أتلانتا	«	نوكسفيل	٣٠٠	«
نوكسفيل	«	شتانوجا	٢٥٠	«
شتانوجا	«	ليكسنجتون	٢٥٠	«
ليكسنجتون	«	واشنجتون	٤٠٠	«
واشنجتون	«	نيويورك	٢٠٤	«
نيويورك	«	القاهرة (عن طريق لندن)	٥٧٠١	«

وبهذا أكون قطعت خلال هذه الرحلة أكثر من ثلاثين الف ميل فى الجو .

وقد ذكرت لك أن خطاب سعادة سفير أمريكا فى دعوته الكريمة الموجه لى ذكر أن تفاصيل الرحلة ودقائقها سوف تترك لرغباتى الخاصة . وقد تركنى هذا الأمر فى شىء من الحيرة . حقيقة أن هذا سوف يعطينى الفرصة لاختيار زمان ومكان ما أريد زيارته ولكن ماذا تفعل فى هذه المملكة الشاسعة . لا بد أن يضيع منى بعض الوقت فى البحث عن اللوكاندات وحجز الأماكن والسؤال عن خير ما تجب زيارته الخ الخ . .

ولكن كان كلما مر الوقت كلما تأكدت أن هذه هى خير طريقة (لرؤية أمريكا كما يجب أن ترى) تراها بنفسك ولنفسك وقد أعطتنى فرصة فذة فى زيارة أماكن لم أكن قد فكرت فيها فكان كل من أقابله ينصحنى بزيارة مكان آخر يتصل بمطالبى ولا يكتفى بذلك بل يساعدنى فى عمل الاتصالات اللازمة وهكذا دواليك . وقد قابلت بهذا الشكل أشخاصاً يفوقون عدداً من كنت مزمعاً مقابلتهم عن الطريق الرسمى المرسوم . ولكن

هل كان ذلك ممكناً لو كنت فى بلد آخر غير أمريكا ؟ إننا نقول عن أنفسنا فى الشرق أننا طيبون — طبيعتنا سهلة — يسهل التعرف إلينا وإننا كرماء مضيافون . ولكنى أخشى أن الأمريكان ينافسوننا فى كل هذه الصفات : إنك فى أمريكا لست فى حاجة إلى التقديم والتعريف . بل ترى الجميع فى استعداد للتكلم إليك وإعطائك ما تطلب من المعلومات ويشرح لك الأمريكى دقائق عمله وصناعته حتى مسراته ومتاعبه يخبرك عنها .

وإذا كنت فى فندق فانك عند الرحيل تسمع الجميع يقولون لك (عد إلينا) Come Again وعند ما تقول لشخص أشكرك يقول لك مرحباً You are welcome فاذا كان الجواب من آنسة سمعته ملقياً اليك بصوت موسيقى حبيب .

* * *

لقد رأيت الكثير وقابلت الكثيرين وقمت ببعض الدراسات فى شتى الفنون ومع أنى ألقيت ثلاث إذاعات بالعربية ومحاورة بالانكليزية فى (صوت أميريكا) إلا أنى أشعر أن ما رأيته وما سمعته يستحق أن يلقى شيوعاً أكبر وأكثر دواماً . وهذا هو السبب فى تدوين هذه المذكرات وإعدادها للطبع .

وليس الغرض منها أن تكون دليلا سياحياً أو دراسة للمشاكل التى تواجهنا أو تواجههم ، وإنما الغرض منها نشأ من أننا الآن اتجهنا لإرسال رجالنا وشبابنا إلى أمريكا للدرس والدراسة كما أن الأمريكان عرفوا أهمية التفاهم المتبادل بين بلدينا . ولذلك رأيت أنه يحسن بشخص قضى أربعة شهور سائحاً فى تلك البلاد أن يصف لأبناء وطنه ما شاهد وما تأثر به . فاذا

قدر لهذه المذكرات أن ترى النور يوماً ما وأن يفيد منها أى شخص يزمع زيارة تلك البلاد العظيمة فسيكون ذلك مدعاة لارتياحى الكبير .

وقد سرنى بعد عودتى لمصر أن يصلنى خطاب من وكالة الأمن الفيدرالى Federal Security Agency قسم الصحة العامة خطاباً يذكرون فيه أنهم سعداء بأن يهدون شهادة الامتياز Certificate of Merit التى منحت لى بمناسبة زيارتى بعد أن تلقوا التقارير من مختلف المعاهد التى زرتها . ومع الخطاب شهادة فخمة ضخمة .

ولكن ربما ما اعتز به أكثر هو الخطابات التى تصلنى من روتشستر (مايوكلينيك) ومن أطباء بارك ودافيس وسان دييجو وشيكاغو وغيرهم من الأصدقاء الممتازين يسألون عن بعض المسائل الطبية المحلية وعن معلومات عامة أخرى وإنى لأرجو مخلصاً أن يتمكن الكثير منهم من زيارة مصر فى فرصة مقبلة لأرد لهم ما فى عنقى من دين .

واشنجتون

WASHINGTON

زرت واشنجتون مرتين فى أول وفى ختام رحلتى . وقد سبق لى أن قلت إنى لا أقصد من هذا الكتاب أن يكون دليلا سياحياً ولذا سأصف لك ما أعجبنى فقط .

ولا بد لى أن أخبرك إنه يجب عليك عند وصولك لهذه العاصمة أن تدرس خريطتها وألا لما أمكنك فهمها ولا العثور على الأماكن التى تبغى زيارتهـا .

ونظام الشوارع متماثل وجميل وتتفرع الشوارع الكبيرة من المركز الرئيسى الذى يمثله الكابيتول Capitol والبيت الأبيض White House والشوارع متوازية ومتقاطعة والمتجهة إلى الشمال والجنوب تحمل أرقاماً (١ — ٢ — ٣ وهكذا) أما المتجهة شرقاً وغرباً فتحمل الحروف الأبجدية (ا — ب — ج) ولكن الذى يفسد الصورة المتناسقة هو وجود شوارع كبيرة Avenue وترية Diagonal تحمل اسم المقاطعات الأمريكية . وتختلف واشنجتون عن العواصم الأخرى أمثال لندن وباريس وروما ، فهذه كلها « صارت » عاصمة للبلاد أما واشنجتون فقد « بنيت » وأسست لتكون عاصمة أمريكا .

والآن لنصف بعض المشاهد الهامة :

المركز الدولى بواشنجتون International Center

أحب أن أصف لك هذا المكان قبل كل مكان آخر مع أنه أصغرها

جميعاً ولكنه كان أول مكان ذهبت إليه وتعرفت فيه إلى نخبة من الأمريكان ومن غيرهم من زوار الولايات المتحدة من مختلف الشعوب ولا يقتصر الأمر على التعارف فقط بل تبادل الآراء فى شئون أوطاننا . ثم هم يلقون عليك أحاديث عن شتى وجوه الحياة فى أمريكا ولم تمكننى مشاغلى الكثيرة من حضور سوى الحديث الأول وشرح المتحدث فيه أصل كلمة Yankee « ينكى » فقال إن الهولنديين الأوائل كانوا ينطقون Eunglish بدلا من English ثم هاته انقلبت إلى Yankee ثم تطور الأمر إلى إطلاقها على الأمريكى بدلا من الإنجليزى .

وكذلك شرح أصل .O.K فقال إنه فى سنة ١٨٤٠ كان هناك تاجر إسمه فان بوارن وله إبن إسمه أولد كندرهوك Old Kinderhook ورشح الإبن نفسه لانتخابات الرئاسة وكان محبوباً . فكان الشخص يقابل الآخر ويسأله من ستنتخب فيجيب أولد كندرهوك ثم اختصروها إلى .O.K ثم صارت تطلق عندما يتفق إثنان على شيء مثل d'accord بالفرنسية .

وقد طلب منى فى ختام أسبوع الأحاديث أن أحضر وأتكلم عن ثورتنا العظيمة وما أتمته وما تعتزم إتمامه وسئلت عدة أسئلة من الحضور ثم تكرم رئيس الجلسة فتمنى النجاح والتوفيق لمصر وأضاف « هناك بلد آخر (يقصد أمريكا) سيتولاها جنرال آخر (يقصد ايزنهاور) وترجو أن تتقدم هى الأخرى على يدى قائدها الجديد » .

الكابيتول The Capitol

هذا هو أهم مبنى فى العاصمة ويقع على تل مرتفع وحوله حديقة

مساحتها ١٢٠ فداناً ويمكن رؤيته من أى جهة ألم أقل لك إنه المركز الذى تتفرع منه كل الطرق . وهو مركز التشريع الأمريكى منه تخرج شتى القوانين وتصدر أهم أمور سياسة الولايات المتحدة .

وتبهرك أبوابه البرونزية الضخمة بفنها الرفيع ومنها تدخل إلى الصالة الكبيرة الدائرية بقبتها المرتفعة حوالى ١٨٠ قدماً وعلى جدران هذه الصالة ترى ثمانية لوحات أربع منها تمثل التاريخ الأمريكى القديم والأربع الأخرى تمثل بعض حوادث الثورة الأمريكية . ومن هذه الصالة تدخل إلى صالة التماثيل المحتوية على تماثيل عظماء الأمريكان وبعض التماثيل المعنوية الأخرى.

ويجب أن تزور قاعة مجلس النواب وقاعة مجلس الشيوخ ولم يكن أى من المجلسين منعقداً وقت زيارتنا ولكننا أحسسنا برهبة المكان الذى تتخذ فيه القرارات الخطيرة .

ويلحق بالبناء مكاتب المجلسين ولكل عضو مكتب فخم ضخم له ولسكرتيره . وكل مبانى الكابيتول متصلة ببعضها ثم هناك طريق حديدى فى البدروم يركبه النواب والشيوخ عند ما يستدعون على عجل للتصويت أو لاتخاذ قرار هام .

مكتبة الكونجرس The Congress Library

وهذا مبنى فخم على طراز النهضة الإيطالى مكون من ثلاثة أدوار على مساحة قدرها أربعة أفدنة ومع ذلك تجد كل زاوية وكل ركن منه ساطع الضوء نظراً لوجود ألفى شباك للبناء .

وهو قريب من الكابيتول وفى الجهة الشرقية منه ويحوى ذخراً ثميناً

(لا يقدر بثمن) من المطبوعات والمخطوطات النادرة والمعلومات القيمة قوامها أربعة ملايين ونصف كتاب تشغل نحو خمسين ميلا من الأرفف ومع ضخامة هذا العدد فأنت واجد أى كتاب تريد بالسرعة التى تجد بها كتابك فى مكتبتك الشخصية . ولا بد أن أذكر أن نواة هذه المكتبة العظيمة كانت مجموعة الرئيس توماس جيفرسون .

والدور الأرضى مشغول بالمكاتب والرئاسة ثم غرف القراءة للمكفوفين .

ثم ترى السلم المرمرى الفخم الذى يقودك إلى الدور الأول حيث غرف المطالعة العامة والخاصة — وأقصد بالخاصة تلك التى يستعملها من يريد الإنفراد للإطلاع على المخطوطات أو المجموعات النادرة . وكذلك من يكون مشتغلا بإعداد بحث أو رسالة فتخصص له غرفة خاصة يستعملها طالما شاء . وربما كانت أثمن تلك المخطوطات هو وثيقة إعلان الإستقلال Declaration of Independence وكذلك دستور الولايات المتحدة Constitution

وهما محفوظتان ومعروضتان فى أدراج زجاجية للإطلاع عليهما .

(ملحوظة) منذ ثلاثة شهور رؤى نقلهما وحفظهما بعيد عن الضوء خوفاً عليهما من التلف .

مكتبة فولجر شكسبير التذكارية : Folger Shakespeare Library

هذه قريبة من مكتبة الكونجرس وقد أنشأها هنرى فولجر لتضم مجموعة الشاعر الإنجليزى العظيم وبعض آثاره ولذا تجد المبنى من الداخل على طراز عصر الملكة اليصابات وبه غرفة عرض الآثار وكذا مسرح صغير .

المحكمة العليا The Supreme Court

وهذا أيضاً قريب من الكابيتول وعلى الطراز الإغريقى الكورنثى. بأعمدته الضخمة من الرخام وكذا جدرانه وأرضيته . وقد كان لى حظ حضور إحدى جلسات المحكمة العليا تحت رئاسة القاضى فنسن الرئيس الأعلى وكل شىء حولك يوحى بالإحترام للقضاء .

ثم يحوى البناء مكتبة قضائية كبيرة وغرفة للقراءة وطبعاً مكاتب القضاء ومكاتب الموظفين .

البيت الأبيض The White House .

هذا هو أهم مبنى فى العاصمة بعد الكابيتول وحوله حديقة غناء ولا يبعد كثيراً عن نهر بوتوماك The Ptomac River

ولا بد لك أن تزوره على الأقل لترى المكان الذى سكنه كل رؤساء الولايات المتحدة (ما عدا أولهم) فهناكم اجتمع عظماء وسياسيون وصحافيون وكم اتخذت قرارات خطيرة طول القرن ومع ذلك لا ترى فى الخارج ولا فى الداخل ذلك البذخ الذى يميز مثيلاته فى البلاد الأوروبية سوى الصور الجميلة والنجف الفخم والأبسطة الثمينة والستائر الغالية .

وكان الرئيس جون أدامس أول من سكنه سنة ١٨٠٠ ثم احترق المكان أثناء الحرب سنة ١٨١٤ ثم أعيد بناؤه وسكنه الرئيس مونرو سنة ١٨١٧ وكان لونه سنجابياً فى الأصل ولما اسودت جدرانه من الحريق طليت باللون الأبيض لتخفى آثار الحريق ومن هنا اشتق اسمه .

مصلحة الطباعة والحفر Dept. of Printing and Engraving

ترى هنا أكبر آلات للحفر فى العالم وأدقها إذ أنها تطبع كل أوراق البنكنوت والسندات وطوابع بريد الحكومة الأمريكية وتتخذ احتياطات غير عادية لعدم الوقوع فى أى غش أو خطأ كما أن الألواح التى تستعمل فى طبع البنكنوت يحافظ عليها محافظة شديدة وترى فى كل دور ممرات علوية خاصة يشاهد منها الزوار عمليات الحفر والطبع لكل ذلك .

مصلحة العدل Dept. of Justice

زرت هذا المبنى مرتين : الأولى لأقابل السادة مستر بنيت Mr. Bennett المدير العام للسجون والإصلاحيات والمستر مولر Moeller مساعده وكذلك الدكتور كرومباجل Dr. Krumbigel المدير العام للخدمات الطبية وذلك لرسم برنامج زيارتى لبعض سجون أمريكا ومعاهد الإصلاح وقد تكرم هؤلاء السادة بإرشادى لكل ما أردت ولم يكتفوا بذلك بل كتبوا خطابات توصية عن شخصى الضعيف وأرسلوها للقائمين بشئون تلك المعاهد وكنت أينما ذهبت ألقى ترحيباً حاراً ومساعدة قيمة ولا شك أنه كان لما كتب فى هذه الخطابات شأن كبير فى هذا الترحيب وهاته المساعدة .

والمرة الثانية كانت لزيارة مكتب البحث الجنائى الفيدرالى Federal Bureau of Investigation المعروف باسم F.B.I. وهو الذى يشهر الحرب العوان على الجريمة والمجرمين وقد شاهدت مجموعة ضخمة جداً من الآلات العجيبة التى استعملت فى ارتكاب الجرائم وعلى كثير منها اسم من استعملها وتاريخ استعمالها . كما أن قسم البصمات يضم الملايين والملايين ويزيد عدد البصمات التى تضاف يومياً بمعدل ٢٧٠٠ فى اليوم ! !

وزارة الزراعة Dept. of Agriculture

لا أريد هنا أن أصف لك البناء ولا محتوياته وإنما أذكره لأخبرك أنى أثناء رحلاتى رأيت العجب فى التقـدم الزراعى ومحاربة الآفات وحفظ الأغذية والفواكه والحيوانات والمواشى الخ . . وكنت متلهفاً للاطلاع على أبحاث خاصة بشيء من هذا القبيل ، فقيل لى اتصل بوزارة الزراعة فطلبت كتالوجها فوجدته محتوياً على كل ما يخطر على البال وكذلك على ما لا يخطر على بال . أتريد مثلا : رسالة عن إصلاح ماكينات الخياطة ورسالة أخرى عن كيفية تفصيل ملابس السيدات وخياطتها . ستضحك ولـكن كم فائدة هذه الرسائل لمن يكون فى مزرعة نائية بعيدة عن كل عمران .

(ملحوظة) كتبت فى طلب بعض هذه العجالات فجاءتنى برجوع البريد.

البنتاجون The Pentagon

ربما كان هذا أعجب مبنى رأيته وهو مخصص لمكاتب وزارة الدفاع ويقع فى الجزء العسكرى من واشنجتون على نهر البوتوماك من جهة فرجينيا وأعتقد أنه أكبر مبنى للمكاتب إذ أنه يضم ثلاثين ألف موظف فى شتى فروع وزارة الدفاع ، ولا يمكنك أن تدخله إلا بإذن خاص ولعمل خاص . وقد تفضل صديق الـكابتن دى ويت هامبرجر بالطواف معى به وتقديمى لبعض أصدقائه الأبطال خصوصاً الريراميرال أوستن مدير العمليات الحربية وكانت لنـا مباحثات مفيدة عن الشرق وخاصة عن مصر والعلاقات المصرية الأمريكية .

وقد تم إنشاء البنتاجون فى أقصر وقت ممكن أثناء الحرب العالمية

الثانية وتم فى أول سنة ١٩٤٣ ويشغل مساحة ٣٤ فدان وبه ١٨ ميلا من الطرقات الداخلية corridors وهو مكون من خمسة أدوار وبدرومين أى خمس حلقات حول حوش أوسط ثم تتفرع من الوسط عشرة طرقات كأباسيط العجلة spikes of wheel ويمكن أن يوضع مبنى الكابيتول فى أى من هذه الخمسة أقسام ومع كل هذا الإتساع فإن أقصى مسافة بين أى غرفتين (فى طابق واحد) لا تزيد عن ١٨٠٠ قدماً نقطعها فى ست دقائق على أكثر تقدير. وهذا عمل باهر وفن عظيم.

ثم هناك نظام مدهش من خمس طرق طولها ثلاثون ميلا توصل إلى البناء فلا يحدث أى اضطراب فى المواصلات.

أما البدرومات فمخصصة لأمكنة الطعام وحوانيت البضائع المختلفة والبنوك وهذا أمر ضرورى إذا لاحظنا أن سكان هذا المبنى الضخم ليس لديهم وقت يشترون ما يحتاجون إليه من الخارج ولذا فهم يشترون كل ما يريدون من الداخل.

الآثار والتماثيل

تذكار واشنجتون The Washington Memorial

أو مسلة واشنجتون

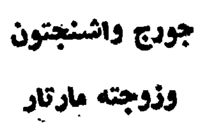
إن فكرة تخليد ذكرى جورج واشنجتون نشأت فى نهاية حرب الثورة ومع ذلك لم يوضع الحجر الأساسى إلا فى ٤ يوليه سنة ١٨٤٨ ولم يتم إلا بعد ٣٦ عاماً وربما كانت هذه المسلة الرخامية أعلا مثيلاتها إذ تبلغ ٥٥٥ قدماً ولها طرف مدبب مغطى بالألومينيوم ويمكنك الصعود إلى غرفة



المؤلف اثناء زيارته معهد الابحاث الطبية للبحرية وعلى يمينه مدير المعهد الدكتور كيلرن
وعلى يساره الدكتور فيلبس

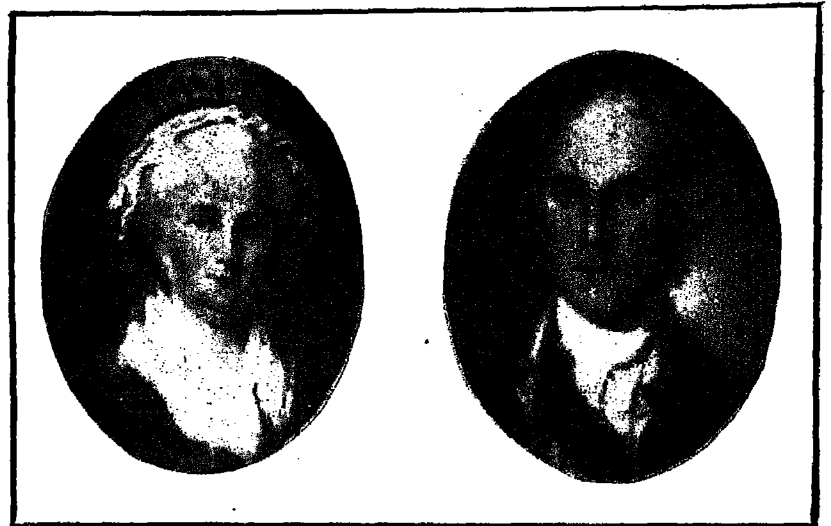


مدفن واشنجتون



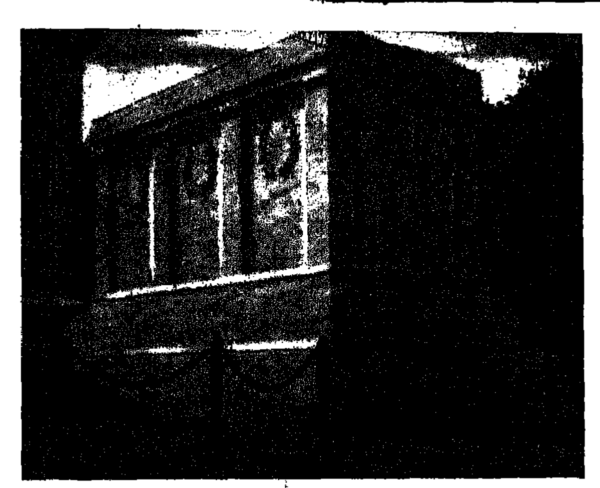
جورج واشنجتون

وزوجته مارتا

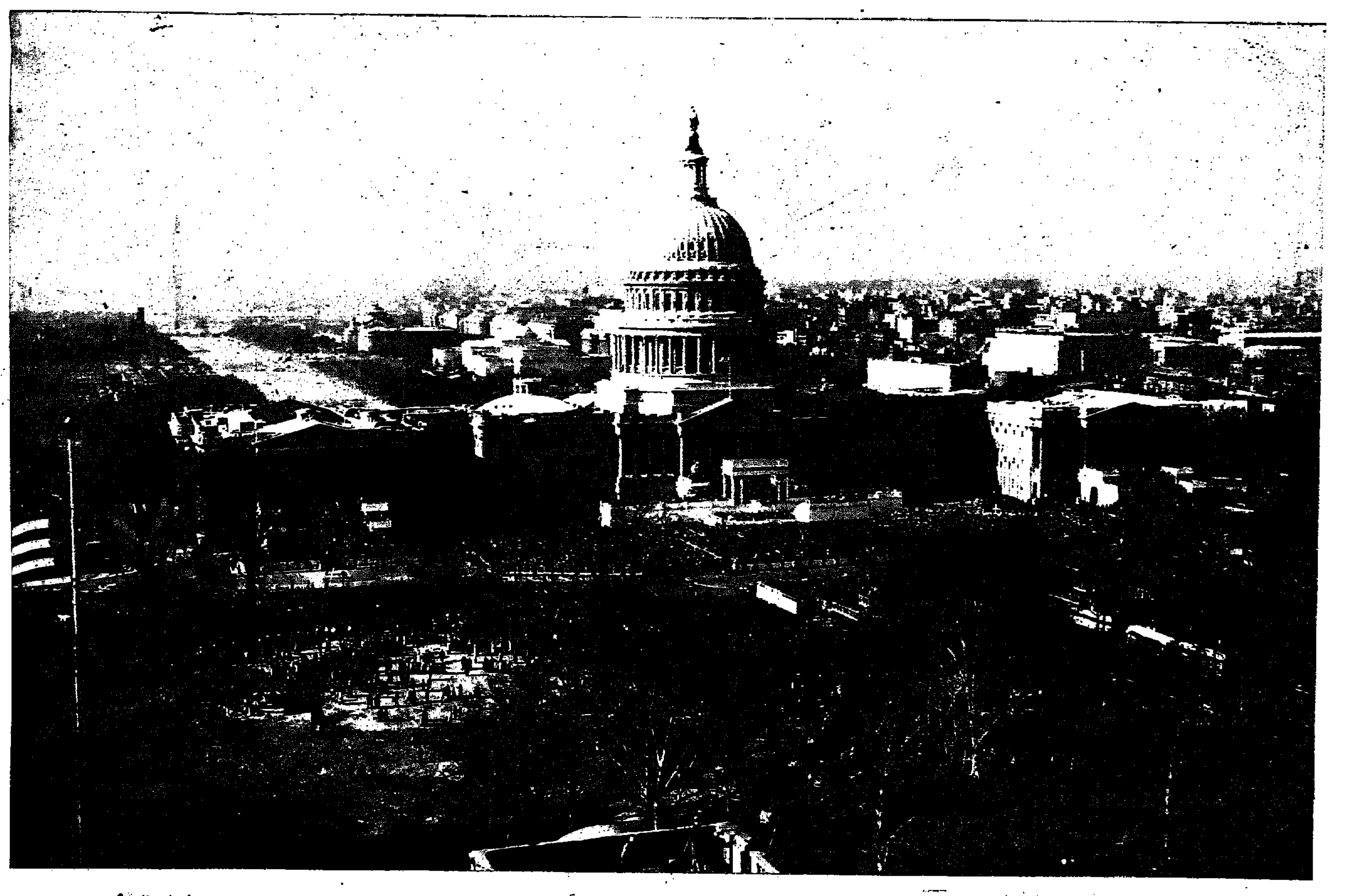




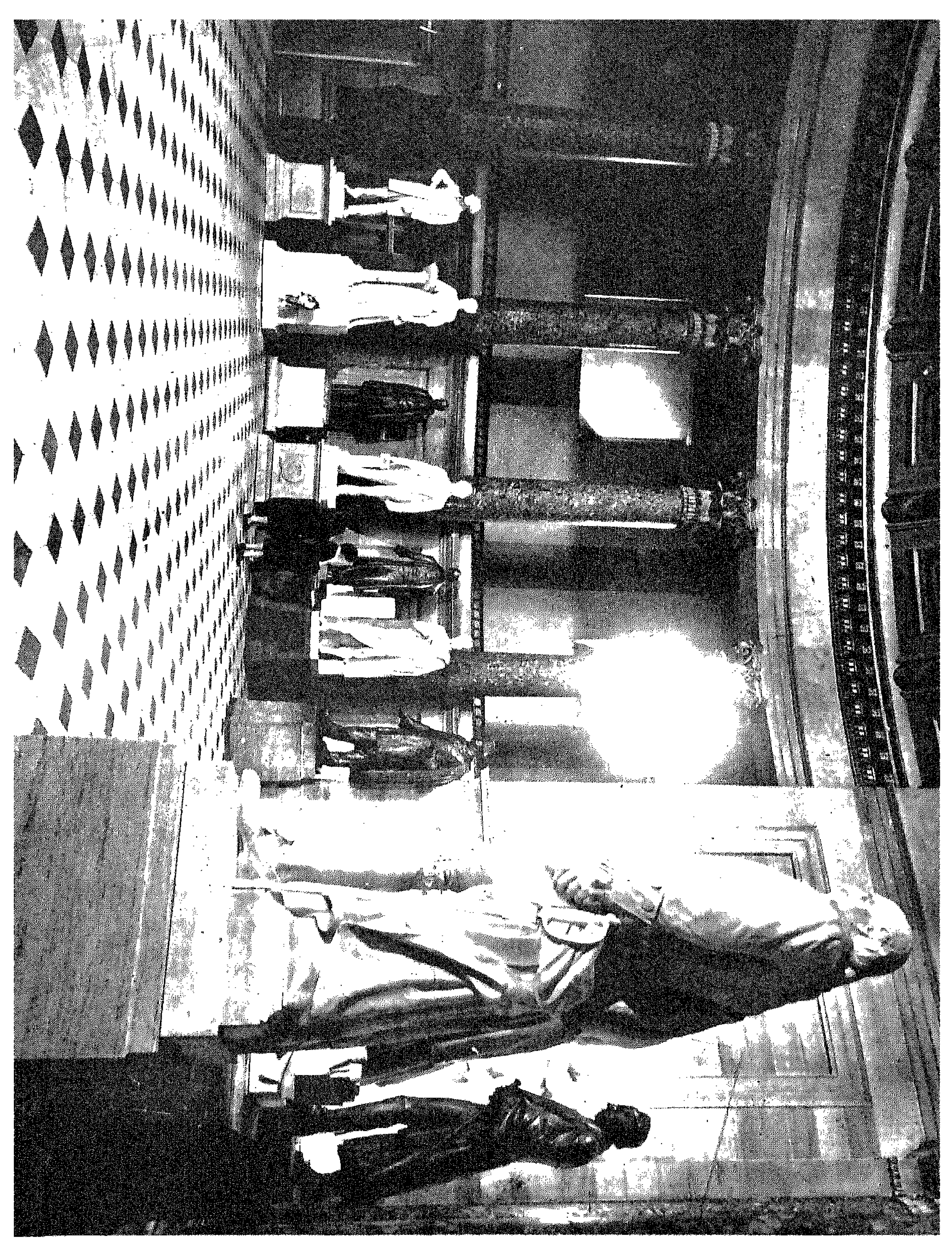
منزل مارتا واشنجتون



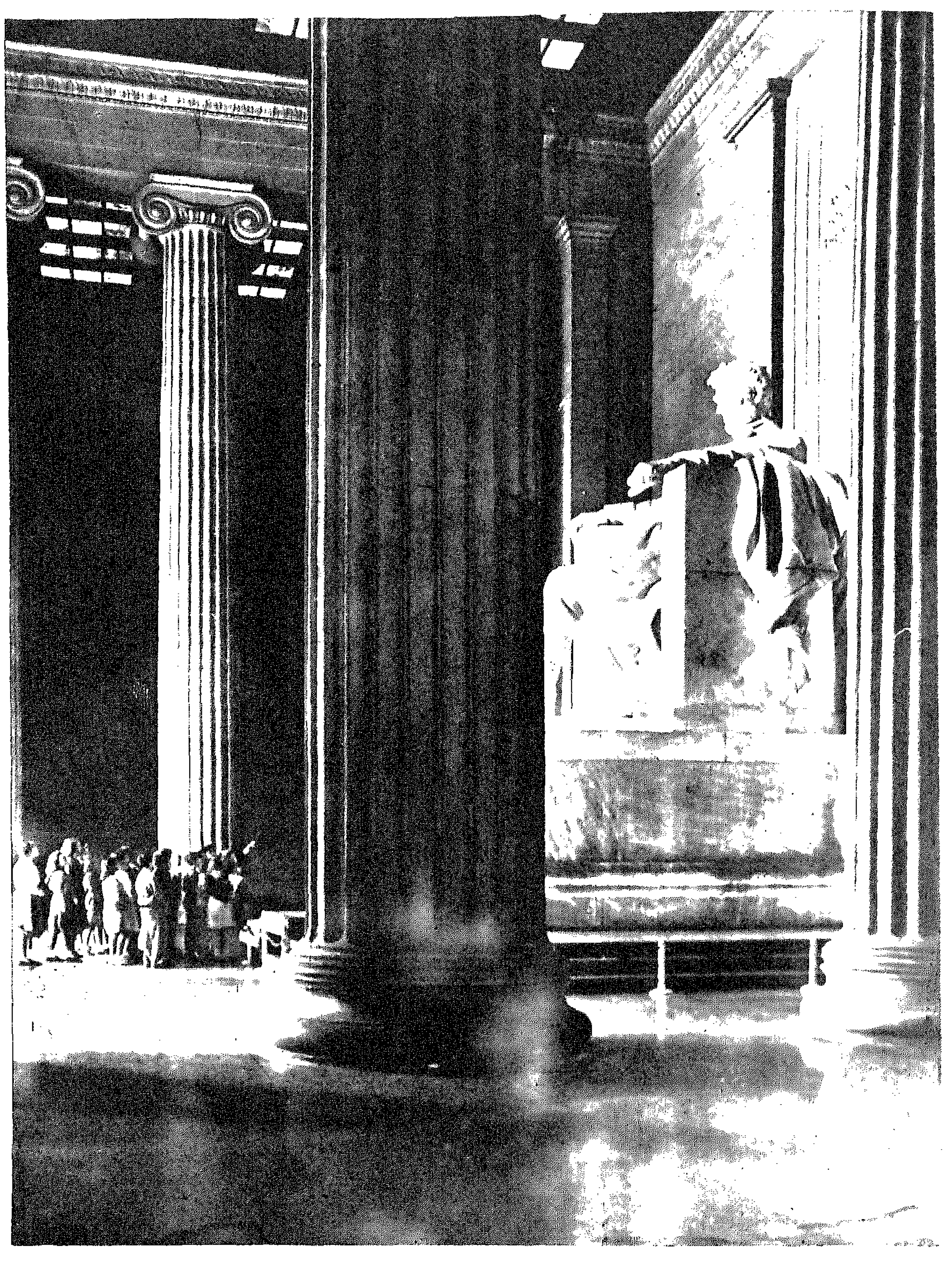
مدفن الجندى المجهول



مبنى الكابيتول مقر الهيئة التشريعية «الكونجرس والنواب» ويرى فى أقصى الخلف مسلة واشنجتون

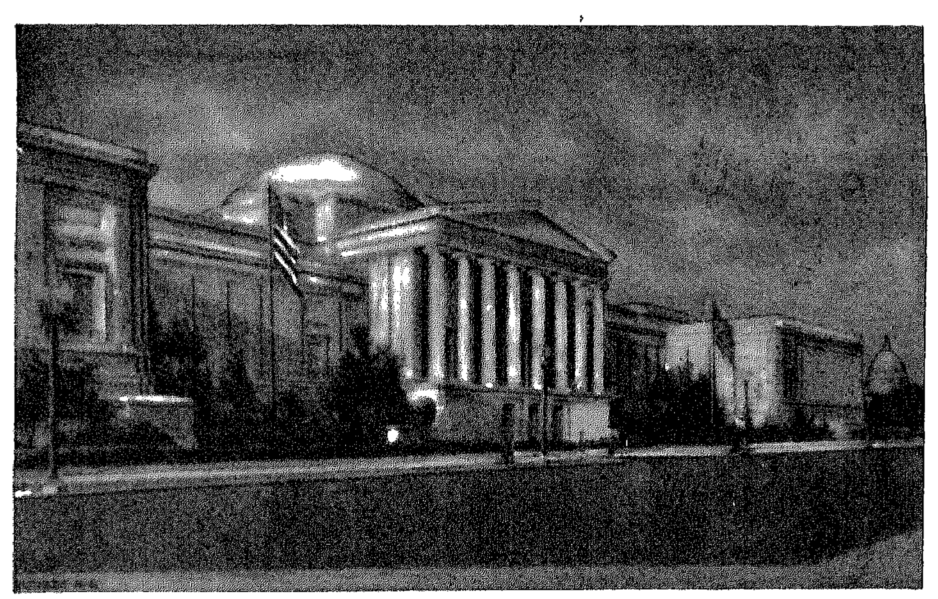


صـــالة التمـاثيـــل فى مبنى الكابيتول وبهـا تماثيل عظمـــاء الامريكان من جميع الولايات

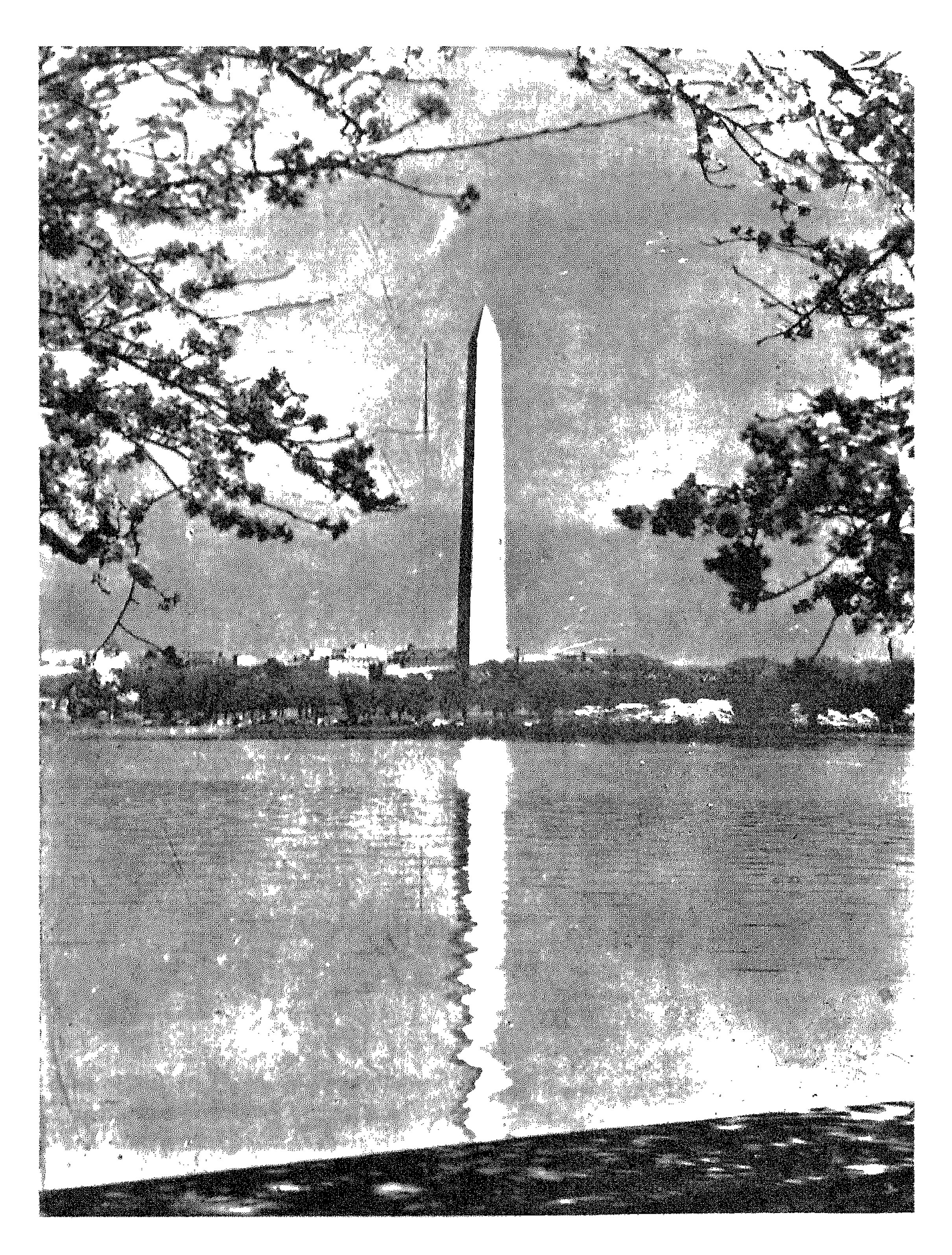


تذكار لينكولن ويرى داخله التمثال

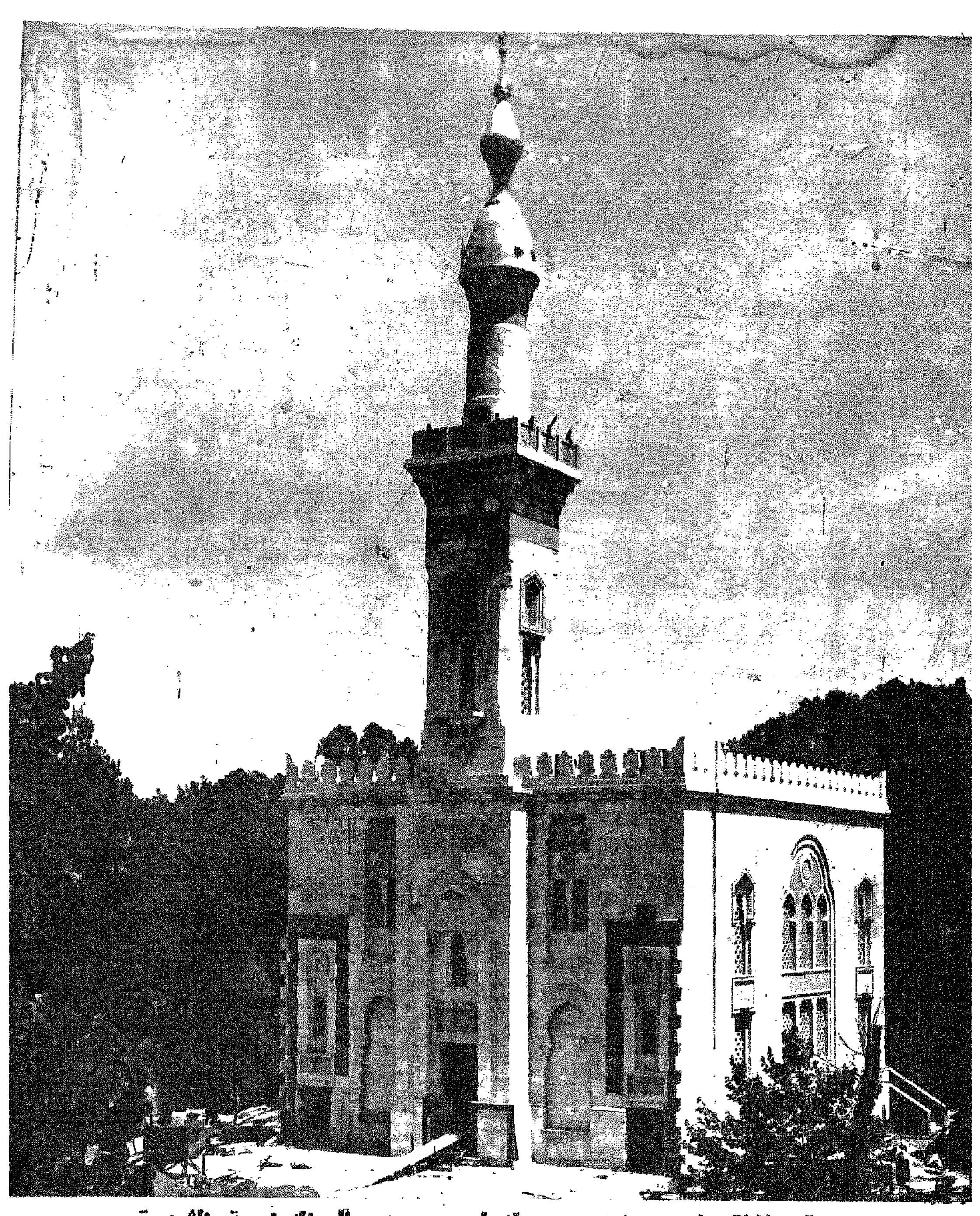
البيت الابيض مقـــر رئيس الجمهورية



المتحف الاهـــل للفنون الجميلة بواشنجتون



تذكار « مسلة » جورج واشنجتون ويرى انعكاسها على مياه البوتوماك



واجهة ومئذنة جامع واشنجتون وقد اصبح من معالم المدينـــة الشهيرة

المراقبة فى أعلاها إما بالمصعد أو إذا شئت بواسطة ١٩٨ درجة رخامية وعندها ترى منظراً جميلا لمدينة واشنجتون وفرجينيا ونهر البوتوماك وما حواليها .

تذكار لنكولن

(The Lincoln Memorial)

لو كان لنكولن حاكماً عادياً أو حتى بطلا عادياً لكان يكفى لتخليده إقامة تذكار عادى فى وقت قصير . ولكن لنكولن كان شخصية فذة يحترمه الجميع يتطلع اليه الشباب بآمالهم وينظر اليه البشر كلما أذلهم الظلم فلا عجب إذا انقضى نصف قرن بالتمام قبل أن يقر القرار على نوع التذكار الذى يصلح لتخليد لينكولن .

وفى الحق أن هذا التذكار ليس قصراً ولا معبداً ولا مقبرة ، بل كل ذلك مجتمعة ويخيل لك وأنت تدخله أنه يحوى داخل أعمدته المرمرية روحه الطاهرة وخلقه القويم وعقيدته القوية فى أن يكون الناس جميعاً أحراراً فى تفكيرهم فى التعبير عن آرائهم وفى كل ما يريدون القيام به من المشاريع .

وقد وضع حجر الأساس فى سنة ١٩١٥ وتم تدشينه فى يوم ذكراه ٣٠ مايو سنة ١٩٢٢ .

* * *

العمارة

يرمز المبنى من الخارج إلى اتحاد الولايات المتحدة إذ يحوط البناء

أعمدة من الرخام تمثل الست وثلاثين ولاية المكونة للاتحاد كما كانت يوم وفاة لنكولن . وفى أعلاها أسماء الثمان وأربعين ولاية كما هو عددها الآن .

وتضم هذه الأعمدة والجدران ثلاثة أشياء تخلد لنكولن : تمثاله فى الوسط والخطاب الذى ألقاه فى مدينة جتسبرج على أحد الجدران ثم خطابه فى السنة الثانية من حكمه على الجدار الآخر .

وأروع شىء فى التذكار هو تمثال لنكولن بالطبع ويمثله جالساً على كرسى مريح وبجانبه العلم الأمريكى ومتجهاً ببصره إلى تذكار جورج واشنجتون والكابيتول . وقد أبدع المثال أيما إبداع فظهرت طيبته وقوة عزيمته وصلابته لا فى ملامحه فقط بل فى قبضة يده . وترى مكتوباً على الحائط التى تعلو التمثال العبارة الآتية « فى هذا المعبد كما فى قلوب الذين حفظ لهم الوحدة ترقد ذكرى أبراهام لنكولن مقدسة دائماً » .

وترى على الجدران صوراً تمثل المعانى السامية التى كان يدين بها الزعيم الكبير : فهناك الخلاص وملاك الصدق والعدالة والألوهية كما أن ملاك الصدق يجمع بين الشمال والجنوب ويرفرف عليهما الأخوة والتسامح .

* * *

وأحب أن ألخص لك خطاب جتسبرج The Gittysburg Speech لما يحويه من المعانى السامية :

منذ أعوام عديدة نزل آباؤنا إلى هذه القارة يحملون معهم شعار الحرية الذى يجعل الناس جميعاً سواء ، وها نحن الآن مشغولون بحرب أهلية غرضها تأكيد هذا الشعار فالذين نواريهم الثرى هنا قد قدموا أرواحهم لهذا الغرض النبيل . وقد تنسى الأجيال القادمة كل الأقوال والخطب التى نلقيها

ولكن لن ينسى أحد تضحيتهم . فلنعمل إذن لنتم ما بدأوه حتى لا تذهب تضحيتهم عبثاً . وحتى تبعث هذه الأمة بعثاً جديداً تحت الحرية وحتى لاتفنى من الوجود حكومة الشعب من أجل الشعب » .

تذكار توماس جيفرسون

Jefferson Memorial

وجيفرسون هو مؤلف وثيقة إعلان الاستقلال وثالث رئيس للجمهورية كما أن تذكاره هو أحدثها فى العاصمة إذ افتتحه الرئيس المرحوم فرانكلين روزفلت سنة ١٩٤٣ .

ويشبه التذكار البانثيون الرومانى وهو من الرخام الجميل يتوسطه تمثال جيفرسون من البرونز على قاعدة عالية وعلى الجدران كثير من حكم وأقوال السياسى العظيم .

مقبرة أرلنجتون وقبر الجندى المجهول

Arlington Cemetry and The Unknown Soldier

بعد أن تجتاز نهر البوتوماك تجد نفسك فى فرجينيا وأول مايقابلك هذا الجبل الأخضر الذى يضم مقبرة أرلنجتون وبها نحو ثلاثين ألف قبر تحوى رفات قادة وجنرالات وضباط وجنود وبحارة أعطوا أرواحهم جميعاً دفاعاً عن وطنهم وكلهم تحت الأرض سواسية لا يميزهم بناء ضخم ولا علامة فخمة بل على كل قبر منها شارة صغيرة باسم المتوفى ليتعرف عليه ذووه وبجانب المقبرة شيد قبر الجندى المجهول (عقب الحرب العالمية الأولى) ويقوم عليه حراس (شرف) ليل نهار ومن المناظر الملفتة تغيير الحراس فى أوقات متقاربة نهاراً وليلا .

وبالقرب من المقبرة أقيم امفتياترو تذكارى يتسع لخمسة آلاف قاعد وتقام فيه حفلات فى يوم الذكرى وكذلك فى بعض المناسبات الأخر وهو على شكل اهليلج ellipse وكله من الرخام كما أنه يجاور معبد الشهرة Temple of Fame مطبوعاً عليه أسماء جورج واشنجتون — لنكولن — جرانت — توماس — ميد — الخ . .

مونت فيرنون Mount Vernon

فاذا ما تركت المقبرة وسرت خمسة عشر ميلا بحذاء نهر البوتوماك وصلت إلى بيت جورج واشنجتون الرئيس الأول للولايات المتحدة . وموقع المنزل وحدائقه جميلة جداً وتحتوى الغرف على كثير مما كان فيها من أثاث أثناء إقامة الرئيس حتى مغزل زوجته مارتا موجود فى مكانه ، ثم هناك المقبرة التى تضم بقاياه . وإنك لتستشعر الخشوع وأنت تقف على قبر هذا البطل المجاهد الكبير الذى حرر أمته من نير الاستعمار .

* * *

حى السفارات Massachusettes Avenue

إنك سوف تجد معظم السفارات فى شارع ماساتشوست وهناك طبعاً السفارة المصرية التى زرتها فى اليوم التالى لوصولى العاصمة وقد قابلت سفيرنا الهمام (فى ذلك الوقت السيد كامل عبد الرحيم) الذى أكرم وفادتى وأقام مأدبة عشاء قابلت فيها بعض الأمريكان الممتازين وتناولنا أحاديث شهية عن الطب والسياسة والاجتماع وكان معى فى هذه المأدبة الدكتورة سهير القلماوى الأستاذة بكلية الآداب . وفى الحق أن سفيرنا له مكانة عظيمة

بين السفراء وبين كبار الأمريكان . كما إننا جميعاً نلقى كل ترحيب ومساعدة منه ومن حضرات مساعديه بالسفارة .

جامع واشنجتون والمركز الاسلامى The Washington Mosque and Islamic Center

يقع قريباً من السفارة الجامع الذى تساهم فى إتمامه الأمم الإسلامية وتقوم مصر بالجانب الأكبر كما أن سفيرنا هو المحرك الأكبر فى كل الخطوات ويقوم بعض الفنانين المصريين بإتمام النقوش العربية الجميلة وقد استحضروا من مصر خصيصاً لذلك الغرض .

ومع أن الجامع لم يتم إلا أننا حضرنا صلاة الجمعة وأمنا الأستاذ حب الله وخطب الخطبة كما أنى حضرت بعد ذلك بأيام خطبة سعادة السفير عن ديموقراطية الإسلام وكانت الصالة مزدحمة إلى آخرها بكثير من الأمريكان . وقد أخبرنى أحد سائقى التاكسى بأن كثيراً من زوار واشنجتون يطلبون منه أن يزوروا على الجامع كأحد أعلام العاصمة الشهيرة .

* * *

حوانيت واشنجتون

لم أذكر لك شيئاً عن المتاحف ومحطات السكك الحديدية أو المطارات لأننى لا أقصد أن أكون دليلا سياحياً .

ولكن لا بد أن أشير أن واشنجتون تحتوى على مخازن بضائع وحوانيت تحوى أجمل ما تحب شراؤه (مثل جارفنكل وهيكت الخ) وفى الحق أنى وجدت واشتريت أشياء هناك لم أجد لها مثيلا فى أى بلد آخر حتى نيويورك وميامى . وهل تعجب لذلك وهى العاصمة التى تضم السفارات

ومجلس الشيوخ والنواب فضلا عن دور الحكومة وموظفيها وفوق الجميع رئيس الجمهورية نفسه .

* * *

نيويورك

NEW YORK

مدينة السحر التى يقطنها ثمانية ملايين من الأنفس . مدينة الصلب والصخر ومقر الأمم المتحدة ومفترق طرق العالم وملتقاها . مدينة خيالية . ترى فيها أكثر ما ترى وتعمل أكثر مما تعمل وتتلهى أكثر مما تتلهى فى أى مدينة أخرى فى العالم .

كانت أول مدينة أمريكية وطئتها لأستريح من عناء السفر لفترة قصيرة وسرعان ما أنستنى أضواؤها ومباهجها متاعب طيران ٣٥ ساعة متواصلة وعدت إليها لأزور معاهدها الطبية وما إليها ثم مررت بها فى طريق عودتى إلى بلادى . وفى كل من هذه المرات الثلاث كنت أشعر بالأسى لفراقها وهذا رغماً من تحذير صديق الأمريكى قبل مغادرتى القاهرة : « تمتع برحلتك ولكن لا تقضى وقتاً طويلا بنيويورك » . هو لا شك يعلم الكثير عن مدينته وهو لا شك خشى علىّ من غواية هذه الغانية الفاتنة .

عند ما تحلق بك الطائرة مقتربة من نيويورك يقابلك تمثال الحرية قائماً فى مدخل الميناء المزدحمة بكل أنواع السفن من عابرات المحيط إلى القوارب واللنشات ، ثم إذا بك تبهرك ناطحات السحاب والأنهر والكبارى كأنما هى خيوط العنكبوت فإذا دققت النظر وجدت خنافس لامعة تسير فى خطوط متوازية ومتقاطعة ، تلك هى السيارات تقطع الطرقات ذهاباً وجيئة .

ونيويورك مركز العالم فى السياسة وفى المـال وفى اللهو والإستمتاع فهى بذلك مدينة معقدة بل مدينة المتناقضات : فمثلا إذا مررت فى الشارع الخامس Fifth Avenue وجدت أفخم الحوانيت وأغلا البضائع فى العالم تحوطها ناطحات السحاب المشيدة من الصلب والصخور فإذا تدرجت إلى ميدان التيمس وبرودواى فأنت واجد نفسك فى الوسط الفنى الصاخب حيث أكبر مجموعة من التياترات والسينمات والراديو والتيليفزيون والنوادى الليلية والمطاعم والصالات . ثم على بعد خطوات من كل هذا أمكنة للعبـادة هادئة وفخمة تماثل ما تراه فى أى مكان فى أوروبا . فكيف يمكنك أن تصف كل هذا أو شيئاً منه . هذه المدينة التى أصبحت عاصمة العالم .

* * *

مبنى امبير ستيت Empire State Building

لعل هذا البنـاء أول شيء يحاول الزائر أن يراه بعد أن سمع أنه أعلا شيء فى الدنيا وسوف يبهرك النظر إليه ولـكن ستنبهر أكثر عند ما ترى نيويورك نفسها من قمة هذا البناء العالى وهى متعة ليس لها مثيل فى أى مكان آخر من العالم .

فأنت إذا نظرت من الجهة الشمالية ترى الحديقة الوسطى Central Park ثم كوبرى جورج واشنجتون ثم نهر الهدسون بطوله ومن الجهة الشرقية يطالعك مبنى الأمم المتحدة (على النهر الشرقى) وبعدها مطـار لاجوارديا . ومن الجنوب ترى مانهاتن ومبانيها وبذلك تبتدىء تفهم خريطة نيويورك . أما فى الجهة الغربية فسوف ترى الميناء وأرصفتها وعابرات المحيط من السفن .

وأنصحك أن تزور البناء ليلا فان منظر الآلاف المؤلفة من الأنوار المطلة من نوافذ المبانى تشبه مجموعة من الأحجار الكريمة المتناثرة المتألقة .

ومبنى الأمبير ستيت بارتفاعه البالغ ١٤٧٢ قدماً معجزة البناء فى القرن العشرين فأنت عند ما تدخل من الباب المرمرى الضخم تأخذ المصعد السريع الذى يرتفع بك ألف قدم فى دقيقة واحدة — دقيقة واحدة — لا تحس أثناءها بأى اهتزاز أو أى صوت . وهذا معناه أنك وصلت إلى الطابق السادس والثمانين فإذا نظرت حولك وجدت خريطة حية قطرها ٦٠ — ٨٠ ميلا يسكنها نحو ١٥ مليون نسمة أى واحد من كل عشرة من جميع سكان الولايات المتحدة . ولا بد أنك تحب أن تؤخذ لك صورة فوتوغرافية تذكارية فى هذا المكان وخلفك مبانى نيويورك الشاهقة ثم تكتب إسمك فى سجل من زاروا هذا المكان ويقدرون بالملايين وقد كتبت إسمى بالعربية والإنكليزية .

بعد ذلك تأخذ المصعد الثانى إلى الطابق الثانى بعد المائة وهو مغطى جميعاً بالزجاج السميك وفيه مناظير تطل منها على ما حولك . ولأجل أن أعطيك فكرة عن ارتفاع الأمبير ستيت أذكر لك أطوال الأبنية المرتفعة فى شتى جهات العالم لتقارنها :

أهرامات الجيزة	بنيت سنة	٣٧٣٣ قبل الميلاد	وارتفاعها	٤٨٠	قدماً
برج بيزا المائل	بنى	١٣٥٠	ميلادية وارتفاعه	١٧٥	»
تذكار واشنجتون	»	١٨٨٨	» »	٥٥٥	»
برج إيفل	»	١٨٨٩	» »	٩٨٤	»
أمبير ستيت بلدنج	»	١٩٣١	» »	١٤٧٢	»

وكأنما لم يكفهم كل هذا الإرتفـاع فانتهزوا فرصة عيده العشرين وأضافوا إليه (عام ١٩٥١) برج تليفزيون طوله ٢٢٢ قدماً حتى يمكن أن تذاع عدة برامج فى وقت واحد من نفس هذا البرج الوحيد .

* * *

مبنى روكفلر Rockefeller Center

ولو أن هذا ليس أعلا بنـاء ولـكنه بلا شك أضخم بناء فى العالم بل هو مدينة كاملة داخل مدينة مانهاتون وهو يضم ١٥ من ناطحات السحاب تشغل مساحة ثلاثة عشر فداناً أى المسافة بين شارع ٤٨ و ٥١ وبين الشارع الخامس وشارع الأمريكان Fifth Av. and Avenue of the Americans

وهو فى الحق معجزة معمارية وتسكنه مكاتب مئات الشركات وأكبر شركتين إذاعيتين للراديو والتليفزيون والأسوشيتدبرس والصحافة المتحدة أكبر شركة أخبار فى العالم ومكاتب تحرير كثير من المجلات .

ويبلغ عدد موظفى هذه المكاتب نحو ٣٥ ألفاً كما أن المبنى يزوره يومياً نحو ١٢٥ ألفاً ولهذا الغرض ترى فيه ٢٤ مطعماً ومكتب بريد ونحو مائتى حانوت بها كل أنواع البضائع .

وليس البناء بناء صماً بل إن الفن أبدع فى تزيينه إبداعاً عظيما ففيه وعلى جدرانه الصور والتماثيل التى تعبر عن شتى فنون الحياة والتى لن يغنيك وصفها بل عليك رؤيتها .

راديو سيتى Radio City

وهو جزء من المبنى وأظنه أكبر تياترو إذ يتسع لأكثر من ستة

آلاف متفرج وترى فيه أحسن أفلام الموسم كما أن له أوركسترا خاصة كبيرة جداً وفرقة خاصة للباليه Rickettis Ballet تؤدى استعراضات تفوق ما تراه من مثيلاتها فى الأماكن المخصصة للباليه فقط كما أن الأورغول من أحسن ما سمعت . وقد شاهدت هناك فيلم « البنت التى تساوى مليون دولار » Million Dollar Girl لاستر ويليامز وفيلم « رحلة بايموث » Plymouth Adventure لاسبنسر تراسى وكذلك استعراض عيد الميلاد ويبدأ العرض الحادية صباحاً ويستمر إلى منتصف الليل والمكان دائماً مزدحم . أما صالات الإنتظار فمن أفخم ما ترى ولا يقارن بها شىء .

وقد قضينا نحو ساعة من رحلتنا فى مشاهدة استوديوهات الراديو والتليفزيون T.V. والشركة الأهلية للإذاعة وكانوا يجهزون قطعه للإذاعة وعلمت أن برنامج التليفزيون الذى تستغرق إذاعته ربع ساعة يتكلف أربعين ألف دولار . ثم أطلعونا عن كيفية إحداث الأصوات فى الإذاعة وكذلك رأينا أشخاصنا مذاعة بالتليفزيون .

مبنى الأمم المتحدة United Nations Building

هو مبنى جميل يقع على النهر الشرقى شمال الشارع ٤٢ مصنوع من الصلب والزجاج والرخام والألومنيوم ومرفوع عليه أعلام الأمم الستين وترى هناك السكرتارية بموظفيها الثلاث آلاف من مختلف الأمم . فإذا حضرت اجتماع الجمعية العمومية خيل لك أن هذا أقرب ما يكون إلى برلمان عالمى . وقد صحبنى أحد حضرات مندوبى وفد مصر فى جولة داخل البناء ثم جلست مع المندوبين فى الجلسة إنك لتضع على أذنيك سماعتين ثم تدير أزراراً على الطاولة التى أمامك فإذا أدرت الأول سمعت الخطيب بلغته وإذا أدرت الثانى سمعت

الكلام مترجماً إلى الإنكليزية والثالث فرنسية والرابع روسية والترجمة تأتيك سريعة ودقيقة . وكانوا ساعة زيارتى يبحثون وجوب تمثيل كوريا الشمالية فى بحث أمور حرب كوريا وكان خطيب الجلسة وبطلها أندريه فبشينسكى (مندوب روسيا) .

وهناك طابق كامل للصحافة لإرسال الأخبار إلى كافة جهات العالم . أما البدروم فقد خصص لمكتب بريد لإرسال الرسائل مختومة باسم « الأمم المتحدة » وكذلك لشراء التذكارات الخاصة بهذا المكان من كارتات وصور وتلافيح ومناديل وغيرها .

والأرضية إما مغطاة بالطنافس الثمينة كما فى المطعم والبار أو بالمطاط فلا تسمع أى صوت أينما انتقلت .

المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى Metropolitan Museum of Natural History

وهو يقع فى المنتزه الأوسط بين شارعى ٧٧ ، ٨١ ومكون من خمسة أدوار تحتوى على أكبر مجموعة من حيوانات ما قبل التاريخ (الماموث والديناسور وغيرها) وكذلك الحيوانات الحالية فى أوساطها الطبيعية . ثم هناك مجموعة كبيرة من المعادن والأحجار الكريمة — وخصص دور لإبراز كل ما يتعلق بالهنود الحمر وخيامهم وقراهم وصناعاتهم وطرق معيشتهم وكذلك أهل المكسيك . وطابق آخر يبرز تاريخ الإنسان من بدء الخليقة والأدوار التى مر بها والآثار التى تركها .

ويلحق بالمتحف مرصد هايدن للنجوم السيارة وسأخصص باباً خاصاً لوصفه .

متحف الفن Art Museum

ويقع على ناصية الشارع الخامس وشارع ٨٢ وبه ٢٣٤ رواق تحتوى على تراث خمسة آلاف عام من التاريخ يشمل المصريين والبابليين واليونان والرومان والشرقين الأدنى والأقصى وأوروبا كما أن به قسما خاصاً بأمريكا ، فيها وصورها وأثاثاتها . وكان اهتمامى طبعاً بالقسم المصرى أكثر من غيره وهو منسق تنسيقاً بديعاً . كما كان من حظى أن وجدت معرضاً مقاماً فى جناح خاص لصور الرسام رامبراندت يحتوى على مجموعة كبيرة أما المكتبة الملحقة بالمتحف فتحوى أكثر من مائة ألف كتاب عن التاريخ والفن ونحو مائتى ألف صورة من الفن والآثار .

حديقة حيوان برونكس Bronx Zoo

تحوى نحو ألفين من مختلف أنواع الحيوانات المتوحشة ومرتبة بحيث تعيش فى أوساط أقرب ما تكون إلى الطبيعة ويرى هذا بنوع خاص فى الوهاد يفصلها عن الجمهور مجرى مائى ثم هناك أحواض السمك والحيوانات المائية تضم مجموعة كبيرة نادرة . ولم ينسوا الأطفال فأنشأوا لهم « حديقة حيوانات صغيرة » تضم بعض الحيوانات الأليفة ليلعب معها الأطفال ويركبونها « ولا يصرح للبالغين بدخولها إلا إذا صحبهم أطفالهم !! » .

* * *

الشارع الخامس Fifth Avenue

أظن أن هذا الشارع هو أشهر بقعة فى كل الدنيا فمن هو الذى لم يسمع عنه فهو الذى يقسم نيويورك وشوارعها إلى شرق وغرب وهو الذى على

ضفتيه أعلا ناطحات السحاب . وأنت إذ تسير فى الشارع الخامس يبهرك ما تراه فى حوانيته من البضائع ، يبهرك جمالها وأناقتها وحسن ترتيبها كما يبهرك غلو ثمنها ، إن لهم مهارة لا تجارى فى إبراز محاسن البضائع . وأنت لا تتعب أبداً من التطلع إلى محتويات الحوانيت فإذا عدت فى اليوم التالى لتشاهدها خيل إليك أنك تراها للمرة الأولى . وصدقنى أنها متعة وأى متعة أن تشاهد هذه البضائع وهذه الملابس والجواهر الحقيقية والمزيفة وهذه الأثاثات والعطور وأدوات الزينة : كل شىء جميل وبديع (واللى ما يشترى يتفرج) . ومع أن البضائع هناك غالية وأغلى من أى مكان آخر إلا أنها ممتازة جداً . ولا يمكنك أن تقنع الناس بأنك زرت نيويورك حقاً إلا إذا كنت قد اشتريت هدية من الشارع الخامس .

برودواى وميدان التيمز Broadway and Times Square

قد يكون غرضك من زيارة نيويورك علمياً بحتاً أو صناعياً أو طبياً أو أى غرض آخر ولكنك سوف تجد نفسك مدفوعاً لزيارة برودواى وميدان التيمز بل وتكرار زيارتهما ، فهما مركز الاستمتاع والاسترخاء وشهرتهما طبقت الآفاق حتى أصبحت نيويورك تسمى مدينة ميدان التيمز City of Times Square

ولكن لا تذهب هناك إلا ليلا — وأستدرك فأقول إنه لا يوجد ليل فى هذه البقعة ، فما تكاد الشمس تبدأ فى المغيب حتى تنار الأضواء الشديدة المختلفة الألوان فتحيل الليل إلى نهار أشد تألقاً من الشمس فلا عجب أن سمى برودواى (الطريق الأبيض الكبير) The Great White Way .

وقد كان من حسن حظى أن زرت ميدان التيمز يوم ٤ نوفمبر وهو

يوم انتخاب رئيس الجمهورية الجديد وكانت جموع الناس أخذت تزحف إلى الميدان لتطالع النتائج الأولى منذ الغروب وكانت التنبؤات أن المعركة شديدة بين الجنرال أيزنهاور وادلاى ستيفنسون ولكن أخذت النتيجة تتجه بشدة وسرعة نحو انتخاب الجنرال بشكل لم يكن أحد يتصوره وربما كان سبب ذلك التأييد الذى لاقاه من ناحى المقاطعات الجنوبية (وبعضهم كان ديموقراطياً) أو ربما لأن الناس ملوا حكم الديموقراطيين طوال عشرين عاماً فرغبوا فى تجربة الجمهوريين وإعطائهم فرصة للحكم : والشعوب مجموعات غريبة لها نزوات مثل نزوات الأفراد .

* * *

وفى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٢ زرت دار أوبرا نيويورك الشهيرة The Metropolitan Opera House حيث كانت تمثل أوبرا « كارمن » لا على المسرح فقط بل كانت تذاع بالتليفزيون أيضاً للمرة الأولى فى تاريخ الأوبرا . وقامت بدور « كارمن » الآنسة ريز ستيفنس وبدور « دون جوزيه » ماريو دل موناكو المغنى الإيطالى الشهير . أما « مايكيلا » فقامت به نادين كونور وقام بدور « اسكاميلو » مصارع الثيران فرانك جواريرا وقاد الموسيقى ببراعة فائقة الموسيقار فريتز رينر .

ومع أن المناظر والملابس كانت فخمة إلا أنى أعتقد أن مناظر وملابس دار الأوبرا المصرية تبزها اللهم إلا منظر منزل اسكاميلو المقابل لحلبة الصراع فقد كان فخماً جداً . وهنا — كما أظنك تذكر — أن كارمن تموت بطعنة من يد حبيبها السابق دون جوزيه الذى غدرت به .

دانى كاى Danny Kaye

كان من حسن حظى أن دانى كاى الممثل الكوميدى الموهوب يمثل بنفسه فى تياترو بالاس Palace Theatre وقد شغل النصف الأول من البرنامج مجموعة طيبة من الكواكب فى الرقص والغناء . أما النصف الثانى فقام به دانى كاى وحده . ولم يكن أحد من النظارة يريد أن ينتهى التمثيل كما أنه هو نفسه اندمج معنا قائلا إنى مستعد للبقاء حتى الصباح وصدقونى إنى أكثركم استمتاعاً بدانى كاى !!

ومن المصادفات العجيبة أنه بين الفصول اكتشفت أن جيرانى أمريكان يسكنون الزمالك وتواعدنا على اللقاء بمصر ! حقاً أن الدنيا صغيرة مهما ظهر أنها متسعة .

سبق أن نصحتك بزيارة برودواى فى الليل . ولكن لا تظن أنه مكان مقبض بالنهار ، كلا إنه ينبض بالحركة بيعاً وشراء فضلا عن ازدحام مطاعمه بالآكلين . وقد رأيته أكثر ازدحاماً يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥٢ وهو يوم الشكر Thanksgiving Day ويقام كل عام تخليداً لإقبال المحصول فى العام التالى لنزول المهاجرين الأوائل إلى شاطىء أمريكا الشرقى ويمتاز العيد بكثرة الأكل خصوصاً الديكة الرومية وهى هنا ضخمة بل ضخمة جداً وقد علمت أنها أمريكية أصيلة وكانت فى الأول وحشية ثم استؤلفت .

وبمناسبة العيد ترتب مخازن محلات ماسى Macey's التجارية العظيمة طابوراً استعراضياً جميلا يبدأ من ميدان كولومبس إلى برودواى إلى محلاتهم وفيه عدة موسيقات وفتيات رشيقات جميلات يتحلين بالحرير المزخرف فى مجموعات كثيرة كما أن هناك تماثيل من البلاستيك والمطاط والبالونات على

أشكال الحيوانات والزحالف وميكى ماوس لتضفى على الاستعراض بهجة وقد استمر مرور الموكب أكثر من ساعتين .

* * *

الكاباريهات Night Clubs

أظن لا بد لك وأنت فى نيويورك أن تزور ولو واحداً من علب الليل وقد اخترت (الحى اللاتينى Latin Quarter) ولا يطالبونك بأجر دخول ولكن لابد لك أن تتناول طعام العشاء هناك ! فالنتيجة واحدة !!. ولكن كان الاستعراض من الدرجة الأولى ويظهر أنهم بذلوا بسخاء فى اختيار الأشخاص والمناظر والملابس . وكان البرنامج فى تلك الليلة يمثل زوجين شابين أمريكيين يقضيان شهر العسل فى باريس ويتفرجان على مغانيها فرأينا البوليفار واستعراضاته ورقصة الكانكان ورقصة برج إيفل ورقصة غرفة النوم ثم رقصة اسكتلندية .

ولم أكن أعلم أن الأفضل حجز مقعد مقدماً ، بل إنى ذهبت إلى هناك عفو الساعة فأقعدنى رئيس الخدم مع المستر جنكز ولما تبادلنا التعارف أخبرنى أنه من تكساس وأنه أحد مديرى بعض المصارف التى تسلف الشركات الصناعية وألح علىّ أن أزور تكساس وخصوصاً هوستون لأرى أجمل البلاد وكذا أجمل النساء . أما نيويورك فلا تعجبه وسيكون سعيداً بمفارقتها غداً وكذلك لم ير فيها سيدات جميلات ثم ابتدأ العرض وظهرت الجميلات الفاتنات ، فقلت له ما رأيك ياصديقى فى هذا الجمال الطاغى ؟ فتحسس ذقنه قليلا وأجاب : لابد إنهن من تكساس ؟ !

لم أتمكن من الذهاب إلى هوستون ولا كان فى نيتى زيارتها وإنما أرسلت

لصديق المستر جنكنز ورقة بنكنوت اشتريتها فى سان فرنسيسكو مكتوب عليها « مائة دولار — امبراطورية تكساس » ولكنها بحجم كبير جداً (علامة على التفاخر) . وأهل تكساس مشهورون بالتفاخر بمقاطعتهم ويقولون إنها هى أمريكا والباقى ما هى إلا ولايات تابعة لها .

قلت لك تجد فى برودواى حوانيت كثيرة ولكن أغلبها يبيع البضائع الرخيصة وكذلك تذكارات وصور نيويورك ، ولا بد أن تشترى منها شيئاً ولو ربطة عنق عليها صور مرسومة باليد تمثل طيوراً أو غانيات أو أى شىء تريد ، ثم هناك حوانيت بيع لعب التسلية . ومن الغرائب وجود مطبعة صغيرة ، أرانى إياها صديقى البير عمون المحرر بالأهرام ، تطبع جريدة اسمها « الديلى تريبيون » وهى ليست جريدة بالمعنى الصحيح ، إذ ليس عليها تاريخ وتقع فى صحيفتين وإذا دفعت دولار واحد أعطوك ثلاث نسخ منها ومطبوع عليها أى عنوان ضخم تريده ، فترسله لأصدقائك للتسلية وقد كتبت العنوان كالآتى :

دكتور زكى خالد من مصر — Dr. ZAKI KHALED OF EGYPT

يتزوج فتاة أمريكية — MARRIES AMERICAN GIRL

وواضح أنها ليست جريدة لأنك بعد أن تتم قراءتها لن تجد أية إشارة عن هذا العنوان ، ومع أنى أرسلتها لبعض الأصدقاء مكتوب عليها عناوينهم بالعربية ، ومع أنه لم يكن قد مضى علىّ فى أمريكا إلا ثلاثة أسابيع ولم يكن معقولا أن يتزوج أى إنسان فى هذا الزمن القصير ، وهذا كله ما جعل عائلتى تفهم النكتة ، إلا أن أحد الأصدقاء — سامحه الله وأكمل عليه النباهة — صدق الخبر وراح يذيع بين أصدقائى أنى تزوجت أول فتاة قابلتها وأنه آسف

لذلك ولم يكن يظن أنى سأفعل ذلك . هذا مع العلم أنه تعلم فى انجلترا ويزعم أنه يفهم الإنكليزية ويفهم النكتة .

هل تعجب إذن أيها القارىء إن أخبرتك أن بعض من كانوا فى انتظارى بمطار القاهرة الدولى كانوا يحملقون فى الطائرة التى أقلتنى لمصر ليروا من هى تلك الحسناء الأمريكية التى تزوجتها بمجرد وصولى إلى هناك ؟ سامحه الله مرة أخرى .

عيد ميلاد نيويورك المئوى الثالث

Tricentenary of New York

بحلول سنة ١٩٥٣ يكون قد مرّ ثلاثمائة عام على إنشاء نيويورك ، وقد أقيمت احتفالات كبيرة فى كل مكان ، وفى الحق لا يمكن لإنسان أن يتصور أن هذه الفخامة والضخامة وليدة ثلاثمائة عام فقط ؛ لقد قفز عدد السكان من ثمانية آلاف إلى ثمانية ملايين أى زادوا عشرة آلاف ضعف ما كانوا عليه سنة ١٦٥٣ . ولا داعى لذكر أى إحصائيات أخرى فالصناعات والمخازن والحوانيت وطرق المواصلات والملاهى وكل شىء قد زاد تبعاً لذلك وبنسبة هائلة . فهل تعجب بعد ذلك إن وجدت ـــ عند وصولك إليها ـــ أنها مدينة مسرعة صاخبة وأن كل من فيها يجرى وهو مشغول بنفسه ولا يجد متسعاً من الوقت ليضيعه فى التحدث إليك أو إرشادك إلى ما تريد .

وقد أقامت جريدة النيويورك تيمس The New-York Times معرضاً للصور يبين أدوار تطور نيويورك خلال هذه الحقبة من تاريخها والحوادث الهامة التى جرت فيها ، وهى مجموعة عظيمة مفيدة .

ولكن لو سألتنى أن أذكر ما هو العامل الفريد فى تقدم هذه المدينة

خصوصاً فى الفترة الأخيرة . لقلت لك هو « المصعد » The Elevator

فى عام ١٨٥٣ رغب المستر جوسياميز (Joshia Mezz صاحب مصانع السراير) فى إنشاء مصعد لرفع بضائعه . فتطوع للمهمة رئيس الميكانيكيين عنده المستر « ايليشا أوتس » Eleisha Otis فأنشأ مصعداً وأضاف إليه « ماسك أمان » Safety Catch يشتغل إذا انقطعت حبال الرفع فكانت هذه أول إضافة تجعل المصاعد آلة أمان خصوصاً بعد أن ركب « أوتس » نفسه فى المصعد وطلب أن يقطع الحبل فرأى الجمهور المتلهف أن الزنبرك أوقف تواً سقوط المصعد . وهنا انهالت الطلبات على أوتس ، ثم تتابعت الحوادث :

— فى سنة ١٩٠٠ أنشأ « أوتس » أول سلالم كهربائية صاعدة نازلة (Escalators) التى تعم الآن المخازن وسكك الحديد وكذلك الفنادق .

— فى سنة ١٩٠٣ أتم « أوتس » عملا هاماً إذ أمكن تشغيل مصعد كهربائى بدون جنزير وهذا معناه عمل مصعد لأى ارتفاع وبالتالى جعل إنشاء ناطحات السحاب ممكناً .

— فى سنة ١٩١٥ حسن « أوتس » مصاعده فأصبح قيام ووقوف المصاعد يتم بيسر دون أى اهتزاز أو اصطدام .

— فى سنة ١٩٢٤ اخترع « أوتس » الطريق الأتوماتيكى لتشغيل المصاعد فلم يكن هناك ما يعمله العامل سوى ضغط أزرار الأدوار التى يريد أن يقف بها وتنتهى مهمته .

ثم تتابعت التحسينات حتى أمكن عمل مصاعد سريعة جداً كما هو الحال فى الأمبير ستيت ومبنى روكفلر . كما أن عام ١٩٥٠ شاهد المصاعد التى

لا تحتاج إلى أى عامل بل إن الراكب نفسه يضغط زر الطابق الذى يريده فيرتفع المصعد ثم يُفتح الباب وبعد خروجه يقفل ثانية .

* * *

لقد أطلت عليك كثيراً ولكن اعذرنى أيها القارىء فان المصعد هو العامل الأهم فى سرعة تقدم نيويورك وما بالك بالجزيرة الصغيرة المسماة « مانهاتن » Manhatten فهى محدودة المساحة جداً ولذا فالاتجاه الطبيعى الوحيد للامتداد هو إلى أعلا . . . إلى السماء . وهل يمكن أن يتم ذلك بدون مصاعد ؟ لذا فان أكبر ضربة يمكن أن تصوّب لها (إلى مانهاتن) هى إضراب عمال المصاعد أو انقطاع التيار الكهربائى ، وأيضاً أى عطل فى نظام التليفونات البديع .

السينيراما

The Cinerama.

سأحدثك عن السينيراما ، أعجوبة القرن العشرين ، كما شاهدتها فى نيويورك فى مسرح يقع فى بردواى ويتكالب على مشاهدتها الناس ، وعليك أن تحجز مكانك قبل الموعد بأسابيع . وهناك ترى — للمرة الأولى — المناظر السينمائية مجسمة تجسيما حقيقياً وتسمع الأصوات والأنغام كأنها حواليك لا أمامك فقط .

ولكن فلنبدأ القصة من أولها : فالفكرة نتيجة أبحاث طويلة مضنية مدى خمسة عشر عاماً قام بها المخترع الشهير « فريد واللر » Fred Waller شيطان التصوير الذى اخترع عدة أشياء مختلفة منها جهاز التزحلق على الماء Water Ski وكاميرا تأخذ صوراً تشمل حيز دائرة كاملة (٣٦٠ درجة) وجهاز يأخذ مقاساتك (لتفصيل بدلة) فى مدة خمسين ثانية .

وهو يحدثك ويقول : إن النظر هو مسألة تجريبية فى أساسه وعدسة العين ترسم صورة غير متقنة على الشبكية Rëtina والمخ هو فى الواقع الجهاز الذى يكمل التفاصيل التى يعلم (بالخبرة) أنها لا بد أن تكون موجودة ويعطيك مثلا على ذلك فيقول : إن شركة بارامونت للسينما كانت تريد أخذ منظر شابين متعلقين بصارى سفينة تغرق فعملت نموذجاً لسفينة وألصقت بالصارى جسمين صغيرين . وأدهشنى بعد ذلك أن كان كل من يقابلنى يستغرب كيف أمكننى صنع شخصين يتحركان هكذا حركات استغاثة إذ الواقع أنهما لم يتحركا بل لم يكونا يشبهان أى انسان ، بل أكثر من ذلك

كانا قطعتين من الطين وانما هو الخيال الذى جعل المشاهدين يتصورون كل هذه الحركات .

ويقول « واللر » إن تجسيم الأشياء هو حقيقة بالنسبة للأشياء القريبة جداً منا والتى لا يزيد بعدها عن عشرين قدماً فقط . واللذين فقدوا إحدى أعينهم لا يمكنهم تجسيم الأشياء إذ يلزم لذلك وجود العينين معاً ومع ذلك فان تدريب المخ على الأبعاد والمناظر يجعلهم قادرين على القيام بكل ما يفعله غيرهم تماماً .

وقد انتهى من تفكيره هذا إلى الرأى الآتى : لو أننا صنعنا كاميرا وبروجكتات Cameras and Projectors يمكن بواسطتها تسجيل صورة ما تراه عينى انسان (تسجيلا مكرراً) فان المخ يتم الباقى ، فيرى الناظر إلى مثل هذه الصورة نفسه وقد أصبح فى وسطها كأنما هو الكاميرا .

ولكن كيف يمكن إخراج صورة كهذه ، لا بد أن تكون الستار (الشاشة) مساحتها مئات الياردات . وتصادف عند هذه المشكلة أن طلب أحد المعاريين من « وولر » أن يخرج له صورة على ستار مقوس وما كاد يسمع ذلك حتى قفز الحل إلى رأسه وعرف أن عدم توفيقه فيما سبق كان لأنه استعمل ستاراً مسطحاً بينما عين الإنسان تنظر إلى ستار مقعر .

واشتغل على هذا الأساس حتى وصل إلى الاختراع الحالى وهو يطابق ما يحدث فعلا ، فمثلا عند ما ننظر إلى شيء فإننا لا نرى ما أمامنا فحسب ، بل بل كذلك كل شيء حتى زوايا العينين وكذلك عندما ننصت لا نسمع ما أمامنا فقط بل كل ما حولنا وما وراءنا .

كاميرا السينيراما

إن الصورة التى تأخذها كاميرا السينيراما تكاد تكون نصف دائرة وهى بالضبط ١٤٦° درجة فى العرض وخمسة وخمسين درجة فى الإرتفاع أى أنها تقرب من مدى عين الإنسان الذى هو ١٨٠° عرضاً و٩٠° إرتفاعاً ولكن لو أخذت صورة واحدة بهذه الأبعاد لكانت مشوشة غير واضحة ولذلك تستعمل ثلاث كاميرات كل منها لها عدسة ٢٧ ملليمتر (فهى ليست أكبر من عدسة عين الإنسان) وموضوعة على زاوية قدرها ٤٨° وكل منها تأخذ ثلث الصورة ، فالتى فى الوسط تأخذ صورة ما أمامها والتى فى اليسار تأخذ الصورة اليمنى والتى فى اليمين تأخذ الصورة اليسرى .

ستار السينيراما

هذا الستار عرضه ٥١ قدماً وطوله ٢٥ قدماً ولأجل مزج الثلاث صور تستعمل ثلاث بروجكتورات تشتغل عكس طريقة أخذ الصور تماماً وتظهر واضحة تماماً . والستار ليس قطعة واحدة مسطحة بل مكون من ١١٠٠ قطعة طولية مركبة بحيث تساعد فى تجسيم الصورة (على طريقة ستائر فينيسيا) .

الصوت فى السينيراما

هذا أيضاً اختراع جديد مثل الصورة المجسمة فهو أيضاً « صوت مجسم ليزيد المنظر تأثيراً . فتراهم وقت تصوير المناظر يضعون خمسة ميكروفونات أخرى لتلتقط الأصوات التى تصدر من الناس أو الحيوانات أو الآلات أو القطارات التى تكون مقتربة من المناظر والتى سوف تدخل فيه تدريجياً . وكل واحد من هذه الميكروفونات يسجل الأصوات التى فى منطقته . وفى

وقت العرض ترى خمسة آلات متكلمة خلف المسرح (التياترو) لتخرج الأصوات التى أخذت مع الصورة ثم آلة متكلمة فى كل جانب وأخرى فى الخلف لإعادة الأصوات التى كانت بعيدة عن الصورة وبهذا ترى الأصوات قبل وصولها لمجال المنظر المصور ثم معه ثم بعد أن تغادره .

ماذا رأينا ؟

بذلت كل جهد لما كنت فى نيويورك لأحصل على مقعد وأشاهد هذا الاختراع العجيب الذى بين ظهور السينما الناطقة فهو كالفرق بين مشاهدة صورة الشخص ومقابلة الشخص نفسه ، وكان البرنامج حافلا وابتدأت المشاهد : —

١ — القطار الروسى . وكان المنظر حقيقياً بدرجة أننا أمسكنا بأيدى مقاعدنا والقطار يصعد بنا ثم يهبط وكأننا راكبين فيه ، بل لقد صرخت بعض السيدات خوفاً من السقوط !!

٢ — ثم رأينا باليه فى إيطاليا ويخيل إليك أنك فى الصف الأول من التياترو .

٣ — الجوندولا فى الجراند قنال بفينيسيا وخيل لنا أن ماء القنال يلطم مقاعدنا واستمتعنا بصوت الجندولى الرخيم .

٤ — مناظر ورقصات وأغانى من اسكتلندا .

٥ — التوريادور ومصارعة الثيران وكان الثور يكاد ينطحنا نحن عند ما يهرب منه المصارع .

٦ — مناظر فينا الريفية ورقصهم بملابسهم الوطنية .

٧ ــ الفصل الثانى من أوبرا عايدة مأخوذة من مسرح إسكالا بميلانو بإيطاليا ولم أستمتع بجمال عائدة كما استمتعت هذه المرة .

٨ ــ مناظر فلوريدا وحدائقها وأزهارها ثم السباق والتزحلق على الماء Water Ski .

٩ ــ جمال أمريكا : وهنا أخذنا الطيار من نيويورك حتى كاليفورنيا ماراً بكل البلاد من الشرق إلى الغرب فرأينا جمال البلاد والطبيعة مجسما وكانت المناظر كأننا فيها والطيران على مقربة من الأرض حتى كنا نصرخ خشية أن نصطدم بجبال الروكى وثلوجها .

ويخيل لى أن أصعب ما فى هذا البرنامج كان أخذ الصور داخل مسرح الإسكالا ولكن المؤلف تغلب على كل الصعوبات من حيث الأضواء والأصوات ليأخذنا فى دار ڤردى Verdi وبوتشينى Puccini وماسكانى Mascagni وشليابين Chaliapin .

لقد أطلت عليك فى الوصف ولكن كان لابد من ذلك لأشرح لك نظريتها وأرجو أن يسعدك الحظ بمشاهدتها بنفسك إذ هى ثورة على السينما القديمة التى أصبحت كأنما تنظر من ثقب المفتاح فلا ترى إلا ما هو أمامك مباشرة ، أما السينيراما فتنقل لك صورة لكل ما حواليك فيصبح المنظر طبيعياً تماماً ، كما أن الصوت يأتى من جميع الجهات لا من جهة واحدة كما هو الحال فى الراديو والسينما العادية والتليفزيون .

بل إنى أقول إنك ترى فى السينيراما أكثر مما لو كنت تشاهد المنظر بعينيك وإن كان يظهر ذلك غريباً ولكنك سوف توافقنى إن أسعدك الحظ بمشاهدتها وأرجو أن يكون ذلك قريباً .

مرصد هايدن

Hayden's Planetarium

عند ما تكون فى نيويورك لا تنس زيارة متحف التاريخ الطبيعى فهو متعة وثقافة ومتى انتهيت منه فاعطف على درته الغالية « مرصد هايدن » العجيب . وقد افتتح فى عام ١٩٣٥ وكان الثالث بين مثيلاته الستة ، إذ سبقه مرصد « أدلر » بشيكاغو ومرصد « لوس أنجيلوس » إلا أنى أعتقد أنه أحسنها جميعاً من حيث اكتمال العدد والأجهزة واشتماله على متحف فلكى عظيم وأنت ترى فى هذا المتحف العجيب (١) رسوماً فلكية تبين حركات القمر والمريخ وكسوف الشمس الخ ، (٢) مجموعة من النيازك فريدة فى أشكالها وأحجامها ، (٣) مجموعة من الساعات الشمسية والبوصلات والآلات الفلكية الأخرى العديدة . وتحوى هذه المجموعة العديد من الآلات التى اكتشفت على مر الدهور ابتداء من أجهزة الصينيين القدماء ، إلى الأجهزة الدقيقة التى كانت تستعمل فى فرنسا وألمانيا فى العصور الوسطى ، إلى البوصلات الدقيقة جداً التى جعلت الملاحة البحرية كما هى الآن . وقد وجدت من بينها مجموعة من الاسطرلاب Astrolab هذه الآلة التى كان يستعملها العرب فى قياس أبعاد الكواكب والتى حل محلها الآن السكتسانت The Sexstant فى قياس الزوايا . ثم مجموعة أخرى كبيرة من الساعات الرملية ومجموعة أخرى من الآلات القديمة والحديثة لقياس الاتجاهات ولقياس الزمن ، (٤) ثم هناك ألواح زجاجية مضاءة من الخلف ومرسوم

عليها الظواهر الفلكية التى أمكن تصويرها فى مختلف مراصد العالم وتشمل صور الشمس والكواكب والسيارات والنيازك الهابطة وتجمعات الكواكب والبقع الغازية والشمسية الخ وترى بينها صورة مرصد جيبور (بالهند) الذى أسس فى القرن الثامن عشر ، بل ترى مرصد بكين (الصين) وربما كان هو أقدم المراصد . ثم ترى صورة توضح لك اكتشاف السير اسحق نيوتن أن أشعة الشمس مركبة من أطياف ذات ألوان متعددة The Spectrum وبعض هذه الصور تظهر لك مجسمة فتريك الشيء كأنك تنظر إليه هو لا إلى صورته .

ولكن لندع كل هذا ولندخل إلى المرصد نفسه حيث الصالة الكبيرة التى تسع ٧٥٠ متفرجا والتى لها قبة تختلف عن كل القباب ، فهى ليست للزينة بل بنيت على أساس خاص لغرض علمى خاص .

هذه القبة الخارجية هى نصف كرة تماماً يبلغ قطرها ٨١ قدماً ، أما سمكها من المسلح فحوالى ثلاث بوصات غير أن سمك حزامها يبلغ إثنى عشر بوصة ، وهذا الحزام مركب على قوائم من الصلب تدعم البناء جميعه ، وهذه القبة تحمل بدورها القبة الداخلية وقبة العرض ، التى يبلغ قطرها ٧٥ قدماً ووزنها خمسة عشر طناً من الصلب والمواد الأخرى . هذه القبة الداخلية شكلها كروى فى القمة ثم تنزل تدريجياً إلى شكل مبانى مدينة نيويورك New York Sky Line الذى يرتفع عن أرضية الغرفة بحوالى تسعة أقدام . والغرض من هذه القبة الداخلية أن تؤدى وظيفة شاشة العرض لجهاز المرصد . وقد بنيت بحيث لا يحدث داخلها ترديد لصدى صوت المحاضر ، بل يمتص الصوت امتصاصاً تاماً .

المقاعد

وقد تعجب لأنى أصف لك المقاعد البالغ عددها ٧٣٣ ولكن صدقنى أنهم قد أعطوا هذه المقاعد من الدراسة والبحث أكثر من أى شىء آخر حتى يضمنوا أن يكون الجالسين مستريحين إلى أقصى الدرجات وبهذا يركزون اهتمامهم كلية إلى المعلومات الفنية التى سوف تلقى عليهم . والمقاعد من الخشب المثبت فى الأرض وهى مرتبة فى شكل نصف دائرة إلا أن هذه الفوتيلات لها ظهر مجوف يسمح للجالس أن يحرك أكتافه فى جميع الاتجاهات مع بقائه مستريحاً مسترخياً ، وإمعاناً فى الراحة يمكن للجالس إمالة هذا الظهر إلى الخلف بمعدل عشر درجات .

الصالة والقبة

والآن لندخل إلى الصالة : هنا ترى معلقاً فيها من أعلا نماذج للجهاز الشمسى فى منطقة عرضها أربعون قدما تشمل نماذج الشمس والكواكب التى تحيط بها ومنها الأرض وأنت إذ تنظر إليها يخيل لك أنك تنظر إلى العالم بأسره . والشمس هى الكوكب (الكرة) الكبرى المدلاة من السقف وعلى أبعاد مختلفة منها تتدلى الكواكب الأخرى وأقربها عطارد Mercury ثم المريخ Mars (ولعلك تذكر الضجة التى قامت بشأن سكانه ومحاولة الوصول إليه) ثم المشترى Jupiter أكبر الكواكب وأضخمها بل هو أكبر منها كلها مجتمعة ثم زحل Saturn بحلقاته الجميلة المحيطة به .

وترى هذه المجموعة العجيبة تدور حول الشمس وكذلك يدور كل منها حول نفسه كما هو الحال فى الطبيعة تماماً بل إن سرعة دورانها والتفافها يمثل الحقيقة تماماً وترى القمر (مثل الكرة الصغيرة) يدور حول الأرض

كما أن هناك قمرين صغيرين يدوران حول المريخ ويمكنك أن ترى أربعاً من أقمار المشترى الإحدى عشر تدور حوله وكذلك ترى خمسة أقمار تدور حول زحل .

وحتى تصبح الصورة مطابقة للحقيقة تماماً فإن نموذج الشمس هو الوحيد المضىء أما النماذج الباقية فتراها مضيئة فى النصف المقابل للشمس فقط (أى الجزء الذى يمثل نهارها) .

وأنت إذ تستمر فى تتبع حركات الكواكب ترى كيف يولد القمر ثم كيف يزداد حتى يكتمل ثم تفهم كيفية خسوفه عند ما تظلله الأرض وكيف يحدث كسوف الشمس عند ما يقع القمر بينهما وبين الأرض تماماً .

ولم يكن فى الإمكان (نظراً لأن مقاس سقف الغرفة محدود) أن تظهر الكواكب السيارة البعيدة مثل : نبتون ,Neptune وبلوتو Pluto ويورانوس Uranius

العرض

يبدأ المحاضر فى شرح الكواكب التى وصفتها لك فيما سبق ثم يستدرج إلى الموضوع الأصلى فترى الأضواء وقد أخذت فى الخفوت والليل قادم عليها وترى الغرفة وكأنما قد تحولت إلى ساحة مكشوفة تظهر لك أبنية مدينة نيويورك وسماءها الرائق وقد تألقت فيه الكواكب ولا تدرى كيف اختفت الجدران ، لكن المنظر الجميل الأخاذ يسحرك بجلاله ورونقه كما أنك تسمع موسيقى رقيقة هادئة تأتيك من أبعاد سحيقة كأنها أنشودة هذه العوالم السحيقة وترى الملايين من الكواكب البراقة كالجواهر منظومة ومنثورة فلا تصدق إلا أن هذه هى السماء الحقيقية يبهرك ليلها الصافى وكواكبها المتألقة .

ثم يأخذ المحاضر فى كلمته « والآن وقد جاء المساء فسأشرح لكم الكواكب ودورتها » . ويبدأ يريك دورة الشمس والقمر والكواكب فتفهم كيف يبدأ القمر هلالا ثم يتدرج حتى يصير قرصاً مضيئاً كبيراً وتفهم ، للمرة الأولى ، حركة الكواكب السيارة وهبوط النيازك إلى آخر القصة .

وتستمر المحاضرة أربعين دقيقة نتعلم فيها مالم نكن نعلم ونحن مسحورون مأخوذون بهذا الجمال ثم يقول لنا حضرته إن الليل كاد ينتهى والصبح يطلع فتهب علينا تباشير الفجر ويبتدىء ظهور الضوء ثم تأخذ الشمس فى الطلوع طاردة أمامها ما تبقى من ظلام الليل .

كيف يتم كل ذلك ؟

والآن سأصف لك الجهاز العجيب الذى يجعل كل ذلك ممكناً . هو آلة غريبة الشكل طولها ١٢ قدماً ولها كرة فى كل من طرفيها وتظنها بروجكتور Projector واحد ولكنها فى الحقيقة مكونة من عدة آلات تلقى على شاشة العرض (القبة) الكواكب الثابتة والقمر وكذلك الكواكب السيارة . وإحدى الكرتين لكواكب نصف الكرة الأرضية الشمالى والآخر للنصف الجنوبى — وشرائح الفانوس الزجاجية مرتبة بحيث تعطى صورة واحدة مسلسلة .

والآلة بكل محتوياتها مركبة بحيث يمكنها أن تدور دورة مستقلة على أى واحد من ثلاث محاور : فيمكنها (أولا) أن تدور على محور مواز لمحور الأرض بين القطبين ، وبهذا ترى صورة السماء كما تظهر فى دوران الأرض اليومى ، خلال الأربع وعشرين ساعة. (وثانياً) يمكن أن تدور على محور عمودى على اتجاه دوران الأرض حول الشمس وهذه الحركة كفيلة

بأن تدير القطب الشمالى للسماء فى الدائرة التى يتمها خلال ستة وعشرين ألف عام . وبما أنه يمكن أن يديرها إلى الامام أو إلى الخلف فيمكن للمحاضر أن يرينا صورة ترتيب نجوم السماء فى أى سنة ماضية أو سنة لاحقة وفى الواقع قد رأيت فى نيويورك وفى مرصد « أدلر » بشيكاغو محاولة ناجحة لإظهار صورة السماء وقت مولد السيد المسيح عليه السلام .

(والثالث) محور مستعرض شرقا بغرب وهذا يريك السماء فى خطوط العرض المختلفة فيمكنك أن ترى السماء فى أرض شمس نصف الليل Land of Midnight Sun حيث تظهر الشمس فى منتصف الليل . وكذلك صورة السماء كما ترى فى القطب الشمالى وكيف تتحرك الشمس والكواكب هناك . كما أنك إذا نزلت إلى القطب الجنوبى لرأيت سحب المجلان Magellanic Clouds والمظلة Canopus والصليب الجنوبى The Southern Cross .

ويمكن تغيير سرعة الآلة كما تشاء ولذا يمكنك أن تشاهد حقبة كبيرة من الزمن فى وقت قصير جداً .

وقد أدخل على المرصد والجهاز عدة إضافات جعلت فى الإمكان مشاهدة كسوف الشمس الكلى والجزئى . وكذلك العواصف الرعدية مع كل ما يصحبها من سحب وبرق . ثم يمكن الإنسان مشاهدة ما سوف تلاقيه فى (رحلة إلى القمر) و (نهاية العالم) و (المريخ العجيب) و (لماذا يتغير الطقس) الخ . وترى أهمية هذه المواضيع عندما أخبرك أن هذا المرصد أصبح مركزاً تعليمياً هاماً لا لطلبة المدارس والجامعات فقط بل كذلك للطيارين والملاحين والبحارة الذين يحضرون فى جماعات لتلقى محاضرات منظمة مدرسة فى شتى المواضيع الفلكية والملاحية .

الخلاصة

إن هذا المرصد هو تياترو (مسرح) خشبته العالم بأسره وممثلوه هم هذه الأجسام المتألقة التى تسبح فى اللانهائية . وفى هذه القاعة ، وبواسطة جهاز يحتوى عدة أزرار ومفاتيح ومرايا ، يمكن للمحاضر أن يرينا العجب من تجمعات وتحركات هذه الكواكب التى قد تصل إلى الألفين عدداً كأنما هو يتحكم بآلته فى الكون . وكان كل منا وهو جالس فى هذه القاعة يشاهد الكواكب جميعاً ومنها أرضنا ويشهد دورانها وكيف تحصل على الضوء وعلى الدفء ويطوف بالعوالم اللانهائية فى صورة جميلة أخاذة ثم يعود إلى حيث كان — كل ذلك فى مدى ساعة من الزمان .

وأحسن ما أختتم به هذا الشرح هو ما قاله المستر «شارلس هايدن» الذى كانت هبته المالية هى الأساس فى إنشاء المرصد . قال « إنى أعتقد أن هذا المرصد ليس مكاناً للتعليم والتثقيف فحسب ، بل إنه يريك بصورة واضحة ضخامة هذا الكون وعظمته وأنه لا بد أن هناك قوة تفوق الإنسان بمراحل ، قوة عظيمة تلك التى ترتب كل هذه المعجزات » .

منظر عام لمباني مدينة نيويورك ↑

ميناء نيويورك وترى الباخرة « الولايات المتحدة » كبرى عابرات المحيط ↓

شارع برودواى بالليـــل وكذلك جزء من « ميدان التيمز »



دار أوبرا المتروبوليتان بنيويورك
أثناء تمثيـــل أوبرا « كارمن »



أحد مناظر المهرجان الذى تنظمه محلات متاجر « ماسى » بمناسبة عيد الشكر فى شهر نوفمبر من كل عام

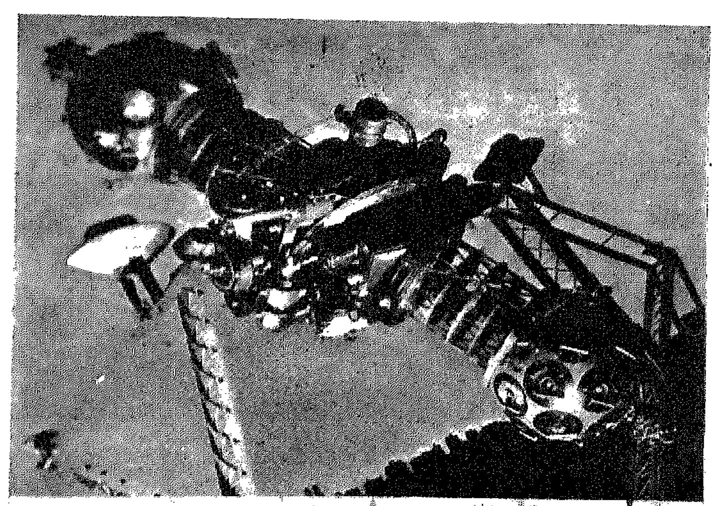
قاعة الجمعية العمومية بهيئة الامم المتحدة اثناء احدى الجلسات



منظر « روكفلر بلازا » وترى اعلام جميع الدول والنافورة واحد مداخل البناية

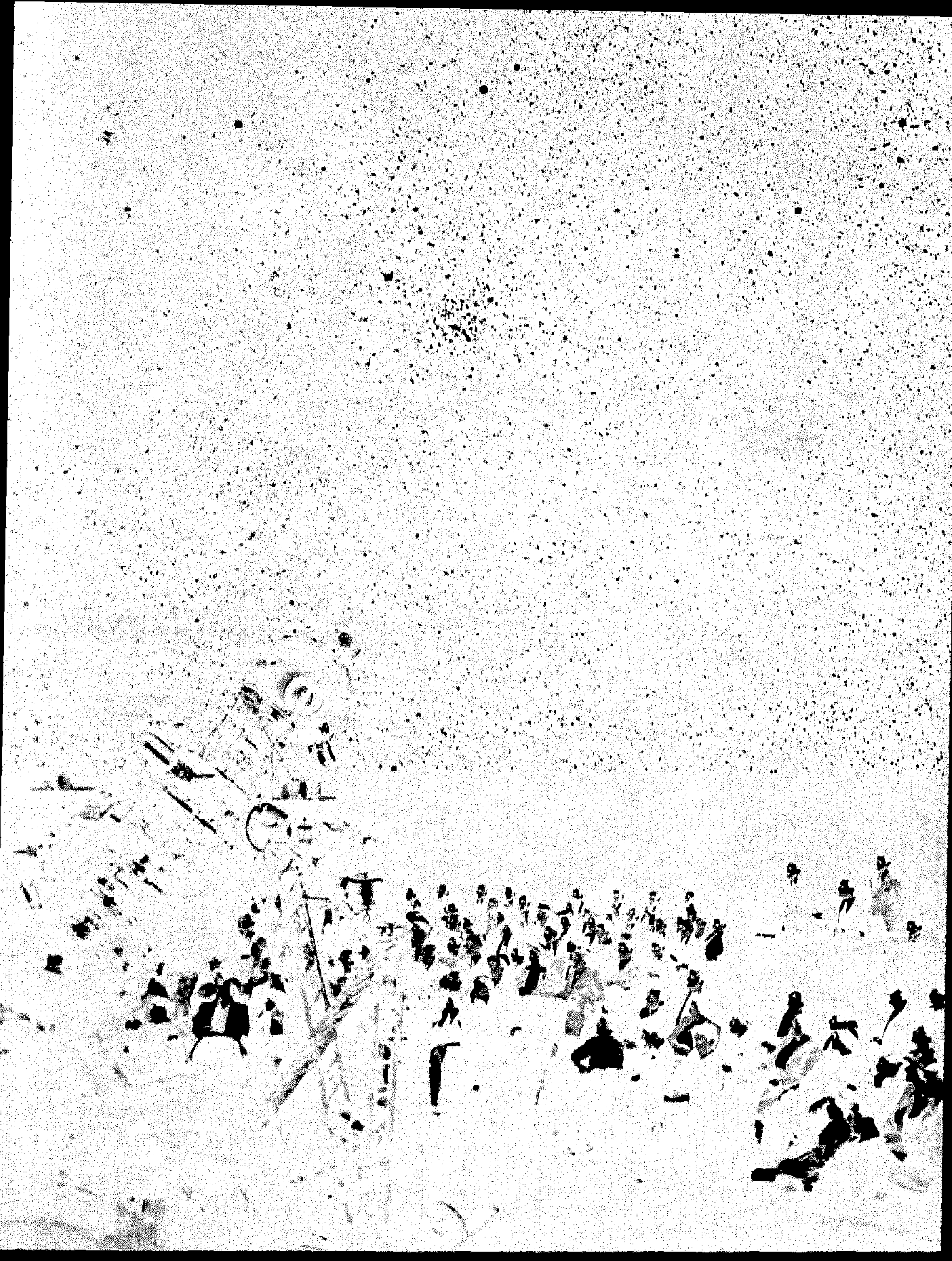
HAYDEN PLANETARIUM

مدخل مرصـــد « بلانيتيريوم » هايدن بنيويورك



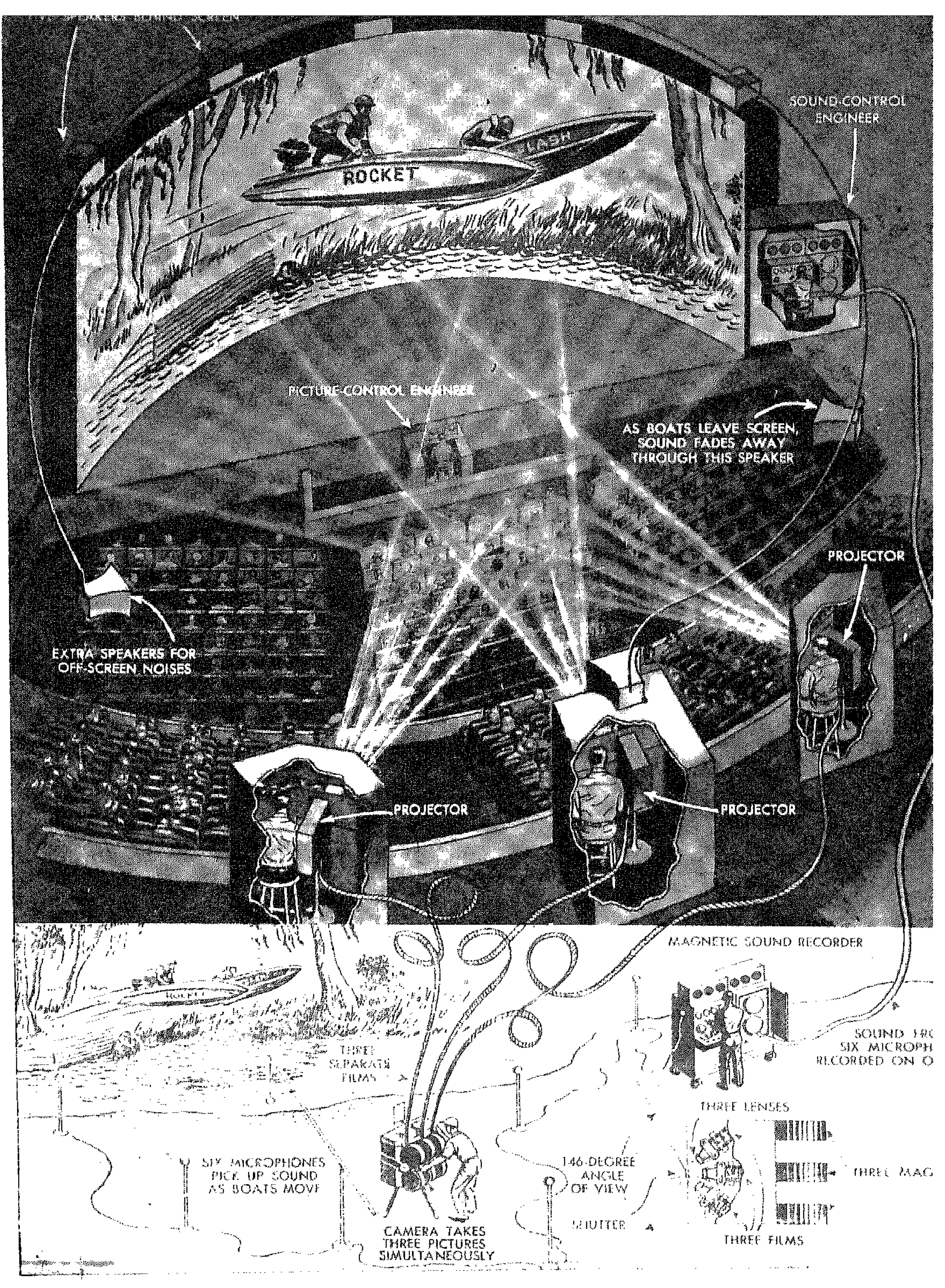
26.—The planetarium machine at the Hayden Planetarium, New Yo
City. (*Photograph, Courtesy American Museum of Natural History.*)

الجهـــاز العجيب الذى يظهر
الكواكب ودورانها فى السموات



صالة المحـــاضرات في المرصـد وترى الـكواكب والنجوم كمـــا

تظهر اثناء المحاضرة



جهاز السنيراما ـ الجزء الاسفل يبين طريقة اخذ المنـــاظر

والاصوات والجزء الاعلى يبين اخراجها على الشاشة



منظر شلالات نياجرا من جهـــة كندا



بحيرة روتشستر وقد تجمدت
مياهها ويرى البط البري المستأنس

ديترويت

DETROIT

كانت مدينة ديترويت ضمن برنامج زيارتى قبل أن أغادر مصر حيث تلقيت دعوة كريمة من شركة بارك ودافيس (Parke, Davies & Company) لتحضير الأدوية ، عندما علموا بعزمى على زيارة الولايات المتحدة ، هذا فضلا عن أنى كنت أتوق لزيارة مصانع فورد للسيارات التى طارت شهرتها فى جميع أنحاء العالم .

وعند نزولى من الطائرة قابلنى منظران عجيبان أولهما الأرض المغطاة بالثلوج (وكنا فى شهر ديسمبر) وثانيهما موديلات ١٩٥٣ للسيارات وخاصة سيارة دودج المعروضة فى وسط صالة المطار كالعروس الجميلة وقصدت إلى فندق « شيراتون — كاديلاك » أفخم فنادق المدينة وله ٢٩ طابقاً ومئات الغرف فى كل منها راديو وجهاز تليفزيون عدا الحمام والأثاث الفاخر .

وديترويت مدينة تجمع بين الجمال والصناعة : أسسها سنة ١٧٠١ « انطوان دى لاموت كاديلاك » A. de la Motte Cadillac وتبادل الحكم فيها الفرنسيون ثم البريطانيون وأخيراً الأمريكان ومنذ نصف قرن وهى مركز صناعة السيارات . وتنتج اليوم ٩٦٪ من سيارات أمريكا كما أنها مصدر هام للمركبات الصيدلية ولعمل البويات والثلاجات الكهربائية وآلات الطباعة والأفران الخ وصارت رابع مدينة فى أمريكا وعدد سكانها ١,٨٧٥,٠٠٠ نسمة .

مصانع فورد Ford Assembly Plant

إذا زرت مصانع فورد فكأنك زرت جميع مصانع السيارات الأخرى

وإن كان هذا أكبرها . وبعد ان تقيد اسمك وعنوانك تركب أوتوبيس الشركة إلى المصنع نفسه وهنا تجد أن الحديد الخام يدخل الأفران ومعه بقايا الحديد (النفاية) الخردة ويصهر الجميع إلى درجة حرارة ٣٥٠٠° فيحول إلى قطع صلب ضخمة ثم أنت تتبعها من مكان إلى مكان ومن فرن إلى أخرى وترى كيف تتحول إلى أجزاء السيارة المختلفة ، ثم ترى كيف تضم تلك الأجزاء بعضها إلى بعضها حتى « تولد » سيارة فى الطرف الآخر من المصنع وفى الواقع تولد سيارة فورد كل ٥٥ ثانية .

وهناك مصانع لفورد موجودة فى أنحاء مختلفة من الولايات المتحدة ولكن مصنع ديترويت هو أكبرها .

نهر ديترويت Detroit River

هذا أشبه بالبوغاز منه بالنهر ، إذ هو يصل بين البحيرات الكبرى العليا والسفلى وعرضه نصف ميل وعمقه خمسون قدماً ولكنه ينقل بضائع ومنتجات قارتين ويقال إن البواخر الكبيرة التى (تشبه عابرات المحيط) والتى تمر به تنقل بضائع أكثر مما ينقل عبر قناة بناما والسويس مجتمعتين بل إن مجموع الأشخاص الذين يدخلون ويخرجون من ديترويت سنوياً يبلغون خمسة عشر مليوناً .

سباق اليخوت Yacht Regatta

وهذا يقودنى أن أقول لك كلمة عن سباق اليخوت بعد أن شاهدت مكانه يوم أن تغديت مع أطباء شركة بارك ودافيس فى نادى اليخوت Yacht Club وأكلنا سمكا طازجاً من البحيرة .

وقد أصبحت ديترويت شهيرة بحفلتها السنوية (Regatta) ، حيث يتهافت الهواة على مشاهدة السباق آتين من جميع أنحاء أميركا ومن أوروبا . والسباق يكون بين جزيرة بل Belle Isle والشاطىء الأمريكى حيث تكون مياه نهر ديترويت هادئة والرياح مواتية للسباق الذى يشهده الملايين وتخرج ديترويت بأجمعها (تاركة أعمالها) لمشاهدة السباق فى نهاية الأسبوع وتلبس المنطقة كلها أحلى زينتها ويبلغ الحماس أقصاه .

الصناعات الكيماوية والصيدلية

وهذه تأتى بعد صناعة السيارات مباشرة ويساعدها أن ديترويت مبنية على مقربة رواسب ملحية من المحيطات تساعد على نمو وتنويع هذه الصناعات . وقد أنشئت أول كلية للصيدلة فى أمريكا فى ديترويت سنة ١٨٦٨ .

شركة بارك ودافيس The Parke, Davies Company

شعرت بسرور زائد لزيارة هذه المؤسسة العظيمة لا لأنهم دعونى فقط بل لأنى كنت أظن أن هذه المؤسسة بريطانية الأصل منذ أن كنت أدرس الطب فى انجلترا ، وكانت كل مطبوعاتها تصل مصر من لندن حتى كانت الحرب العالمية الثانية فبدأت المطبوعات تصل من أمريكا ولك أن تتصور دهشتى إذ أعلم أنها أسست أولا وقبل كل شىء فى ديترويت فى عام ١٨٦٢ وأن فرع الشركة فى بريطانيا لا يقاس بجانب المؤسسة الأصلية .

وقد استمتعت بزيارة المعامل والتحدث إلى الأطباء الفطاحل الذين يقومون عليها ولكن ما هزنى أكثر هو قسم المباحث الطبية وما يقومون به مما يبز ما تقوم به أكبر الجامعات .

وقد اتفقت معهم بواسطة الدكتور « يوجين بين » على أن نجرب

« الكلوروميستين » أقراصاً ومرهما فى علاج التراكوما بمصر وأن نجرب « الكاموفورم » فى علاج الدسنطاريا الأميبية عند رجوعى ومقارنة النتائج بنتائج المركبات الأخرى .

* * *

مسرح شوبرت The Schubert Theater

قال لى صديقى المستر « باور » : لماذا لا تذهب الليلة لتشاهد مسرحية الأربع أعمدة (The Four Posters) ويقصد بالأربع أعمدة أعمدة السرير (على الطراز القديم) وهى مسرحية عن حياة زوجين عاشا معاً ٣٥ سنة ، وقام بتمثيلها « جبسيكا تاندى » و « هيوم كرونين » (وهما زوجان فى الحياة الحقيقة) ولا يظهر على المسرح غيرهما ، ويجرى الحوار بينهما فترى المشاكل الزوجية والانفعالات النفسية ومتاعب الأولاد فى هذه الحقبة الطويلة . وصدقنى عندما أقول لك إن كلا منا سوف يجد صورة من حياته الزوجية على المسرح فى موقف أو أكثر من مواقف هذه المسرحية التى أرجو أن تترجم للعربية يوماً ما .

شـــيكاغو

CHICAGO

كنت أسمع فى كل مكان أن شيكاغو مدينة تزأر فيها الرياح ولـكن كان لابد لى من زيارتها لأعلم أن الحقيقة أشـد مما سمعت ، فقد وصلتها يوم السبت ١٣ ديسمبر وبعد أن وضعت عفشى فى غرفتى بفندق « اليرتون » قلت فلأخرج لمشاهدة واجهات الدكاكين فى شارع « ميشيجان » حيث يقع الفندق ولـكنى ما أن خرجت حتى وجدت الهواء يصفر فدمعت عيناى وعطس أنفى وكدت أطير من شدة الرياح ، فعدت سريعاً إلى قواعدى . وأصبح صباح الأحد فكان الحال أسوأ ، فالسماء مغبرة والثلج يغطى الأديم فجلست إلى المدفأة أقطع الوقت بقراءة نسخة الأحد من جريدة « الشيكاغو تريبيون » وهى طويلة ومنوعة ولـكن ما أن انتصف النهار حتى تولانى القلق والضجر فإنى لم آت لأجلس داخل الفنادق . قلت لنفسى فليكن ما يكون ولأخرج للطريق وعليه قصدت إلى مرصد « أدلر » (Adler's Planetarium) وهو يشبه مرصد « هايدن » بنيويورك (الذى سبق لى وصفه) وإن كان هذا الأخير أكبر وأحسن . وقد أقيم مرصد « أدلر » وقت إقامة المعرض الدولى بشيكاغو وأحدث ضجة كبرى إذ كان الأول من نوعه . وكانت المحاضرة فى ذلك اليوم على ظهور (نجمة بيت لحم) وقت مولد السيد المسيح عليه السلام وذلك بمناسبة اقتراب أعياد الميلاد .

وهناك مجموعة من آلات الرصد لفت نظرى منها استرولاب عربى وآخر مغربى من القرن السادس عشر وكان يستعمله العرب فى مراقبة حركة النجوم والقمر والشمس ووقت شروقها وغروبها والساعات بالنهار وكذا معرفة خطوط العرض . وقطر كل من الآلتين نحو عشرين سنتيمتراً .

بعد انتهاء المحاضرة خرجنا فوجدت الأرض مغطاة بطبقة كثيفة من الثلج ولكنى كنت مصمما على عدم الاستكانة فذهبت إلى دار الأوبرا وأخذت تذكرة لنفس المساء حيث مثلت رواية (دون جوان يذهب إلى جهنم) وهى من تأليف جورج برناردشو وكانت فى الأصل مكملة لرواية الرجل والرجل الأسمى Man & Superman ولم تمثل إلا أخيراً فى أمريكا . وأدى دور دون جوان « شارل بواييه » ودور الشيطان « فنسنت برايس » ودور التمثال « سير سيدريك هاردويك » ودور دونا أنا مثلته « اجنس مورهيد » . فإذا رفعت الستار وجدت أربعة كراسى وأمامها أربع طاولات ويجلس على كل منها أحد الممثلين ثم يبدأون الحوار حتى نهاية القصة . والقصة تتلخص فى أنه فى زمن مضى يحاول « دون جوان » تقبيل « أنا » التى تصرخ ويأتى أبوها وهو ضابط عجوز على صوتها ويتبارز الخصمان فيموت الأب ويهرب « دون جوان » من المدينة ثم بعد زمن طويل يزور « دون جوان » التمثال الذى أقامته البلد لتخليد الضابط ويدعوه لزيارته فى جهنم (بينما الضابط فى الجنة طبعاً) ويدور حوار طريف بين الجميع يجمع بين الفلسفة والأدب الرفيع ويحاول المؤلف أن يقنعك أنه لم يجد جديد على الانسان الذى لم يتقدم فى شيء قط سوى آلات القتال والدمار وترى أن « دونا أنا » ماتت فى سن ٧٧ فهى أكبر من أبيها ثم هى تدهش لأنها فى جهنم وتقول لو كنت علمت أن هذا سيكون مصيرى لتزوجت إحدى عشر وأنجبت واحدا بدلا من أنى تزوجت واحدا وأنجبت أحد عشر . وتنتهى القصة بأن يتمنى « دون جوان » أن يذهب إلى الجنة بينما يصر الجنرال على البقاء فى جهنم حيث أن المكان الآخر (الجنة) ممل ثقيل على النفس وليس به ولا حتى امرأة جميلة واحدة !!

قضيت اليوم التالى فى شيكاغو متفرجاً على المدينة طولا وعرضاً بواسطة أوتوبيسات الخط السنجابى The Gray Line .

وابتدأنا من الجهة التى يسمونها الحلقة The Loop وهو المركز التجارى الرئيسى ، ثم ذهبنا إلى حى البنوك والمال وأحد البنوك تذهب إليه بسيارتك وتصرف الشيك دون مغادرة عربتك على طريقة (Drive-in) ، ثم مررنا بشارع ذى طابقين ، وهو أول شارع من نوعه صمم بهذه الطريقة ، وتمر القطارات فى الدور الأعلى وبعد شارع ميشيجان ، (حيث البضائع الغالية) ، مررنا فوق نهر شيكاغو ووصلنا إلى قسم الأبراج وأنظفها برج « رجلس » (Wrigley's Tower) مصنع لبان المضغ ويغسل مرتين كل عام ليبقى أبيض نظيفاً وتتكلف كل غسلة ٥٠٠٠ دولار . ثم زرنا رصيف البحرية الممتد فى بحيرة ميشيجان ورأينا هناك بعض غواصات تستعمل للتمرين ثم شاهدنا شواطىء الاستحمام على طول البحيرة .

ثم زرنا التذكار الأهلى The National Memorial الذى أقيم بعد الحرب العالمية الأولى وأضيف إليه صور بعد الحرب الثانية . وترى فى الداخل وتحت القبة الجميلة أربع تماثيل : للحرية والعدالة والطهارة والأخوة .

وكل الذى ذكرته لك هو النصف الشمالى للمدينة وقد مررنا فى طوافنا بعدة تماثيل « لهانز كريستيان أندرسن » الكاتب القصص « وشكسبير » و « شيلى » و « جوته » و « لنكولن » ، كما أن هناك بناء هو صورة طبق الأصل لكنيسة وستمنستر (بلندن) وإن كان فى سدس الحجم الأصلى .

أما فى القسم الجنوبى فقد زرنا مصلحة البريد وأهم ما لفت نظرنا استعمال طائرات الهليكوبتر فى استحضار البريد من المطار ثم فى توزيعه على الضواحى القريبة وتنزل هذه الطائرات فوق سطح بناء المصلحة . ثم زرنا جامعة شيكاغو ومعهد مباحث السرطان وبعدها زرنا متحف العلوم والصنائع ، وهذا متحف عظيم حقاً ، إذ يريك صناعة البلاستيك وتطبيقها

فى شتى مطالب الحياة وكذلك صناعتى الزجاج والاليومنيوم ثم وجدنا كل الآلات الزراعية وكيف تستعمل ، وجهازاً مصغراً لمصلحة التليفون ويشغله ويشرحه لك أحد موظفيها . ثم هناك « منجم فحم مكتمل » تنزل اليه وترى كل العمليات كما سبق ورأيتها فى اسكتلندا .

وقد رأيت فى المكان الذى سبق أن أقيم فيه مهرجان شيكاغو منذ بضع سنوات تمثالا يمثل « أبونا الزمن » Father Time وهو فى الحقيقة مجموعة تماثيل تريك الشباب والصحة والقوة والجمال والعجز وقد قال شاعر فيلسوف يصف ذلك « أن الزمن لا يمضى : الزمن باق — إنما نحن الذين نمضى » .

الجمعية الطبية الأمريكية The American Medical Association

لما علمت أن المركز الرئيسى للجمعية الطبية الأمريكية هو هنا فى شيكاغو طلبت من الدكتور « جرانتج » مدير الصحة أن يهيء لى زيارتها وهناك قابلنى الدكتور « باور » مدير قسم الثقافة الصحية والدعاية . والبناء ضخم يضم عدة مكاتب وعدد الأعضاء يربو على ١٦٠ ألف طبيب . وتهتم الجمعية بنشر الثقافة الصحية فى نشرات أنيقة ملأى بالصور فى مختلف المواضيع ، ثم هى تستعين أيضاً بالراديو وأحياناً بالتليفزيون بل إنها دفعت مبلغاً كبيراً للممثل « شارلس لوتون » ليقوم بالقاء البرنامج الصحى . وهناك معمل كيماوى بكترلوجى يقوم ببحث مختلف الأدوية حتى لا يعلن عن دواء فى المجلة إلا إذا كان نفعه مؤكداً .

وللجمعية مطبعتها (فى البدروم) وتقوم بطبع المجلة وغيرها من النشرات وكذلك طبع المجلات الأخرى التى تخرجها الأقسام التخصصية مثل

مجلة الجراحة وأمراض القلب الخ . . . وهناك مجلة لا بد من ذكرها هنا وهى مجلة « طالب الطب » والغرض منها تقديم طالب الطب إلى المهنة وتعريفه بأغراض الجمعية . ثم هناك مجلة « صحة اليوم » Today's Health لتعريف الجمهور والأطباء على السواء بالمسائل الصحية العامة . ومن طريف ما يذكر أن عمال مطبعة الجمعية الطبية لا ينتقلون إلى غيرها حتى ولو عرض عليهم مرتبات مغرية ويظهر أنهم يشعرون أنهم فى مستوى أعلى من زملائهم فى الصحف الأخرى مثلا وقد سألت رئيسهم فى ذلك فقال إننا نبقى هنا لأننا ندرك أننا لا نطبع إلا كل ما هو حق ! !

وبعد زيارة مفيدة تفضل الدكتور « باور » فدعانى وثلاث زملاء آخرين لتناول الطعام فى مطعم « كونجزهولم » Kunigsholm Restaurant وهو فريد فى بابه فهو مبنى فخم يشبه فى مدخله وفرشه وسلالمه الرخامية القصور كما أنك يمكنك — بثمن محدود — أن تأخذ ما تشاء من الأطعمة المرصوصة على الترابيزة فى وسط المكان عدة مرات . فهناك المشهيات ثم اللحوم ثم الأسماك والخضروات والحلويات والفواكة ، ولم نقدر على كثير منها . وقال الدكتور « باور » « أنه يعملها مرة واحدة كل شهر » وهناك أمر آخر لا مثيل له ، ذلك أنه يوجد بالبدروم مسرح عليه قراقوز Marionettes وهناك اسطوانات لجميع الأوبرات الشهيرة ولك أن تطلب ما تشاء منها وقد طلبنا فعلا الفصل الثانى من أوبرا عايدة وكان مشهداً ممتعاً وموسيقى عظيمة . وهذا المسرح هو لرواد المطعم فقط ولا يتقاضون منهم أجراً .

* * *

قضيت اليوم الخامس مع الدكتور « جرانيج » Dr. Granning مدير صحة المدينة فشرح لى نظام العمل الصحى ومقاومة الأمراض وبحثنا كل

المسائل الصحية وعند الظهر صحبنا هو ومساعده ومدير قسم الثقافة وذهبنا إلى مطعم التراس The Terrace Restaurant وهو من دورين وتقوم بالخدمة فيه فتيات يونانيات جميلات بلباسهن الوطنى وقد أكلت لحماً ضأن وأرزاً على الطريقة المصرية وكان لذيذاً وبعد الانتهاء يقدمون لك كارت بوستال عليه صورة المطعم لترسله لأصدقائك ويدفعون هم أجر البريد .

فى المساء ذهبت إلى مسرح الممثلين المتحدين United Artists حيث كان يعرض فيلم « قابل القبطان كيد » ويمثله « شارلس لوتون » ومعه « بد أبوت ولوكوستلو » Abbott & Costello وكان المقرر أن يحضرا هذه الليلة وفعلا حضرا الساعة الثامنة مساء وهما فى الطبيعة كما فى الأفلام تماماً وأخذا يتبادلان النكت ثم ابتدأ أبوت (الطويل) يفاخر ببلده قائلا « تصور إنى فى الصباح تركت الميدان الذى أمام منزلنا خالياً ولما عدت مساء كانت هناك عمارة من خمسين طابقاً » فرد كوستيلو (القصير) وهل هذا شىء عظيم ! إنى صباح اليوم خرجت لأركب التاكسى ووضعت رجلى اليمنى فى الداخل وكانت النافورة فى وسط الميدان وقبل أن أضع الرجل اليسرى رأيت مكان النافورة عمارة من ماية طابق . فقال له الآخر « يا شيخ بلاش تنش » فاستمر يقول وليس هذا فقط ، بل كانوا يرمون عفش الناس إلى الشارع لأنهم تأخروا فى دفع الأجرة ! ! وكان رد الأول قلماً ساخناً على قفا كوستيلو ! ألم أقل لك إنهما كانا كما تراهما فى الأفلام تماماً .

* * *

فى اليوم السادس والأخير زرت صباحاً شركة ومعرض « انترناشيونال هارفستر » (International Harvester) للآلات الزراعية ، وكنت شاهدت بعضها فى متحف العلوم والصناعات ، وقد شرحها لى مستر « كايزر »

ووعد بارسال الكتالوجات لمصر . وبعد ذلك قصدت مع مستر «سالازار» إلى جنوب شيكاغو حيث معامل « أرمور » Armour Laboratories وهى شركة كبيرة جداً فى شمال وجنوب أمريكا مختصة بتربية الحيوانات وذبحها وتقطيعها وتجهيزها وتبريدها للأكل وتشم رائحة الذبح قبل أن تصل للمكان بمراحل .

وكان غرضى هو الاطلاع على المستحضرات الطبية التى يجهزونها مثل الجماجلوبين والكورتيزون الفبرين . وفى الحق إنهم يستفيدون من كل البقايا . وقد أعجبت بنوع خاص بعملية إزالة الفص الأمامى والخلفى للغدة النخامية Anterior and Posterior Pituitary فى الفأر الأبيض ثم تجربة الأدوية الجديدة عليه .

والمستر « سالازار » أصله من كوبا ولذا نصحنى أن أزور فرع الشركة الموجود فى كوبا قائلا إنك سوف تتمتع بمباهج هافانا فإنها « باريس الصغيرة » وهى قريبة من ميامى التى سوف تزورها .

ولكنى لا أظن أنه سوف يبقى معى أى دولارات لزيارة أى باريس مهما صغرت .

كاليفورنيا

CALIFORNIA

لو أنك كنت من أهل بلد معتدل المناخ (بل معتدل جداً) كمصر ثم طوح بك فجأة — وفى الخريف وبدء الشتاء — إلى الولايات المتحدة وبقيت فى مقاطعاتها الشرقية والشمالية شهرين كاملين معرضاً كل يوم للرياح الباردة والأمطار الهاطلة والثلوج النازلة حيث لا ترتفع درجة الحرارة عن ٣٠° ف وهى فى الغالب تحت الصفر بعشرين درجة أو تزيد ولو أنك وجدت نفسك فى آخر شهر ديسمبر فى بلد مقبض مثل أوماها (بولاية نبراسكا) حيث اجتمعت عناصر الطبيعة التى ذكرتها مع خلو المدينة من وسائل الترويح أو الترفية — حتى الأفلام شاهدتها قبل ذلك بشهر كامل فى مكان آخر — فإذا أضفت إلى ذلك أن جميع من لاقيت يمتدح لك مقاطعة كاليفورنيا ومناخها ومناظرها الخلابة وسماحة ورقة أهلها . لو تصورت كل ذلك لوضح لك شعورى فى ذلك الصباح من يوم الثلاثين من شهر ديسمبر وأنا أدعو الله أن يوفقنى لايجاد مكان فى الطائرة المسافرة غرباً . حقاً لقد كان أشهى الأصوات وأكثرها موسيقية صوت الآنسة الموظفة بشركة الطيران وهى تبشرنى بإمكان السفر الساعة الحادية عشر صباحاً بالطائرة الكبيرة « عابرة القارات » Trans-continental التى تسافر من نيويورك إلى سان فرانسيسكو .

وكانت الرحلة غرباً لذيذة حقاً وفى منتهى الراحة ، ولما وصلنا مدينة « دنفر » (Denver) توقفنا قليلا وقدمنا عقارب ساعاتنا ساعة واحدة . وتلطف القبطان فهبط حتى صار على مسافة قليلة من الأرض فمتعنا النظر

برؤية جبال الروكى وثلوجها والأخاديد الكثيرة بينها وهكذا رأينا ما كنا سوف نراه لو ركبنا القطار واقتصدنا كثيراً من الوقت وهو يقدر بالفرق بين تسع ساعات بالطائرة وأربعين بالقطار .

ولما وصلنا مدينة « سولت ليك » ، البحيرة الملحاء Salt Lake City هبت علينا نسمات المناخ المعتدل للمرة الأولى منذ شهرين فأمكننا أن نخرج إلى عراء المطار وأن نتفرج عليه وكنا قبلا نهرع إلى الداخل كلما توقفنا . ومن هذه المدينة ركب إلى جوارى المستر « جيمس هاموند » نائب رئيس الشركة الأهلية للصناعات وهو من أهالى سان فرنسيسكو وأدلى إلى بمعلومات كثيرة مفيدة عن هذه المدينة أعطتنى فكرة صحيحة عنها .

سان فرانسيسكو
SAN FRANCISCO

وصلناها فى أول المساء وكان هناك مطر خفيف ولكن من ذا الذى يهتم بذلك ما دامت الحرارة هى ٦٥ — ٧٥° ف . ومن العجيب أن زميلتى المس « لاتيمور » شكت من البرد فقلت لها يا سيدتى إذهبي إلى روتشستر أو شيكاغو أو أوماها لترى ما هو البرد الحقيق ! !

وكنت قد قررت أن أمضى فى سان فرنسيسكو عشرة أيام فقط ولكن هذه العشرة امتدت إلى ثلاث أسابيع وحتى هذه قصرت عن أن أرى كل ما كنت أحب أن أراه فى الطب والإصلاح ومتعة الطبيعة ، ولكن للبرنامج أحكام . وكم شعرت بالأسف لفراق الأصدقاء العديدين الذين تعرفت إليهم هناك .

ولا أدرى كيف أصف لك كل شيء ولذا سأقتصر على الأهم وأترك غيره وإلا لما اتسع المقام لكل ما فى ذاكرتى .

وتقع مدينة سان فرنسيسكو فى منتصف الساحل الباسيفيكى ، بل هى المركز الرئيسى لكل هذه المنطقة وتحوطها مئات المصانع وتوكيلات الشركات وفروع الإدارات الرئيسية للحكومة المركزية . ويبلغ تعداد سكان منطقة خليج سان فرنسيسكو ثلاثة ملايين ومائتى ألف نسمة كما أن صافى الدخل يتعدى الخمسة بلايين دولار أى أن دخل الفرد الواحد يزيد على ١٦٠٠ دولار سنوياً .

وتتصل المدينة بثلاث خطوط حديدية تخترق أمريكا شرقاً وشمالا وجنوباً كما أن هناك أربع شركات جوية تصل إليها . أما المواصلات

البحرية فهناك خمسون خطاً ملاحياً يصل إلى الميناء وبذلك تكون هى الميناء الثانية فى أمريكا من حيث ضخامة الملاحة البحرية . أما الصناعات فتجد كل شىء هنا من صناعة السيارات إلى التعدين إلى صناعة الزيت وتكريره إلى صناعة حفظ الأغذية على منوال واسع . ويكفى هذا فى بيان غنى المنطقة ، فلأقتصر هنا على شرح بعض المناظر البهيجة إذ قد ذكرت لك — فى فصول أخرى — ما شاهدته من تقدم فى فروع الطب وما شاهدته فى زيارتى لسجن « سان كوينتن » وسجن جزيرة « الكالتراز » .

منتزه الباب الذهبى Golden Gate Park

إنى أبدأ بوصف هذا المنتزه لإعتقادى أنه عمل فريد حقاً ، فهو قطعة أرض من الرمال الخشنة المتحركة على شاطىء المحيط أحالها جون ماكلارن (John Mc Laren) إلى حديقة فيحاء مساحتها ١٠١٣ فداناً تحوى أكثر من خمسة آلاف نوع من الأشجار والأزهار البديعة فوق ما أنشىء فيها من أشياء أخرى أهمها :

(١) منازل للخيل حيث يمكن استئجارها للركوب فى طرقات المنتزة .

(٢) متحف للعلوم والفنون Science Muscum وكذا مرصد للنجوم مثل مراصد « هايدن » « وادلر » .

(٣) أحواض لأنواع الأسماك النادرة فى المحيط .

(٤) مسرح خلوى كبير حيث تقام حفلات موسيقية كل يوم أحد يؤمها الناس مجاناً . وقد هذبت الأشجار الموجودة بين المقاعد بشكل يسمح بنشر غطاء عليها لوقاية الجالسين فى الأيام المطيرة .

(٥) حديقة يابانية بها تمثال كبير لبوذا وكذلك كبارى خشبية وتنسيقات يابانية .

وفوق ذلك خصص « ماكلارن » جزءاً من المنتزة لجلوس الجماهير فى نهاية الاسبوع حيث يطعمون ويلهون ويلعبون .

وقد تعلق مكلارن بالمنتزه الذى قضى فى تنسيقه ثلاثين عاما والذى أصبح جزءاً من نفسه وحياته حتى أنه رفض أن يحال على المعاش ولما اضطر إلى ذلك رفض أن يسلم رسوم مواسير الرى وتصريف المياه حتى أجبر على ذلك جبراً .

ارسالية الآلام Mission Dolores

بنى هذا المعبد منذ ١٧٥ عاماً قبل إعلان الاستقلال بخمسة أيام وكان الذى بناه أحد الآباء الفرنسيسكان ومن هذا الاسم اشتقت المدينة اسمها وكان اسمها أصلا « يربابينا » Yerba Buena (لما كانت تحت حكم الأسبان ، ومعناه بالأسبانية « النبات الطيب ») واشتقت اسم دولوريس (الآلام) من البحيرة المجاورة (Loggio Dolores) والمكان يحتوى على كنيسة ومقبرة تضم رفات بعض الآباء الأول . أما سقفها فمصنوع من الخشب الأحمر (Red Wood) ومرسوط بالجلد الخام ومدهون هو والجدران بالألوان المشتقة من الزهور النباتية الطبيعية ، وقام بكل ذلك الهنود الحمر أنفسهم . وأنت إذ تزور المكان تشعر أنك تعيش فى الأيام الأولى للعصر الإسبانى بكاليفورنيا .

أسكلة السماكين Fishermen's Wharf

لابد لك أن تزور هذه المنطقة لتشاهد عملية صيد الأسماك إذ ترى كل

أنواع سفن الصيد مرصوصة جنباً إلى جنب ابتداء من القوارب الصغيرة إلى المراكب الميكانيكية الضخمة لصيد التونة . فاذا مازرت المنطقة ليلا وجدت منظراً مضيئاً بهيجاً ورأيت عربات وعربات عديدة محملة بالأسماك المعروضة للبيع وكلها طبعاً طازجة وأكثرها « سرطان البحر » ينتظر أمرك ليسلق لك فى التو ويقدم لك طعاماً شهياً . وفى الواقع أصبح هذا النوع من السمك (crab) دليلا على المنطقة حتى إن ماسكات المفاتيح والدبابيس التذكارية والولايات كلها تحوى سرطانات صغيرة داخل العلب الزجاجية . ويمكنك شراء كارت بوستال ضخم جداً مرسوم عليه الأسكلة لترسله لأصدقائك تذكاراً ودليلا على زيارتك .

وقد تعشينا فى مطعم ترانتينو الشهير Tarantino Restaurant وهو فوق قمة الأسكلة وتشعر وأنت تأكل كأنك جالس فى باخرة تسير فى المحيط — وقد قدم لنا رئيس الخدم طبقهم المفضل سمك موسى مشوى مع الزبدة وكان من ألذ ما أكلت .

عربات الترام Cable Cars

هذه العربات « أنتيكة » بكل معانى الكلمة وهى من علامات الزمن الذى مضى ولكنهم يبقون على بعضها للذكرى وتشتغل بطريقة خاصة ويصلها التيار عن طريق أسلاك أرضية ومع أنها قديمة جداً إلا أن لها قدرة عجيبة فى صعود مرتفعات المدينة . وقد ركبتها لتجربتها من مبدئها فى شارع باول وارتفعت إلى تل نوب Nob Hill ثم أوصلتنا إلى أسكلة السماكين ولما رأيتها للمرة الأولى لم أصدق عينى وظننتنى رجعت إلى القاهره — لا قاهرة اليوم — بل القاهرة منذ عشرين عاما بعربات ترامها المكشوفة جداً والمزدحمة جداً

يتشعلق بها الركاب معرضين للبرد والأمطار . ولابد أن للعاطفة شأناً فى الإبقاء عليها حتى الآن بل إنك لترى فى كل مكان صور وتماثيل هذه العربات معروضة للبيع كأنما هى الدليل الأكبر على سان فرنسيسكو . وفى الحق إن هذا النوع من العربات لا يوجد فى أى مكان آخر .

نوب هل Nob Hill

كانت هنا مساكن عظماء المدينة وأغنيائها ولم يبق منها الآن إلا مقر نادى اتحاد الباسفيك Union Pacific Club وفوق قمة التل يوجد فندق مارك هوبكنس Mark Hopkins وأنت إذ تأخذ المصعد فى الفندق تصل إلى الطابق الثامن عشر أى إلى مايسمى Top of the Mark وهناك يطالعك منظر بديع لكل المدينة وخليجها نهاراً وليلا فلا تنس ذلك .

تل التلغراف Telegraph Hill

لا يخطىء النظر وجود هذا البرج العالى الذى كان يستعمل فى الماضى لمراقبة السفن الداخلة إلى الميناء أما الآن فلا يستعمل إلا فى مشاهدة مناظر المدينة والخليج من أعلا .

بريسيديو Presidio

هذا هو مركز الجيش السادس واحتياطياته وتبلغ مساحة الأرض نحو ١٥٠٠ فدان مغطاة بالأزهار والأشجار كأنما هى متنزه عظيم وقد اختارها الملك شارل الثالث الأسبانى مقراً لجيشه ثم ظلت مركزاً للجيوش منذ ذلك الوقت وهى تحوى مبنى فخماً جداً يستعمل كنادى الضباط .

المركز الحكومى Civic Center

وهو مبنى كبير بل مجموعة مبان تضم مصالح الحكومة جمعاء (ومن ضمنها أقسام الصحة) وكذلك مبنى البلدية (City Hall) والمسرح Auditorium وتذكار شيوخ الحرب (War Veterans Memorial) .

وهذا المسرح أو المجمع Auditorium يتسع لجلوس نحو تسعة آلاف شخص وفى وسطه صالة اتساعها ١٨٧ × ٢٠٠ قدم تتبعها أربع صالات أخرى أصغر منها ويتصدر القاعة الكبرى أورغول هائل عظيم والمكان معد لعقد الاجتماعات الكبرى الأهلية أو الدولية ، وفى أثناء إقامتى بالمدينة أقيم معرض للكلاب حضرته مساء ورأيت فيه مجموعة ضخمة من كل فصائل الكلاب كبيرها وصغيرها يعتنى بها وبتربيتها عناية فائقة .

ومن الطريف أن على كل تذكرة دخول نمرة وفى نهاية العرض تسحب النمر جميعاً . وكان من المصادفة أن نمرتى كسبت كلباً صغيراً لطيفاً ولكنى رجوت زميلتى الآنسة « لاتيمور » أن تتكرم بأخذه وإبقائه عندها حتى زيارتى المقبلة لأمريكا ، إذ كيف يمكننى السفر بالطائرة ومعى « حضرة الجائزة الصغيرة » ؟

وفكرة إقامة مبنى ومكان اجتماع لتخليد ذكرى أبطال الحرب فكرة صائبة ، فهى خير من إقامة التماثيل ، إذ يمكن الانتفاع بها وفعلا حضرت حفلة موسيقية كلاسيكية تحت إدارة الموسيقار الشهير « أريك لينسدورف » فى هذا المكان وكان البرنامج ممتعاً .

سراى الفنون الجميلة Palace of Fine Arts

هذه درة معمارية جميلة ترى ظلالها منعكسة على مياه الخليج المجاور لها . وهى البقية الباقية من المعرض الدولى الذى أقيم عام ١٩١٥ ومع فخامتها فقد أهملت . وهى الآن باقية تنتظر إما إعادة بنائها وإما هدمها . وبالقرب منها ترى أعمدة بوابة تقود إلى « لاشىء » وتاريخ إقامتها عجيب ، إذ أنه بعد حريق سنة ١٩٠٦ الذى دمر المدينة تدميراً رسم أحد الفنانين لوحة بها بوابة رمزاً إلى البقية الوحيدة الذى خلصت من الدمار ، وكان يقصد فوق ذلك أنها هى باب الأمل لاستعادة المستقبل الزاهر للمدينة ، وكانت الصورة من الروعة بحيث تقرر تخليدها بنقلها إلى الطبيعة . وبذا كانت هذه هى المرة الوحيدة التى نقلت فيها صوره إلى الطبيعة بدلا من أن تكون الصورة منقولة عن الطبيعة .

صخور عجل البحر وشاطىء المحيط Seal Rock and Pacific Coast

ترى على هذه الصخور مئات من هذه الأسماك تقفز وتلعب فى منظر جميل يراه الذين يطعمون فى مطعم الصخر Cliff House Restaurant فإذا تدرجت من هنا قابلك شاطىء المحيط الرملى حيث يلعب الكبار والصغار ولكن قل من يستحم فى الماء أو يتعمق فيه لأنه غير مأمون . وعلى الجانب الآخر من الطريق ترى مهرجان الألعاب ومدينة الملاهى وهى دائماً مزدحمة بالمتفرجين وفيها الألعاب العادية الكثيرة وربما كان أغربها الناقوس الغاطس Diving Bell حيث ينزل بك ثلاثين قدماً وعندها ترى الأسماك المختلفة فى القاع وتحس كأنك فى غواصة .

ميدان يونيون Union Square

ذكرت هذا الميدان لأنه يكاد يكون قلب المدينة إذ تقع حوله مكاتب كل شركات الطيران وكثير من الفنادق وأهمها فندق « سانت فرانسيس » الدائم الحركة وفى وسط الميدان حديقة بهيجة غناء. ولكن فن المعمار الراقى أمكنه أن يبنى تحت هذه الحديقة جراجاً كبيراً من أربعة طوابق ساعدت كثيراً فى حل مشكلة المرور والمواصلات .

المدينة الصينية China Town

الصينيون موجودون بكثرة فى كل أنحاء الولايات المتحدة وهناك « مدينة صينية » داخل كل مدينة كبرى مثل نيويورك وشيكاغو وواشنجتون ولكنى لم أزر أى واحدة منها مفضلا زيارة (صينية) سان فرنسيسكو فهى أكبرها جميعها وترى فيها ما لا تراه فى غيرها . أليس هذا هو الباب الأول الذى منه يدخلون ؟ .

وتقع المدينة فى مكان محدود بين شوارع بوست وكولمبوس وباول وكيرنى وأنت إذ تسير فيها تنتقل تواً إلى جو شرقى خالص فالشوارع ضيقة والوجوه صينية والحوانيت تزينها الرسوم الشرقية وكل شىء إما صينى أو يابانى .

وأنصحك أن تزور محل جمبس Gumps للعاديات الغالية من فضة وأحجار كريمة وسن الفيل وصور شرقية . كما أشير عليك بزيارة « مدام بترفلاى » لتشترى أحسن أنواع الملابس الحريرية الشرقية للرجال والنساء مثل الكيمونو للنساء وملابس المندارين للرجال وغيرها . وكذلك محل

« كاثاى » Cathay للتذكارات الأخرى فلا تهمل هذه الزيارة واقتن بعض المشتروات وعند ختام زيارتك تناول طعاماً شهياً (أو غير شهى) فى إحدى المطاعم التى تملأ المكان . ولو واتاك الحظ وكنت هناك فى يوم احتفالهم بعيدهم لرأيت مهرجاناً وموكباً بديعاً يخطف الأبصار بألوان الملابس والعربات والثريات الجميلة .

والجالية الصينية كبيرة جداً وهم يعيشون كأطوع ما يكون لقوانين البلاد بل إنهم قد أنشأوا قضاة ومحاكم خاصة غير رسمية من بينهم ليحاكموا من يحيد عن الصواب ويسووا خلافاتهم الداخلية ولذا تراهم محبوبين من الجميع . غير أن الشيء المؤسف هو أن أغلبهم فقراء ولذا يعيشون مكدسين فى مساكنهم القذرة مما ساعد على انتشار الدرن بينهم . وقد أنشئت أخيراً عمارات صحية جديدة لتفريج أزمة المساكن هذه .

كوبرى الباب الذهبى Golden Gate Bridge :

تصل إلى الكوبرى من طريق البريسيديو وهنا يطالعك منظر الكوبرى الفريد ، فهو أعلا وأطول كوبرى معلق فى العالم ، إذ يبلغ طوله الكلى ٨٩٤٠ قدماً منها ٤٢٠٠ للكوبرى نفسه . أما أبراجه فترتفع إلى ٧٤٦ قدماً . وقد عملت تقديرات دقيقة على مدى اهتزاز ومرجحة الكوبرى عندما تهب عليه أعاصير المحيط . ومنذ عامين وصل الاهتزاز إلى الحد الخطر تقريباً ولذا فهم يدعمونه الآن حتى لا تحدث له أضرار فى المستقبل .

وكوبرى الباب الذهبى هو من أعلام المدينة الشهيرة فوق أن اسمه يذكرك بأيام الاندفاع على الذهب Gold Rush منذ عشرات الأعوام .

كوبرى سان فرنسيسكو - أوكلاند San Francisco-Oakland Bridge

لا أدرى إن كان هذا يسمى كوبرياً واحداً أم الأصح أن يقال إنه مكون من كوبريين بينهما نفق ويبلغ الطول الإجمالى ثمانية أميال ونصف ولا تنقطع حركة السيارات عليه نهاراً أو ليلا . ولكن لو أنك كنت عائداً إلى سان فرنسيسكو (من بركلى) حوالى الساعة السادسة مساء لطالعك منظر عجيب إذ ترى فى مواجهتك آلاف المصابيح ، هى أنوار السيارات العائدة بأصحابها إلى منازلهم بالضواحى . وبعد أن تترك الكوبرى ترى جزيرة الكنز Treasure Island وهى البقية الباقية من السوق الدولى الذى أقيم من عدة سنوات .

مصلحة البوليس بضاحية بركلى Berkeley Police Department

آلة اظهار الكذب Lie-detector instrument

كنت مدعواً ذات يوم لتناول فنجاناً من الشاى بمنزل الدكتور جربودى ، جراح القلب الشهير بجامعة كاليفورنيا ، وهناك قابلت مسز هارلى ستيفنس ، وقد عاشت فى سوريا ومصر حيناً من الوقت ، إذ كان زوجها يشتغل مستشاراً قضائياً لشركة التابلاين لنقل الزيت . وقد تدرج الحديث من موضوع إلى آخر وأبديت رغبتى أن أرى عن كثب كيفية تشغيل جهاز إظهار الكذب (فى تحقيق الجرائم) فقالت السيدة الفاضلة إنها تعرف مدير بوليس بركلى وتعرف الشخص الذى كان أول من جرب هذا الجهاز فى أمريكا . وبالفعل ذهبنا سوياً فى اليوم التالى حيث قابلنا الضابط أديسون فوردنج Lt. Edison Fording الذى شرح لى نظام البوليس البديع الذى

جعل نسبة الجرائم فى هذه المنطقة أقل بكثير من غيرها رغماً عن أنها تضم جنسيات عديدة متباينة كما هو الحال فى كل الموانى البحرية .

وجهاز إظهار الكذب (الأصلى) آلة سهلة مبسطة ولا أبغى هنا أن أصف لك دقائقها ويكفينى أن أقول إنها فى الحقيقة مكونة من جهازين (الأول) يشبه جهاز قياس ضغط الدم يوضع حول الذراع وتخرج منه ثلاثة أنابيب تذهب أحدها إلى مانومتر والأخرى إلى ذراع يسجل الذبذبات على طبلة ورقية متحركة ويجب أن يبدأ التسجيل عندما يصل الضغط إلى ٩٠ — ١٠٠ ملليمتر زئبق .

والجهاز الثانى يوضع على الصدر وبنفس الطريقة يسجل الإسراع أو الإبطاء فى التنفس . ويبدأ الجهاز فى تسجيل الضغط والتنفس ويستمر فى التسجيل حتى يصير طبيعياً ، ثم تأخذ فى إلقاء الأسئلة وهنا تتجلى مهارة السائل فى التلميح أو التصريح بأسئلة تتجه نحو الجريمة أو التهمة الموجهة للمسئول فيلاحظ ارتفاع فى الضغط وسرعة فى التنفس .

وقد قاموا بتجربة أمامنا على أحد الضباط إذ سئل أن يختار رقماً ما فاختار الرقم ٥ وأراه لنا (دون أن يريه للسائل) وكان كلما سئل هل الرقم ١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٦ — ٧ أجاب (لا) دائماً ، طرداً وعكساً ، ولكنا لاحظنا أنه كلما اقترب من الرقم ٥ يحدث تغيير يكون أظهر ما يكون عند النطق برقم ٥ .

وقد طلبت من الجمعية الطبية الأمريكية ما نشر عن هذه الآلة فأرسلوا لى مقالات عدة ولابد لى أن أذكر أن هذا الجهاز رغماً عن كل ماقيل لايمكن إلا أن يكون قرينة إضافية للتحقيقات الجنائية الأخرى ولا يمكن قيام

الاتهام على أساسه هو وحده شأنه فى ذلك شأن الكلاب البوليسية التى نستعملها فى مصر .

طائرات الهيلوكوبتر The Hellicopter

قلت لك فى فصل آخر أنى كنت طوال رحلتى أطير من مكان إلى آخر فى طائرات ضخمة مكيفة الهواء والضغط والجلوس فيها أشبه بالجلوس فى صالون الفندق المريح ولما وصلت سان فرانسيسكو قيل لى إنك لم تجرب « الشعور بالطيران » حتى الآن ولا يمكن أن تحس به إلا إذا ركبت طائرة الهيلوكوبتر . ومن جهة أخرى أظن أن الزمن لابد آت — قريباً — عندما يركب كل إنسان طائرته الخاصة يتنقل بها من مكان إلى آخر كما هو الحال فى السيارات اليوم . وفى بلاد كمصر ، حيث الأرض خصبة جداً ، لا يمكن تخصيص مساحات واسعة كمطارات هنا وهناك وفى كل مكان إذ أن هذا يعد سفهاً وتبذيراً . ثم إن الهيلوكوبتر تطير أحسن ما تطير فى الأجواء المعتدلة إذ أنها لا ترتفع كثيراً جداً . أضف إلى ذلك أن أسطح المنازل بمصر مسطحة وتصلح لهبوط هذا النوع من الطائرات . ثم فوق كل ذلك هى تجربة جديدة أحب أن أقوم بها .

لكل هذه العوامل طلبت من أصدقائى فى شركة شل بسان فرنسيسكو أن يدبروا لى هذا الأمر. وعليه زرت شركة هيللر The Heller Hellicopter Factory والمصنع مكان للأبحاث ولتجميع الأجزاء وقد أنشىء عام ١٩٣٩ عندما وجه المستر ستانلى هيللر اهتمامه لعمل طائرة ارتفاعية رخيصة التكاليف تصلح لنقل البضائع وأدت أبحاثه إلى إيجاد طائرة هيللر ٣٦٠ تصلح لركوب ثلاث أشخاص وقد استخدمت هذه الطائرة فى رسم الخرائط المساحية وتعفير

الزراعات ومحاربة الجراد ونقل الأشخاص وأعمال الإغاثة فى نكبات الزلازل والفيضانات الخ . . وسوف يسجل التاريخ عام ١٩٥٠ كاليوم الذى أصبحت فيه الهيلوكوبتر كاحدى طائرات الحرب إذ استعملت فى نقل الجرحى والجنود والمعدات بين ميادين القتال وكانت الحرب فى كوريا هى المحك الذى بين الفائدة العظمى لهذا النوع من الطائرات .

ولا شك أن المستقبل هو للهيلوكوبتر والشىء الذى يعوق انتشارها هو ارتفاع ثمنها الذى يبلغ ثلاثين ألف دولار ومع أن حرب كوريا أكدت فائدتها إلا أن الحكومة الأمريكية فى ذلك الوقت استولت على كل المصنوع منها كما أن ذلك عاق تجارب عمل طائرات صغيرة ورخيصة .

وسوف تسألنى عن تجربتى ركوبها فأقول لك إننا بعد أن شاهدنا كيفية صنعها وتركيبها ركبت واحدة ووجدتها سهلة جداً فى قيادتها ارتفاعاً وانخفاضاً ويميناً وشمالا وأماماً وخلفاً إذ يمكنك أن تطير بها إلى أى من الجهات الستة فى يسر وسهولة وأغرب من ذلك أنك تطير على أى ارتفاع مهما كان منخفضاً ثم إذا راق لك الأمر تستطيع أن تقف تماماً عند أى ارتفاع أو بحذاء أى نافذة منزل لتكلم أصدقاءك وتتبادل معهم الأحاديث أو الأشياء . فهل تعجب إن قلت لك إنها طائرة المستقبل خصوصاً فى مصر ؟ . وقد أراد قائد الطائرة أن يداعبنى فكان يميلها يميناً أو يساراً بشدة حتى كنت أشعر أننا سوف نسقط إلى الأرض فرجوته أن يكتفى بالميل يمنة فقط حتى يسبقنى هو فى السقوط ! !

وكان معى صديقى مستر بول هارفى (من شركة شل) فركب بدوره وسجلنا كل ذلك بالكاميرا وشكرناهم .

ثم رجعنا للمدينة حيث تناولنا عشاءنا فى مطعم هندى (The India House Restaurant) وأنت تتناول طعامك الشهى فى ضوء الشموع يقدمه لك طلبة هنود من الجامعة وقد لبسوا عماماتهم وملابسهم الوطنية وتتناول ما تشاء من الأكل الهندى المملوء بالكرى (Curry) .

الجلوب تروترز The Globe Trotters.

نسيت أن أخبرك أنى قضيت صباح يوم الهيلوكوبتر فى مستشفى ستانفورد حيث شاهدت عملية فتح القلب وتوسيع صماماته .

ولكن هل تظن أننا اكتفينا بكل هذه المشاعر وهذا الاستمتاع من طب إلى طيران إلى أكل هندى ؟ كلا يا صديقى فقد ذهبنا بعد العشاء إلى « سراى البقرة » Cow Palace لنشاهد كرة السلة يلعبها فريق الجلوب تروترز الذى زار القاهرة فى العام الماضى ، ولم أتمكن من مشاهدته حينذاك . وتسألنى ما هى سراى البقرة فأقول لك هى مبنى كبير جداً به مقاعد لأربعة عشر ألف متفرج وأمامه مساحات كبيرة لوقوف السيارات وله أبواب كثيرة . وتتوسط المقاعد ساحة كبرى للألعاب والاستعراضات والحفلات الموسيقية وغيرها وسمى فى الأول سراى معرض الصناعات والزراعات ، وكان أحسن ما عرض فى المرة الأولى البقر الذى يدر لبناً كثيراً فأصر الشعب على اختصار التسمية إلى « سراى البقرة » .

وقد استمتعنا بمشاهدة ألعاب كرة السلة الفنية التى لا مثيل لها خصوصاً من اللاعب ريس « تاتم » Rees Tatum الذى بلغ من طوله أنه يكاد يمسك السلة نفسها (طوله ست أقدام وأربع بوصات ووزنه ١٩٠ رطلا) فهو أطول لاعب قطعاً .

يا له من يوم ويا لها من أمسية ! !

مزرعة شل ومعمل الأبحاث

The Shell Farm and Research Laboratories

أصر صديق مستر بول هارفى على تخصيص يومين لزيارة معاهد نشاط شركة شل ، وقد نشأت فكرة زيارة معهد أبحاث الشركة أثناء زيارة مجلس إدارة المجمع المصرى للثقافة لحقول البترول فى رأس غارب بمصر .

وفى صباح يوم ٨ يناير ركبنا إلى أوكلند حيث معمل الأبحاث . وهو مستوف لكل أغراض الأبحاث الطبيعية والكيماوية حتى الميكروسكوب الذرى Electronic Microscope الذى يظهر تكوين ذرات الزيوت بشكل أوضح من الميكروسكوب العادى . وقد بحثت مع الدكتور كتانيو فوائد الزيت الجديد فى منع التآكل وفى الاندماج مع الكربون وبذا يسهل نزول المخلوط عند تغيير الزيت بدلا من التصاقه بالسلندرات كما أخبرونى أن زيت غسيل لا لزوم له وأن المواد التى تضاف لمنع التخبيط لا تمنع شيئاً قط .

وبعد الظهر ذهبنا لتناول الطعام فى مطعم « زومبى » Zombee Village وهو ريفى بحرى مثل مطعم « البحاركنت » . ويقوم بالخدمة فيه فتيات صينيات جميلات كما أن الكوكتيل يأتيك مغطى بأوراق ملونة على شكل شماسى وفى النهاية يقدم لك مع الحلوى بسكويت مثل البتى فور تجد داخلة ورقة بخت وكانت ورقتى مكتوب فيها « لاتتسرع . سوف يدق الحظ على بابك قريباً » .

وفى اليوم التالى سافرنا بالسيارة إلى مودستو Modesto وتبعد مسيرة ساعتين شرق سان فرنسيسكو ، مارين بدبلين وتراسى ومانتيكا وكان الطريق جميلا يزدان بالخضرة والأزهار وترعى على جباله قطعان البقر كأنه منظر

من جبال اسكتلندا . وقد سعدت بمقابلة الدكاترة « هانسبرى » و « وسزرلند » و « أوفبريك » و « كروتزر » وهو إخصائى فى الفيروس (virus) وقد قضينا وقتاً طيباً فى حديث على عن الديدان المفلطحة وعن حشرات النباتات وطرق مقاومتها وعن الفيروسات التى تصيب النباتات وأنواعها وتدرج الحديث إلى أبحاث الفيروس عامة وما هى طبيعتها هل هى نبات أم جماد .

ومساحة المزرعة ثلاثمائة فدان مقسمة إلى أجزاء عديدة يزرع فى كل منها صنف خاص من النبات أو الفاكهة وتجرب عليها المواد التى تعجل النمو وكذلك مواد مقاومة الحشرات . وهناك مزارع للحشرات لدراسة أدوار حياتها واستجابتها للمواد الكيماوية . وهنا سألتهم عن تعليل مقاومة الذباب لمادة د . د . ت فأخبرونى أن أحد أساتذة جامعة الأباما (Alabama) وجد أن الذباب المقاوم عنده « أنزيم » Enzyme فى جلده يعادل حامض الكلوريد الموجود فى الـ د . د . ت فيصبح غير فعال وقد قيس مقدار الأنزيم فوجد أنه أربعة أمثال المطلوب للتعادل . أما الجامكسان فيحتوى من الحامض مقداراً كبيراً وبذلك يقتل هذا الذباب المحصن غير متأثر بأنزيم الجلد . ولم ينشر هذا البحث بعد .

الأشجار الحمراء The Red Woods

كنت كلما لاقيت أحداً فى سان فرنسيسكو سألنى متى وصلت ؟؟ وحتى إذا قلت منذ يومين فقط قال وهل لم تزر الأشجار الحمراء بعد ؟ كيف ذلك ؟ إنها أبهج وأعظم مناظر المنطقة . وعليه فقد صحبت الدكتور ايليس سوكس Dr. Ellis Sox مدير صحة المدينة ذات صباح وقصدنا إلى هذه المنطقة. وأنت تمر فوق كوبرى الباب الذهبى إلى منطقة خلابة مكسوة بالخضرة والأشجار

والأزهار فإذا ما وصلت إلى البارك وشاهدت هذه الأشجار الشاهقة سبحت بحمد الخالق القدير . إنك تشعر بهذه العظمة وتحس بالرهبة .

وقد صدر مرسوم من الرئيس تيودور روزفلت عام ١٩٠٨ بجعلها تراثاً أهلياً حفظاً لها من الهلاك إذ كان الناس قد أخذوا فى قطعها واستعمال أخشابها فى شتى الأغراض . واسم الأشجار العلمى هو Sequola وهى أطول أشجار العالم قاطبة إذ يبلغ طول بعضها ٣٥٤ قدما كما أن قطرها يصل إلى ٢٠ قدما وعمر أكبرها ألفى عام . وهناك نوع آخر منها يوجد فى جبال سييرا نيفادا (Sierra Nevada) وهو أضخم (٣٥ قدما) فى القطر وأقدم (٣٠٠٠ عاما) ولكن لا يبلغ ارتفاع الآخر .

ولا أظن أنى شعرت بمثل هذه الرهبة إلا عندما وقفت بين أعمدة معبد الكرنك فى ليلة مقمرة ولكنى تأثرت هنا أكثر ، فهذه الضخامة من صنع الإله . ولأجل أن أنقل لك صورة أذكر لك بعض الأمثال التى شاهدتها :

(١) فهناك عملاقة بجوفة قطرها ١٨ قدما يمكن لسبعة عشر شخصاً أن يدخلوا ويقفوا معاً داخل تجويفها .

(٢) ثم هنــاك أخرى اسمها « المعبد » The Temple تمر بسيارتك داخل تجويفها وتخرج من الجهة الأخرى وهى تجربة فذة حقاً .

(٣) فى سنة ١٩٣٥ قطعت إحدى الأشجار وبحساب حلقاتها وجد أن عمرها ألف عام وترى مكتوباً على قطاعها الآتى :

مركز الدائرة ٩٥٩ بعد الميلاد .

١٩٣٠ قطعت الشجرة .

١٧٧٦ إعلان الاستقلال .

١٤٩٢ اكتشاف أمريكا .

١٢١٥ إمضاء الماجنا كارتا (Magna Carta) .

١٠٩٩ معركة هاستنجس (Hastings) .

(٤) هناك أعجوبة أخرى : سقطت شجرة عمرها ألف عام وبعد ذلك نما على طرفها فرع جديد يبلغ من العمر ١٥٠٠ عاما (جديداً) قبل أن يقطع لأخذ خشبه ولا يزال موجوداً على الأرض فى حالة حسنة جداً .

ونظراً للظلال لا يمكن أن تنمو الأزهار بوفرة ولكن هناك بعضها متناثراً علاوة على وجود أنواع قليلة من الأشجار الأخرى كما أن المكان غاص بالطيور المتنوعة وببعض الغزلان . ثم هناك مجرى الماء الذى يخترق البارك (المتنزه) البالغ ٤٧٤ فدانا وعلى المجرى كبارى خشبية كثيرة وترى المياه غاصة بالأسماك خصوصاً « السالمون » و « التراوث » . ولايجوز لأحد أن يصيد شيئاً منها كما يمنع اقتطاف الأزهار وإن كان من المسموح به تناول الأطعمة فى أمكنة خاصة هذا فضلا عن وجود مطعم خاص عند الباب ملحق به حانوت لبيع التذكارات وخاصة المصنوعة من هذا الخشب النادر الأحمر الذى له لمعة وبهاء خاصين .

وفى أثناء اجتماع مندوبى دول العالم لإنشاء جمعية الأمم المتحدة اقترح مندوب بريطانيا عقد إحدى الجلسات فى هذا المكان (وقد نفذ الاقتراع) قائلا لعلنا ياسادة نرى عظم الطبيعة ونرى الإنسان على حقيقته وكم هو ضئيل بالنسبة لغيره من الكائنات .

لقد زرت أمكنة خلوية كثيرة وجلست على مقاعد فى الحدائق والمتنزهات

فى الشرق والغرب ولكنى فى ظلال هؤلاء العمالقة شعرت بتطور روحانى جديد وارتفاع عن فسافس الناس وصغائر الأمور .

* * *

الخضروات المجمدة والفواكه المجففة. Frozen Vegetables and Dried Fruits

يهتم كل واحد منا — كمصرى — أن يطلع على تقدم الزراعة وعلى الصناعات الزراعية أينما كان فما بالك إذا وجد نفسه فى كاليفورنيا جنة المزارعين والمركز الأول فى مثل هذه الأبحاث.

وقد صحبنى فى زيارتى المستر لوتريني مفتش الأغذية بوزارة الصحة وكان أول ما زرنا مصنع تجميد الخضروات ولا داعى لشرح كل العمليات ويكفى أن أخبرك أن الخضروات منتقاة أصلا ثم يعاد اختيارها وبعد ذلك تغسل عدة مرات وتقطع ثم تغلى وبعد ذلك توضع فى صناديق من الورق المقوى وهذه بدورها توضع فى المجمدات Freezers لمدة ٨ — ١٠ ساعات وأغلب العمليات تتم ميكانيكياً .

بعد ذلك زرنا مصنعاً لتجفيف الفاكهة يمتلكه ثلاثة إخوة من أصل إيطالى كما يمتلكون بستاناً للفاكهة مساحته ٧٠٠ فدان . وفى المصنع يفرز المشمش والبرقوق ويقسم إلى طوائف حسب الحجم ثم يرص على صوانى وهذه تدخل فى أفران يمر بها هواء ساخن وبهذه الطريقة تخرج الرطوبة بعكس طريق دخولها وقت النمو أى من العنقود فضلا عن أن الجلد لا يتجعد وهذه الطريقة تفوق التجفيف فى الشمس التى تحدث كثيراً من التخمر (وفقدان المادة السكرية) وتتلف الفواكه . وقد تكرم المستر « سام »

(أحد الشركاء) بإهدائى صندوقاً من القراصيا ولكنى شكرته معتذراً بأن إرساله لمصر سوف يفوق ثمنه فعرض أن يرسله هو ولكن كان هذا كرما فائقا فكررت اعتذارى وله الشكر على كل حال .

والمنطقة التى تحيط سان جوزيه حيث توجد هذه المصانع (وينطقونها سان نوزيه) جميلة جدا وقد دهشت إذ وجدت فيها متحفاً للآثار المصرية ولكن ضيق الوقت منعنى من زيارته .

وإنك عند ما تزور هذه المنطقة من كاليفورنيا سوف توافق على أنه ولو أن زمن البحث عن الذهب (كمعدن) قد ولى إلا أن خيرات الأرض — ماتحتها ومافوقها — يفوق فى قيمته الذهب الابريز . فهل تعجب بعد ذلك عند ما تسمع أهل كاليفورنيا يتباهون ويقولون (لو أن كولمبوس جاء إلى أمريكا من الجهة الغربية لما اهتم أحد باستكشاف الجهة الشرقية) ! !

* * *

سان فرنسيسكو
(فى الليل)

ربما تكون قد لاحظت أن كل ما وصفته لك كان يتم نهارا ولعلك تسأل كيف تبدو هذه المدينة الساحرة ليلا . وفى الحق أنى لم أجد الناس يتأنقون فى مأكلهم ولهوهم ومشربهم مستمتعين كما رأيتهم فى هذه المدينة .

المطاعم

أولها وأهمها « كليف هاوس » Cliff House . هو من معالم سان فرنسيسكو كما إنه قد يكون أقدم مطاعمها إذ أسس سنه ١٨٥٨ ثم أعيد

بناؤه وترتيبه عدة مرات . وهو مقام على حافة المحيط فوق صخور الشاطئ ذو طابقين وبه عدة صالات كبيرة للطعام واجتماع الهيئات فهناك : الغرفة البحرية وغرفة غروب الشمس الخ . وسواء كنت تتناول طعام إفطارك أو غذائك أوعشائك فإنك تشاهد من نوافذ المطعم منظراً خلاباً لشاطئ المحيط الرملي ومتنزه الباب الذهبي وطاحونة الهواء الهولندية كما سوف ترى صخور سباع البحر وتراها وهي تقفز وتلاعب أمواج المحيط المتكسرة .

وتصادف — في المرة الأولى التي طعمت فيها هنا — إن كان الندل فرنسي الأصل خدم في الإسكندرية فيما سبق ، فراح يحدثني عن ذكرياته بمصر وألح في أن آكل طبقهم المفضل : الابالوني (Apalone) وهو حيوان صدفي بحري كبير يوجد ملتصقا بالصخور ذو لحم صلب . وهم لذلك يدقونه طويلا قبل طبخه حتى يسهل تناوله وهضمه .

والجلوس في هذا المطعم متعة والمنظر بهيج والطعام لذيذ ولذلك فإنك سوف تعود ثم تعود اليه طالما أنت في سان فرنسيسكو .

ويلحق بالمطعم حانوت كبير لبيع اللعب والتذكارات والطرائف وتجد في مدخل الدار تمثالا لبحار — من صنع يده — يكاد ينطق بالحياة كما أن سيدة أمريكية عجوز أنشأت في جانب صـــغير داراً سمته منزل العرائس Dolls' House جمعت فيه أثاثات وطرائف (مصغرة طبعا) من جميع أنحاء العالم ومن بينها مصر .

ثانيهما — مطعم ظلال سان فرنسيسكو The Shadows : هذا مطعم ألماني تتناول فيه الأطباق الخاصة بهم تحت أضواء الشموع وأنت تتنـاول طعامك في جو بوهيمي فذ في مطعم ارتفع فوق تل التلغراف Telegraph Hill

ومن هنا تشاهد منظراً فريداً يجمع بين كوبرى الباب الذهبي وكوبرى بركلى ولا يمكنك أن تراهما هكذا من أى مكان آخر .

ثالثها — مطعم عمر بن الخيام : هذا مطعم أرمنى شهير فى كل أنحاء العالم وقد تمتعت فيه بأكلة كباب و(محشو ورق عنب) ومخلل لم أذق مثلها فى مصر نفسها. والجدران محلاة برسوم من رباعيات عمر بن الخيام مما يضفى جواً شرقياً فريداً على المكان فوق أن مقاعده غاية فى الراحة والاسترخاء ثم هم يقدمون لك كوكتيل اسمه «الرباعيات» ويهدونك طريقة عمله حتى تصنعه فى منزلك وقد وجدت من الجميع ترحيباً خاصاً بى كمصرى وأكرمنى وأكرم ضيوفى المستر جورج مرديكيان صاحبه وهو شخصية مرحة يحبه الأمريكان لما أداه لهم فى الحرب العالمية الثانية من خدمات ، إذ طاف ميادين القتال عامة «يعلم» الجنود كيف يطبخون نفس المواد التى تصرف لهم بطريقة «تجعلها» أكثر اشتهاء ، ولم يكتف بذلك بل ألف كتابا بتعاليمه . وبذلك امتنعت الشكاوى من الجنود .

رابعها — المطعم اليابانى Yamato Sukiyaki Restaurant : هذا مطعم يابانى ممتاز تراه دائما مكتظاً بالطاعمين فان لم تكن قد حجزت مكانا قبل حضورك فعليك بالانتظار حتى يخلو مكان . والطعام هنا ألذ ما يكون ولكن ليس هذا كل شىء بل هناك طريقة تقديمه : فإنهم يدخلونك غرفة خاصة (ومعك ضيوفك) فتخلع نعليك وتلبس شبشبا يابانيا وتجلس على مقعد واطىء (شلته) وأمامك طاولة واطئة (مثل طبلية زمان) وتسترخى وعندما تختار طعامك من القائمة تأتيك الخادمة اليابانية الجميلة لابسة الكيمونو وتحضر معها أجزاء الطعام والغلاية الكهربائية وتطهى طعامك أمامك فى مدى ١٥ — ٢٠ دقيقة على أمل أن ترى بنفسك الإناقة والنظافة وأن يحرك ذلك

شهيتك للأكل . ثم هناك الشاى اليابانى الأخضر تشربه بدلا من الماء . ألم أقل لك إن هذه ولا شك تجربة فذة فلا تنس هذا المكان وهو موجود فى شارع كاليفورنيا ؟ ويمكنك أن تشترى مجموعة من أكياس الشاى يحتوى كل منها قدراً يكفى لعمل فنجان واحد .

خامسها — مطعم نادى الدومينو The Domino Club : هذا مطعم غريب يقع فى شارع جانبي بالقرب من ميدان يونيون وما أن تدخله حتى ترى كل الجدران محلاة بصور زيتية لفتيات جميلات (عرايا فى الغالب) فى أوضاع مختلفة كثير منها مثير . ثم هناك صورة زوجة الفنان — ونسيت أن أخبرك أن فنانا هو وزوجته هما اللذان رسما كل هذه الصور — مرسومة على الزجاج ويضيئونها من الخلف فتراها تكاد تكون مجسمة . ثم هناك الأرغول الذى تلعب عليه فتاة أنيقة لك أن تطلب منها ماتشاء من الموسيقى، وقد أمتعتنا تلك الليلة بأنغام أقاصيص هوفمان Tales of Hoffmann وكذلك افتتاحية أوبرا حلاق أشبيليه ouverture Barbier de Séville .

مطعم البحار كنت Skipper Kent : هذا مطعم غريب أنشأه البحار كنت الذى جاب البحار السبعة وجعله شبيهاً بمشارب الهنود فى الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا فترى جدرانه وسقفه من أعواد البامبو كما أنها محلاة بالحبال والقوارب والسكاكين وشتى الآلات التى يستعملها البحارة فى رحلاتهم . وتقدم أنواع عجيبة من الطعام مطبوخة على طريقة تلك البلاد كما أن الشراب المفضل هو الروم القوى لمن يمكنه أن يتناوله .

وقد حاول الكثيرون تقليده ولكن هذا المطعم هو أحسنها جميعاً بلا شك .

فندق فيرمونت The Fairmont Hotel : لا أبغى هنا أن أصف لك

هذا الفندق كفندق ولو أن هذا يستحق التنويه قطعاً فهو مبنى فى أعلا بقعة Nob Hill كما أنه يشبه فى مدخله ورخامه وعواميده وطنافسه وأثاثاته ومراياه القصور الملكية الأوروبية . ولكنى أنوه لك هنا بمطاعمه — نعم مطاعمه العديدة — فهناك مطعم السادة Squires' Room وهو مخصص للرجال فقط أى لمن يريد وبحث شئون الأعمال أثناء تناول الطعام مستعملا اللغة التى يريدها والتعبيرات المهذبة « وغير المهذبة » !!

ثم هناك المطعم الاسبانى والمطعم المكسيكى المؤثث كأنه قطعة من المكسيك القديمة . هذا عدا المطاعم الأخرى على الطريقة الأمريكية .

ولكن لا بد لى أن أصف لك البار الدائر Merry-go-round Bar فهذا يحتوى على مرتفع فى وسط الغرفة الفسيحة عليه مقاعد مريحة وترابيزات يتوسطها البار نفسه . وأنت إذ تجلس وتطلب ماتريد من الشراب ترى مكانك يدور ويلف آلياً ببطء وتمتع نظرك بمناظر مرسومة على الجدران بالزيت رسماً متقنا وتمثل مناظر من باريس : البوليفار ، والجندرمه والأوباش ، والمقاهى ، فاذا أمعنت فى تناول الكوكتيل فأغلب الظن أنك تصبح لا تدرى أيها الذى يدور أنت أم البار أم الجدران أم أنكم ثابتون وباريس هى التى تتحرك أمامكم لتتفرجوا عليها .

مطعم سابيللى Sabilli's Restaurant (Sea-food) : كان صديق الدكتور « جون شاوب » John Schauppe الجراح بالجامعة قد دعانى لتناول الغذاء فى النادى البوهيمى Bohemian Club وهو أشهر نوادى سان فرنسيسكو إذ أن خطط كاليفورنيا كلها فيما يختص بالسياسة وانتخابات الرياسة تتم هنا . وهو ناد فخم جداً وبه لوحات فنية بديعة وترى فيه الطنافس الغالية وأغلاها الكبرى التى مسطحها ١٠ × ٢٠ متراً (قطعة واحدة) .

ودعانى فى اليوم التالى (السبت) وكان آخر أيام إقامتى بسان فرنسيسكو إلى منزلهم الصيفى على جزيرة كورنث Corinth Island . وهى بالقرب من نادى كاليفورنيا لليخوت ، وهو مكان بديع بل خيالى جداً فى جماله ومناظره وأزهاره ، وعند ما حل المساء قال سآخذك لتأكل عند أكبر الإخصائيين فى الأطعمة البحرية Sea-foods . وكان محقاً للغاية فى ذلك فلم أتلذذ بمثل هذا الجمبرى ولا هذه الأسماك ثم هم يعطونك دليلا مطبوعا بتفاصيل عمل هذه الأطعمة (يا للتحدى) وهناك شىء آخر فسواء طلبت شرابا أم لم تطلب فإن هذه الدار تصر على أن تقدم لك — تكريما لك ومفاخرة منها — شيئا من نبيذ كاليفورنيا خصوصا عندما يعرفون أنك أجنبى عن البلاد .

ملاهى سان فرنسيسكو

هذه مدينة مرحة لاشك فى ذلك . ولن أخبرك عن السينمات فهى لاتعد وإنما أخبرك أنى شاهدت استعراضية أوكلاهوما فى مسرح « جيرى » Geary وكذلك رواية « أنا كاميرا » I am a camera فى مسرح « كوران » Curran . ويأتى إلى هذه المدينة فنانون من جميع أنحاء أمريكا وكذلك من أوروبا . فمثلا المغنية « إديث بياف » وهى فرنسية ومعروفة فى مصر كانت ستحضر إلى هناك . ويلقى الجميع ترحيبا وإقبالا عظيما .

المدينة المحرمة **Forbidden City (night club)**

وهو ملهى صاحبه وكل كواكبه صينيون وصينيات جميلات والاستعراض كان جيدا . ثم إن هناك سيدة تأخذ لك صورة فوتوغرافية وبعد عشرة دقائق بالضبط تكون قد أحضرتها لك مكبرة ثم مصغرة (على

علبة كبريت) وعليها توقيع صاحب الملهى بالانكليزية والصينية مع كلمة ترحيب . كل ذلك بثلاث دولارات — يابلاش .

القرية الاسبانية **Spanish Village**

هذا كاباريه اسبانى تلبس فيه الأرتستات ملابس فوسفورية تضىء عندما تطفأ الأنوار وتعطى لأجساد الراقصات تأثيراً خاصاً ! !

المسرح التسعينى **The Gay nineties**

هنا يقلدون فى الرقص والغناء باريس فى عام ١٨٩٠ ويشترك جميع الحضور مع الكواكب فى الإنشاد وهذا الملهى وكذلك سابقه من بقايا البربارى كوست Barbary Coast الذى أغلق أخيراً .

يكفى مشاهدة ذلك وإلا طارت الدولارات وعندئذ لن أتمكن من تكملة الرحلة .

لوس انجيلوس

LOS ANGELES

هل يمكن لأى زائر للولايات المتحـــدة ألا يضمن برنامجه زيارة لوس انجيلوس وهوليوود . إنه قد رأى فى بلده الأفلام الأمريكية وشاهد كواكب السينما فكيف يمكنه أن يقاوم الرغبة فى زيارة هذه الاستديوهات ومقابلة أحد الكواكب . ثم هل يصدق إخوانك أنك حقاً زرت أمريكا إن لم تقص عليهم شيئاً من أخبار هوليود وكواكبها ؟

وعليه فقد طرت من سان فرنسيسكو إليها صباح الأحد ١٨ يناير وما أن ألقيت بعفشى فى الفندق حتى سارعت إلى شارع ولشير Wiltcher Boulevard فشاهدت الحوانيت الفخمة والبضائع الأنيقة . ولكن أين السيدات الجميلات وأين الكواكب ؟ إنى أبحث عنهن فلا أرى أحداً ولكن ربما كانوا قد ذهبوا بعيداً لقضاء عطلة الويك إند !!

ولكن لنبدأ من البداية : فمقاطعة لوس انجيلوس أصبحت إمبراطورية تفوق كثيراً من الولايات بسكانها البالغين أربعة ملايين نسـمة وهى تحوى جزائر اللهو المتناثرة على طول الباسفيك والشاطىء نفسه والصحارى الجميلة وسلاسل الجبال . أما الصناعة وخصوصاً الزيوت وتقطيرها ، أما الزراعات وخاصة الفواكه والموالح ، أما صناعات الراديو فحدث عنها ولا حرج . وهل أذكر لك صناعة الأفلام والسينما ؟ لا ... فأنت تعلم أن هذه هى عاصمة الدنيا فى هذا المضمار .

وقد تلفنت الدكتور أوهل Dr. Uhl مدير صحة المدينة ولما قابلته فى

اليوم التـالى وأخبرته أنى أريد مشاهدة الاستديوهات فقط (لأنى سبق وشاهدت الأعمال الصحية فى جهات أخرى) أحسست أنه شعر بخيبة أمل . ولأجل أن أرضيه زرت مراكز مقاومة الدرن والأمراض السرية ثم ذهبت لمستشفى كاليفورنيا حيث قابلت الدكتور كوستيلو وصحبه وتفرجت على جهاز الـكوبالت لمعالجة السرطان وخصوصاً سرطان الرئة وقد وصفت ذلك فى باب آخر .

وفى اليوم التالى ذهبت مع الدكتور بوللى (مساعده) إلى مدينة كلفر Culver City حيث توجد استديوهات مترو جولدين ماير وكانوا فى انتظارنا وقد قضينا اليوم فى مشاهدة هـذه الاستديوهات العجيبة التى تشغل خمسمائة فدان وبها ثلاثون استديو يمكن تشغيلها جميعاً فى وقت واحد وقد رأينا مناظر عجيبة فهناك شارع مدينة إيطالية وأخرى ألمانية بمنازلها ، أو على الأقل واجهاتها وأرصفتها وأشجارها ، وتبدو حقيقية جداً ، ثم رأينا جزء السفينة الذى استعمل فى فيلم مغامرة بليموث Plymouth adventure (سبنسر تراسى) وكذلك الحوض (الصغير) الذى تستعمله استرويليامز فى أفلامها والذى يجعلنا نتخيلها تسبح المسافات الطويلة تحت الماء . أما منظر نهر التيمز فالجزء الذى عامته فى فيلم (البنت التى تساوى مليون دولار) The Million Dollar Girl لا يزيد عن ١٠٠ قدم طولا وعليه كوبرى خشبى بسيط .

وشاهدنا أيضاً خيولا من المطاط السميك مركبة على أجهزة ميكانيكية تجعلها تظهر كأنها تقفز أو تجرى ، ويجلس على هذه « حضرات الأبطال » أما الجرى السريع الجرىء فى الخلاء فيقوم به أشخاص آخرون .

ورأينا كثيراً من الحيل التى تستعمل فى إحداث الأصوات المختلفة

والمناظر الخلابة المختلفة ، فمثلا كان هناك جزء من غرفة تمثل كابين قبطان سفينة بأثاثها ومن وراء الشباك ظهر رسم مياه وبه صور بواخر ، فيخيل إليك أنك فى باخرة حقيقية فى وسط المحيط !!

ولكن ماأعجبت به أكثر من غيره كان « المخازن الضخمة» فهى عبارة عن مبنى ذى عشرة طوابق ملأى بل مكدسة بكل أنواع الملبوسات والمفروشات والأوانى والستاير والآلات والأسلحة التى تمثل كل العصور وجميع البلدان حتى البدائية جداً وهى مجموعة ثمينة جداً لا أظن أن لها نظيراً فى أى مكان آخر .

وقد كان من حسن حظى أن قابلت المستر سبنسر تراسى والآنسة جين سيمونز Jean Simmons وكانا يمثلان فيلما عنوانه (السنوات الخوالى Years Ago) أو على الأقل كان هذا اسمه حينذاك وقد تلطفت الآنسة سيمونز فأعربت عن رغبتها فى الظهور فى فيلم تؤخذ مناظره وتدور حوادثه فى مصر .

وفى نهاية الزيارة شاهدنا فيلم Above and Beyond يمثله روبرت تيلور عن القاء القنبلة الذرية فوق اليابان فى الحرب الأخيرة وكان قد تم إخراجه حديثاً .

وكنت أود أخذ بعض الصور التذكارية لهذه الزيارة ولكن التصوير ممنوع قطعاً داخل الاستديوهات ، ولا توجد استثناءات .

ولم يكن هناك داع لزيارة استديوهات أخرى مثل وارنر أوكولومبيا فكلها سواء . غير أنى كنت أحب زيارة استديوهات ميكى ماوس ومقابلة مستر والت ديزنى Walt Disney ومعاونيه ولكنهم كانوا فى أجازة حينذاك .

وقد أصر صديق الطبيب على زيارة مقبرة هوليوود فى طريق عودتنا فشاهدنا المقابر الفخمة المقامة لرودلف فالنتينو وجون جلبرت وغيرهم ممن كان اسمهم على كل لسان رحمهم الله جميعاً .

بوليفار هوليوود Hollywood Boulevard

هذا هو الشارع الرئيسى فى هوليوود ويأخذك إلى مساكن الكواكب . كما أن به الفيلات المشهورة فى كل أنحاء العالم . وفى شهر ديسمبر من كل سنة يلبس هذا الطريق الطويل حلة بهيجة من الألوان والثريات ويسير فيه « سانتاكلوز » راكباً زحافة ذات طابقين وتحيط به الكواكب الجميلات ويلقى بطرود الهدايا لكل من على جانبى الطريق .

طبق هوليوود Hollywood Rose Bowl

هذا مسرح صيفى على شكل طبق يسع نحو عشرين ألف متفرج وتقدم فيه رقصات الباليه والأوبرات والاستعراضات الموسيقية منذ عام ١٩٢٢ وبالقرب منه امفتياتر الحجاج حيث تمثل كل صيف رواية السيد المسيح عليه السلام .

مسرح جرومان Grumann's Theatre

هذا أشهر مسرح ، إذ فيه يقام العرض الأول لكل فيلم ويؤمه كواكب السينما (وأظننا شاهدنا ذلك مراراً على الشاشة) والغريب أن أرضية (بلاط) المدخل محفور عليها إمضاءات الكواكب وكذلك بصمة أرجلهم أو أيديهم أو مسدساتهم أو أى شىء آخر يميزهم ، هذا بالإضافة إلى أن البناء نفسه على

الطراز الصينى وقد اخذت لى مع صديق « عبد الخالق » صورة فى مدخله بين إمضاءى « لانا تيرنر » و « أوليفيادى هافيلاند » .

بيفرلى هيلز Beverley Hills

هذه هى مدينة الدور الفخمة بل القصور الشامخة حيث يسكن كواكب السينما والراديو . وأنت إذ تتطلع إليها تشعر أن هؤلاء هم حقاً الملوك والملكات فى العالم . ومن العجيب أن تجد بين هذه الدور مبانى جامعة كاليفورنيا (فرع لوس انجليس) ولم أدر الحكمة فى وضعها هنا اللهم إلا إذا كانوا يريدون أن يدللوا على أن العلم والفن يسيران جنباً إلى جنب .

مزرعة ويل روجرز Will Roger's Ranch

وسرنا فى طريق بوليفار غروب الشمس Sunset Boulevard الذى خُلد اسمه فى فيلم بنفس العنوان شاهدناه فى العام الماضى بمصر ويمثل كوكباً عجوزاً تريد أن تعود للظهور من جديد فى الأفلام متحدية السن ومتحدية شباب الكواكب الأخرى وطبعاً تلاقى الفشل .

ووصلنا إلى المزرعة ويتوسطها المنزل والاسطبلات وقد ترك كل شىء كما كان يوم مات الممثل الهزلى الشهير فى حادث سيارة . وتستعمل المزرعة فى أخذ بعض مناظر لعبة البولو فى الأفلام . وقد أخذت لى صورة بملابس رعاة البقر بجوار المنزل .

ومن المزرعة قصدنا الى شاطىء الباسيفيكى حيث يوجد كورنيش جميل يوصلك الى نادى الهواء الجميل Bel-Air Club وهناك تجد مجموعة كبيرة من البجع الذى يقولون عنه إن منقاره يسع أكلا أكبر مما تتسع له معدته .

سانتامونيكا Santa Monica

هذه البقعة هى الشاطىء المفضل لهوليوود ، ففيها الفنادق الفخمة الكثيرة وأنت إذ تسير على الشاطىء بأشجاره ونخيله ترى ماء المحيط المتألق الذى يكاد يشع بالصحة والنشاط فإذا تطلعت الى أبعد وجدت شاطئا أبهج وأفخم وأنظف وقيل لك إن هذا شاطىء خاص مقصور على الكواكب من سكان المنطقة . ومع هذا لا يكتفون به بل تراهم ينشئون حمامات سباحة خاصة داخل قصورهم . ألم أقل لك إنهم ملوك وملكات العصر الحديث .

وترى أمام الشاطىء وعلى مســـافة ٢٢ ميلا منه جزيرة كاتالينا Catalina Island الجميلة تصل اليها بمعدية سريعة ولا تنس أن تأخذ لك بدلة بحر ماركة كتالينا .

* * *

هناك شيء يلفت نظرك فى لوس انجيلوس ويجعلها تختلف عن بقية مدن أمريكا وذلك أنها تمتد وتتسع فى كل الجهات الجانبية بدلا من ارتفاعها الى أعلا وقد ساعد نموها على أن تصبح شاغلة مساحة كبرى من الأرض . كما أن اعتدال مناخها وقلة الأمطار وانعدام الثلوج جعلها ملجأ يهرع اليه كل من ينشد الصحة ، ولذا نجد هنا نسبة كبيرة من متقدمى السن بين السكان .

* * *

ميدان سباق الخيل فى سانتا أنيتا Santa Anita Race Track

أشار علىّ أصدقائى بسان فرانسيسكو أن لا أنس زيارة ميدان السباق حتى ولو لم يكن فى نيتى المراهنة . فقصدته مع مستر كارل توتم ومستر نوبل

(من شركة شل) ودخلنا إلى الترف كلوب . ولا يصرح بدخوله إلا للأعضاء وأخص أصدقائهم . وهم يختمون طرف ذراعك المقدم بحبر غير ظاهر إلا عند تعريضه للأشعة البنفسجية ويطلب منك فى كل المداخل أن تثبت أنك « مختوم » حتى لا يندس الأغراب بين الضيوف .

وميدان السباق جميل جداً مزروع وسطه بالأزهار المتنوعة كما أن منظر الجبل فى المواجهة يزيده حسناً . فضلا عن تهذيبه بعد كل سباق . أما اعلان السباق نفسه فيتم بنفخ الأبواق من حملتها اللابسين الملابس الفخمة .

جلسنا نتناول الطعام فى التراس الكبير فما راعنى إلا أن قرأت اسم «خالد» KHALED مطبوعاً أمام كثير من خيول السباق وبالاستفهام قيل لى إن « خالد » حصان عربى شهير وهو أب لهذه الخيول التى سوف تجرى . . . يا للمصادفة العجيبة .

وكان لابد لى أن أراهن على « عائلتى » ويتبعنى أصدقائى مجاملة ولكن تبين أن الأبناء كعادتهم فيهم الكثير من العقوق ! فلم يكسب أحدهم ولا سباقاً واحداً وخسرنا دولاراتنا ولذا ألزمنى صديقاى أن أقوم بدفع شرابهم ذلك المساء « ليغرقوا أحزانهم وخسائرهم » وأصروا على الذهاب إلى مطعم الميناء الضائع The Lost Harbour Restaurant حتى ينسجم اسم المكان مع واقع الحال .

سان دييجو
SAN DIEGO.

سوف أصدقك القول فأقرر أنى لم أكن أفكر فى زيارة هذه المدينة قبل أن أصل الى واشنجتون وهناك أخبرنى الدكتور فيليبس أن بهذه المدينة مستشفى للبحرية كامل العدة والعدد ويحسن أن أزوره كما أن الكابتن هامبرجر — الذى كان ملحقا بحريا بسفارة أمريكا بمصر — نصحنى أن أشاهد هذه القاعدة البحرية الجوية العظيمة خصوصا وأن عديله الكابتن فروست يقيم هناك . وعندئذ خطرت لى فكرة زيارتها وقلت لنفسى لماذا لا أضيف الى مشاهدة كل هذه المنشئات زيارة الغواصات من الداخل وربما أسعدنى الحظ فمخرت بها المياه . إن هذه فرصة وهذه تجربة قل أن تسنح لى مرة أخرى .

وقد زرت المستشفى البحرى يوم وصولى من لوس انجليس وقد وصفته لك فى فصل ذكرياتى الطبية .

وفى صباح اليوم التالى أخذونى بسيارة الى الشاطىء حيث وجدت لنشاً بانتظارى ومعه المذكرة الآتية :

قيادة الأسطول الأول

أسطول الباسيفيكى للولايات المتحدة
سفينة القومندان

مذكرة

من : الكابتن فروست

إلى : دكتور خالد

بعد انتهاء زيارتك لقاعدة الغواصات الساعة ١١,٣٠ صباحاً أترك السفينة « سيرسى » وخذ اللنش .

وسأقابلك على الرصيف ونذهب لتناول الغذاء مع الفيس أميرالاى أوفست Vice-Admiral Oefst

بكل احترام
ل . ه . فروست
Capt. L. H. Frost.

وعليه فقد أوصلنى اللنش إلى السفينة الحربية حيث قابلت القبطان فيللر Capt. Feller قائد أسطول الغواصات وبعد تناول القهوة والحديث وأخذ صورة تذكارية صحبنى الدكتور جوزيف فوجل Dr. Joseph Vogel قومندان طبى البحرية إلى الغواصات ونزلت إلى داخل أحدها فما راعنى إلا أنها ملأى بالآلات الكثيرة المختلفه فهذه للأوكسجين والتهوية وتلك للغوص والأخرى للارتفاع الخ الخ . وقد شرحوا لى نظريتها شرحاً وافياً وفى الواقع أن الآلات لم تترك إلا فراغاً ضئيلا للضباط والجنود وقد وجدتها مزودة باستعداد طبى كامل لجميع الاسعافات . ثم غصنا وكم هو شعور عجيب أن تمخر تحت الماء وأعجب منه أن تطل من المنظار (البيريسكوب) Periscope ويمكنك أن تحركه فى مدى دائرة كاملة ثم بتحريك اللولب تقرب الأشياء البعيدة حتى تصير تفاصيلها واضحة لك وهكذا كنا نرى جميع السفن فى الميناء واضحة وضوحاً تاماً ومستعدة لأن نصوب قنابلنا عليها ونحن واثقون من إصابة الهدف ! !

وبعد أن عدنا تفرجت على غيرها من الغواصات ومنها واحدة فوقها

مكان مغطى يسع ٤٩ جندياً وهى معدة لحمل جنود الكوماندو ونقلهم إلى أى شاطىء غير مطروق (ليقوموا بالغزو) وقد أخذت لنا صورة تذكارية مع قبطان الغواصة .

وبعد ذلك ركبت اللنش (حسب التعليمات) وقابلت الكابتن فروست وذهبنا إلى ميس الضباط حيث تعرفت إليهم ورأس المائدة الفيس أميرال Oefst وفى أثناء الطعام — الذى استغرق ساعتين — شرحت لهؤلاء الأبطال سر حركة الثورة المصرية وإصلاحاتها وكانوا فى أشد اللهفة للوقوف على كل التفاصيل . وفى النهاية طلبوا منى أن أرسل تحياتهم وأطيب تمنياتهم للجنرال نجيب وحضرات أعوانه (وقد فعلت ذلك فى نفس اليوم) .

وبعد الغذاء أخذنى الكابتن فى رحلة تفتيشية حيث تفرجت على الأنواع العديدة من طائرات القتال بين انقضاضية ومحاربة وإسعاف وناقلة جنود وغيرها فكان يوما عظيما وتجربة فذة لا تنسى .

فندق الكورونادو Coronado Hotel

فى الليلة التالية دعانى الدكتور «مونرو» والدكتور «جون ستيكلويست» الجراح أن أكون خامسهم فى الذهاب إلى مرقص خيرى يقام فى هذا الفندق العجيب القديم وهو مبنى على جزيرة ونصل إليها بركوب المعدية بدون مغادرة السيارة (كما هو الحال بين بور سعيد وبور فؤاد) ، والفندق قصر فخم جداً وكانت الحفلة ناجحة . أما السيدات فقد كان جمالهن يفوق الوصف إذ جمع بين الجمال الأمريكى والمكسيكى الساخن وبقينا فى سرور وحبور حتى لاحت تباشير الصباح دون أن يبدو من أحد الرغبة فى مغادرة المكان .

* * *

طفت فى صباح اليوم التالى لأشاهد بعض مناظر سان دييجو وأهمها متنزه بالبوا Balboa Park وفيه أورغول هائل ومقاعد للحفلات التى تقام كل يوم أحد فى الهواء الطلق. ثم شاهدت بيت زواج « راموناRamona » الذى خلدته الكاتبة « هيلين جاكسون » ثم حديقة حيوانات المدينة وهى وإن كانت كبيرة فى المساحة إلا أن محتوياتها محدودة جداً اللهم إلا الطاووس الأبيض الموجود بكثرة هائلة فى كل ركن من الحديقة . وكذلك مجموعة من السيد قشطه (فرس البحر) من كل الأعمار .

وقد حدثتك عن الميناء وهى ليست حربية فقط بل تجارية نشيطة ولا بد لى أن أصف لك منطقة « لايولا » La Jola فى شمال المدينة وهى مقر عظماء المدينة وفنانيها ومناظرها خلابة جداً ثم تجد الصخور بطول الشاطىء مع كثير من الأخاديد ويلهو الناس ويلعبون هنا وهناك . وكان من حظى أن قضيت آخر أيامى فى سان دييجو فى هذه البقعة وتغذينا فى مطعم أنتونى Anthony's Sea-Food Restaurant وهو مكان فريد والجلوس فيه مريح وممتع إذ تتناول ألذ مأكولات البحار وأنت جالس فى الفراندة المطلة على المحيط الهادى .

قلت لك أنى لم أكن أفكر فى زيارة سان دييجو فهل تعلم أنه يؤمها سنوياً نحو نصف مليون زائر للمتعة أو للعمل وتعد هذه المدينة من أولى المدن التى أسست فى الولايات المتحدة بل هى قطعاً أولى مدن هذه المنطقة كما أن إرساليتها الدينية كانت أول إرسالية دخلت الولايات المتحدة وهى فوق ذلك تعد أكبر مصدر لصيد وتجهيز سمك التونة .

تيجوانا

TIJUAHANA.

قلت لنفسي ما دمت وصلت الى هذا الطرف من أمريكا فلماذا لاتزور تيجوانا وتقول لقد زرنا المكسيك أيضا . وقد تفضل الدكتوران منرو وستيلكويست وزوجاتهما بالذهاب معي عبر الحدود وهو أمر سهل ويسير ودخلنا المكسيك ولم يكن غرضنا زيارة الكباريهات وماإليها (خصوصا ومعنا سيدات) بل زرنا الحوانيت وهي كثيرة وعجيبة ، واشتريت منها بعض الحلي الفضية والجلدية الجميلة صنع المكسيك وهنا يمكنك أن « تفاصل » مع البائع تماما مثلما تفعل في « الغورية » أو « خان الخليلي » بمصر وبعدها قصدنا إلى نادي الـ « هاي لي » Hai-Alai (هكذا تُنطق) حيث تعشينا وتفرجنا على اللعبة وهي لعبة « البيلوت باسك » التي جاءت إلى مصر منذ أعوام عديدة (ولم تعش عندنا طويلا) .

ولعبة البيلوت باسك لعبة اسبانية قديمة موجودة في أنحاء كثيرة من العالم . ويسمى ميدان اللعب « الكونشا » وطوله ١٨٠ قدما وكل من عرضه وارتفاعه ٤٠ قدما وهو محاط بثلاث جدران : الأولى (الأمامية) تسمى فرونتس Frontis وتقع على يمين المشاهدين والخلفية اسمها ريبوت على يسارهم والجانبية تصل بين الاثنتين .

والجدار الأيمن مبني من الجرانيت (حجر الصوان) وسمكه ١٢ بوصة وهو متين جداً وسبب هذه التقوية أن يصمد لضربات الكرة فلا ينكسر إذ أن هذه الكرات صلبة كالحديد . وتسمى الكرة « بيلوتا » Pelota وهي مصنوعة من عدة لفات من المطاط فوقها قماش وفوق ذلك لفتين من جلد الماعز .

ويسمى المضرب سستا Cesta ويختلف مقاسه لكل لاعب . والمهارة فى اللعب تتوقف على التقاط الكرة وصدها بحيث يصعب على الخصم تلقفها .

ويمكن لعبها أفراداً أو أزواجاً وهناك قواعد شديدة تمنع الغش وتمنع اختلاط اللاعبين بالمشاهدين منعاً لكل شبهة .

ويقامر الحاضرون أحيانا بمبالغ طائلة . ونظراً لخطورة اللعبة فان اتحاد البيلوت باسك يؤمن على اللاعبين ويضمن لهم معاشاً دسما عند اعتزالهم اللعب .

مصارعة الثيران

كنت أمنى النفس أن تتاح لى فرصة مشاهدة مصارعة الثيران الذى يقام عصر كل يوم أحد فى تيجوانا حتى تتم المتعة . ولكن فى ذلك اليوم كان على أن أختار بين أن أذهب وحدى جنوبا لمشاهدة الصراع وبين أن أذهب مع « الشلة » شمالا للغذاء فى لايولا على شاطىء المحيط والسبب أنه كان معنا زوجتين رقيقتين أبتا أن تشاهدا دماء الثور (أو البطل) تسيل أنهارا «ياسيداتى إذاً مابالكن تجرحن قلوبنا ولا تأخذكن الشفقة علينا » فرضخت لحكم الأغلبية ولم آسف أبدا على هذا الاختيار فقد قضينا عصرية ممتعة وأمسية لذيذة تناولنا فيها طعاما صينيا لذيذا من صنع إحدى السيدتين ثم قضينا الليل فى حديث وغناء ورقص جزيرة هاواى Hawai من السيدتين بالملابس الوطنية المزركشة فكان ليلا بهيجا وخير ختام لزيارة سان دييجو .

نيو أورليانز

NEW ORLEANS.

سأعطيك أيها القارىء وصفاً قصيراً ، بل قصيراً جداً ، يتناسب مع الوقت الذى أمضيته فى زيارتها وهو لا يتعدى بضع ساعات وفى الحق إنى أكرهت إكراهاً — وإكراهاً محبباً — أن أمضى النهار من صباحه إلى عصره فى انتظار تدبير مكان لى فى الطائرة المسافرة إلى ميامى . فانتهزت الفرصة وقصدت إلى لوكاندة (روزفلت) Roosevelt Hotel الفخمة الجميلة حيث اغتسلت وغيرت ملابسى إذ كنت قد قضيت الليل بطوله فى الطائرة من لوس انجيلوس إلى نيو أورليانز ولم تتوقف إلا فترة قصيرة فى مدينة دالاس (بولاية تكساس) Dallas (Texas)

وفى جولة قصيرة كهذه وزمن محدود لا يجديك إلا الرحلات المنتظمة والدليل العارف الذين تقدمهما فى كل مدينة شركة أتوبيس الخط السنجابى . Gray Line Bus Company فطفنا المكان وكان أول المناظر « المربع القديم » Vieux Carré وهو يمثل الحى الفرنسى القديم . وكان هو فى الماضى، كل المدينة كما كان محوطاً بسور عال إمعاناً فى تأمينها (تذكر أسوار القاهرة فى قديم الزمان) والمربع يمتد من شارع القنال إلى شارع الاسبلاناد ومن النهر (المسيسيبى) إلى شارع الرامبارت . وهذا الشارع الأخير وهو الحد الغربى للمربع — يستمد أسمه من صفوف أشجار البلوط التى كانت تحمى المدينة .

وأنت تقضى فى التفرج على هذه البقعة من المدينة الأصلية ساعتين كاملتين إذ أنها تحوى نحواً من عشرين شارعاً داخلياً كما أنك تجد بها المنازل القديمة

بيلكوناتها وشبابيكها الغربية وكذلك تراها جميعاً مزينة بالحدائد التى تظنها منسوجة نسجاً يشبه الدنتلا . وأنت تشعر فى طوافك أنك لست فى أمريكا بل قد انتقلت إلى مدينة فرنسية من مدن القرن الماضى بمنازلها ومطاعمها وحاناتها كما أن الكنائس متناثرة فى كل مكان ثم لا تنس أن تزور « حارة القرصان » Pirates Alley وكذلك السجن الذى كان معداً لمن يقبض عليه منهم وقد كان هذا القسم عامراً فى عصور القرصنة . كما لا تنس زيارة معاصر القصب وأمكنة تخمير العسل وعمل الروم والمشروبات منه . وأهم ميدان فى المدينة القديمة هو ميدان جاكسون Jackson Square وترى بالقرب منه مقابر فوق الأرض (Above-ground Burial Vaults) يرجع تاريخ ساكنيها إلى القرن الثامن عشر .

وبعد ذلك انتقلنا إلى شاطىء ومصب النهر العظيم « المسيسيبى » Mississipi River وأرصفته الكثيرة وهنا ترى التجارة والنقل فى حركة دائمة وبخاصة الآلاف المؤلفة من بالات القطن كما أن أطنان الموز الواردة من جنوب أمريكا تملأ حيزاً كبيراً . ثم يأخذك الدليل عائداً إلى المدينة الجديدة ماراً بك فى شارع النخيل المزروع على الجانبين والمنتشرة أوراقه على أشكال المراوح ويعود بك إلى شارع القنال .

وفى يوم « الثلاثاء الزَبدى » Mardi Gras يقصد المدينة ملايين من الزوار للاحتفال بهذا اليوم الدينى المقدس .

ميـــامى

MIAMI.

عند نهاية شهر يناير سنة ١٩٥٣ كنت قد أمضيت ثلاثة شهور كاملة بالولايات المتحدة فى اجتماعات علمية ومقابلات رسمية ومؤتمرات ومحاضرات وارتباطات بمواعيد محددة وما إلى ذلك ، فضلا عن أن الشهرين الأولين كانا فى منطقة محملة بالزوابع والثلوج والأمطار . ولذلك صممت على أن أعطى نفسى إجارة أسبوع أقضيه فى مكان لا يعلم به أحد وأخلو فيه لنفسى مسترخياً مستريحاً ويشترط فيه طبعاً أن يكون جوه فى اعتدال تام . وهل تتوفر كل هذه الشروط إلا فى « ميامى » التى تسمع عنها الثناء فى كل أنحاء العالم ؟

وعليه طرت من سان دييجو إلى ميامى فى الطائرة الكبيرة المريحة D.C. 6. ، ولم نتوقف إلا فى دالاس وفى نيو أورليانز . والرحلة طويلة جداً حتى أن القبطان والملاحين والمضيفات يتغيرون ثلاث مرات خلال الطريق . وشعرنا بشىء من التعب ولكن الرغبة فى بلوغ ميامى أنستنا ما نلاقيه من وصب . وأخيراً وصلنا قبيل منتصف الليل وقصدت إلى فندق ايفرجليدس Everglades Hotel على شارع ومتنزه خليج « بسكين » Biscayne Bay ولم أشعر بالحاجة للراحة أو النوم بل خرجت لأشاهد المدينة — أو على الأقل — الجزء القريب من الفندق فوجدتها مدينة لا تنام . وإن واتاك الحظ أن تزورها يوماً ما لوافقتنى على أنها مدينة السحر والجمال وأنها تعد بحق ملهى وملعب العالم Playground of the World أجمع وأن أمنية الأمانى أن تزورها وليتك تعيش فيها دائماً — إن كانت ماليتك تسمح لك بذلك !! .

وقد أنشئت المدينة عام ١٨٩٦ وسكانها الدائمون يبلغون الآن ثلاثمائة

ألف نسمة فى مساحة لاتزيد عن ٤٦ ميلا مربعاً. أما مناخها فعتدل جداً دافىء شتاء بارد صيفاً ، فلاتزيد الحرارة عن ٨١° ف ولاتنخفض تحت ٦٨° ف على مدار العام ولذا فقد صدق مؤسسها المستر هنرى فلاجلر Henry Flagler عندما وصفها بأنها (مدينة الشباب المستديم) City of Eternal Youth .

وقد نمت المدينة نمواً سريعاً وبها الآن خمسة وسبعون ألف مبنى تبلغ قيمتها ٢٥٠ مليون دولار ، كما أن بها صناعات كثيرة ولكن ربما كانت أروج صناعاتها هى السياحة إذ يزورها سنوياً أكثر من مليونى سائح .

ووجودها على خليج المكسيك Gulf of Mexico ساعد على اعتدال مناخها كما أنه يمدها بأنواع مختلفة من الأسماك وبذلك أصبحت مقصداً لصيد السمك للهواة وللتجارة على السواء كما أن بها ملاعب للتنس والجولف فوق مغانيها ومباهجها الأخرى . إنها مدينة جمعت كل شىء . فإذا كنت راغباً فى ركوب القوارب أو سباقها أو فى الرحلات الهادئة أو فى سباق الخيل أو الكلاب أو صيد السمك أو التنزه فى عرض المحيط أو البيلوت باسك أو فى الكباريهات وعلب الليل الفاخرة أو فى المطاعم والمآكل العديدة فأنت واجد ما تريده وواجده بكثرة . أما إذا كنت ترغب أن تسكن المدينة فهناك المدارس بمختلف أنواعها وأماكن العبادة لتثقيف العقل وتهذيب النفس . وسواء كنت من أهل المدينة أو من زائريها فهناك الحوانيت المكدسة بكل أنواع البضائع والهدايا التى تفوق الوصف لا من أمريكا فقط بل من الجنوب ومن الأقطار الأخرى — بضائع لن تجد لها شبيهاً فى أى مكان آخر . . .

ثم هناك شاطىء ميامى **Miami Beach** وهو مقصد الناس على مدار السنه ، تسبح فى مياهه صيفاً أو شتاء . وستدهش عند ما أخبرك أنه حتى

سنة ١٩١٥ لم يكن إلا مجموعة مستنقعات مهملة (فهو بهذا شاطىء من صنع الإنسان لا من صنع الطبيعة) . أما الآن ففيه ٣٣٠ فندقاً وألف شقة للايجار وآلاف المنازل للسكن وللأعمال حيث يتبادل الإقامة فيها تسعون ألفاً على مدار العام .

وستعجب لنظافة الشاطىء وجماله وسيذهلك جمال العشرين جزيرة (الصناعية) المقامة على شواطىء ميامى .

والآن دعنى أصف لك بعض معالم ميامى نفسها :

١ — بوليفار بيسكاين Biscayne Boulevard

هذا من أجمل الأمكنة والمتنزهات . يكتظ نهاراً وليلا بالمتنزهين ويحده من جهة شاطىء البحر ومن الجهة الأخرى صف طويل من فنادق ميامى الفخمة مثل « ماك ألستر » و « كولونيال » و « ايفرجلادس » و « الكازار » و « بيسكاين تيراس » الخ . . . وبه تمثال للرئيس روزفلت ومسرح مكشوف لعزف الموسيقى الكلاسيكية .

٢ — مرسى اليخوت Yacht Club Wharf

وأظن أن هذا المكان يؤمه يومياً من الزوار عدد أكثر من أى مكان آخر وتجد فيه كل أنواع اليخوت والقوارب كبيرها وصغيرها فمنها ما تخرج به فى رحلة بعيدة فى المحيط ومنها ما تأخذه لصيد أسماك الأعماق Deep-sea fishing حيث يمكن أن تصيد أياً من الستمائة نوع من السمك التى يحتويها الماء فى هذه المنطقة . ثم هناك البواخر المعدة للرحلات والطواف بمختلف المناظر وسأصف لك اثنتين منها :

الأولى كانت باخرة اسمها « رحلة الغـابة » Jungle Cruise مررنا بها (وشاهدنا) متنزه البسكين وشاطئه ثم منظر مدينة ميامى العـام (Miami Sky-line) وقلعة دالاس والـكبارى الـكثيرة التى ترفع (أو تفتح) للبواخر طول النهار ثم اسكلات صيد الأسماك وقواعد القوات البحرية ثم نادى اليخوت الخاصة ووصلنا إلى قرية الهنود الحمر السيمينول Seminole Red Indians ومزرعة التماسيح وهى (نوع خاص يسمى Alligators) كما شاهدنا مصارعة الإنسان لهذه التماسيح ولـكنى سأصف لك هذا فيما بعد كما شاهدنا مدينة النسانيس وكذلك مزرعة أشجار المنطقة الحارة .

والرحلة الثـــانية : ركبت السفينة (ذات القاع الزجاجى) Glass-bottom Boat وهى تجربة عجيبة حقا . وكان الجو صافياً والشمس ساطعة فى ذلك اليوم . وخرجت بنا السفينة إلى عرض المحيط واختار قائدها منطقة غير عميقة فأوقف السفينة فوقها . ومن القاع الزجاجى كنا نرى التركيبات المرجانية لقاع المحيط والأسماك التى تعيش فيه ثم نزل الغواص بلباسه الخاص وأمسك لنا ببعض الأسماك كما استحضر كثيراً من الأصداف والمحار الغريب الشكل ليشترى كل منا ما يروق له ويحتفظ به تذكارا لهذه الرحلة العجيبة وقد اشتريت محاراً كبيراً غريب الشكل مخطط باللونين الأبيض والأسود أعتز به اعتزازا كبيرا . .

قبيلة السيمينول The Seminole Tribe

والآن سأحدثك عن هؤلاء الهنود فقد زرنا قريتهم ومنازلهم وقضينا وقتا طويلا معهم . وهم قوم هادئون يعيشون فى عزلة وفى سلام ومع ذلك

سيدهشك أن تعلم أنهم القبيلة الوحيدة التى لم « تعقد الصلح » مع حكومة الولايات المتحدة حتى الآن ؟ !

« وسيمينول » معناها رُحّل أو هاربون . وسموا كذلك لأنهم فى سنة ١٧٥٠ انفصلوا عن زملائهم فى ولاية جورجيا واستمروا فى الرحيل جنوبا حتى وصلوا إلى فلوريدا وكانت حينذاك تحت الحكم الاسبانى وكان يقودهم زعيمهم « سى — كوفى » Sea-Coffee أى « بن » (أو قهوة) البحر .

وتصادف أن بعض العبيد السود كانوا أيضا يهربون إلى مجاهل فلوريدا من ظلم أسيادهم فتصادق هؤلاء مع أولئك واختلطوا وتزاوجوا ولذلك فإن أبناء القبيلة الآن هم خليط من الحمر والسود والبيض .

ويزخر تاريخهم بالوقائع الكثيرة ولكن ربما كان أشدها إثارة تاريخ زعيمهم « أوشيولا » Osceola ومعناه الشمس المشرقة وهو من أب انجليزى وأمه ابنة زعيم القبيلة وتزوج هو ابنة أحد الزعماء .

وقد نشأت عداوته للرجل الأبيض عند ما أسرت زوجته وخطفوها مقيدة بالأغلال فتملكته الأحزان على زوجته الحبيبة وحاول عدة مرات أن يخلصها ولكنه أسر هو نفسه فى إحدى هذه المحاولات وكان آسره الجنرال تومبسن General Thompson فشعر بالمهانة . ولما أطلقوا سراحه قتل الجنرال وكذا مساعده الملازم سميث . ومنذ تلك الساعة استمرت الحرب بينه وبين الرجل الأبيض وانقاد له ذووه وعشيرته وقلدوه الزعامة نظراً لما لمسوه فيه من شجاعة ومن حيلة فحارب خمس سنوات طوالا كان يغير على جيوش الولايات المتحدة ويسدد ضرباته اليها ثم يهرب برجاله فى الغابات والمستنقعات حيث يستحيل على البيض الدخول فأحبه رجاله وأعجب

به أعداؤه ــ وعرض عليه البيض معاهدة للصلح عدة مرات وكان يرفض العرض كل مرة قائلا « إن الرجل الأبيض لا يمكن الثقة به » ولكن إلحاح أهله وأتباعه المستمر جعله يرضى فى النهاية . فرفع علما أبيض وسار هو والقط البرى Wild Cat وغيره من الزعماء قاصدين مقابلة الجنرال فرناندز عام ١٨٣٧ فى سانت أوجستين . ولكن « حضرات قادة الجيش » تجاهلوا العلم الأبيض وقبضوا عليهم وسجنوهم فى « قلعة ماريون » Marion Fort وقد هرب اثنان من الزعماء . أما أوشيولا فرفض الهروب قائلا (إنى لم أفعل ما يشين . إن من أسرونى هم الذين يجب أن يشعروا بالخزى والعار) ومات بعد ذلك بقليل ولما يتجاوز عمره ٣٤ ربيعاً .

ورغماً من عدم وجود معاهدة صلح فقد فتحت حكومة الولايات المتحدة المدارس الخاصة بهم لتعليم أولادهم ولكنهم ما زالوا يعيشون اليوم على الفطرة كما كانوا يعيشون منذ قرن من الزمان على الصيد والقنص . كما إنهم يصنعون الكثير من التذكارات الجلدية والأقمشة المزخرفة والملابس التى يشتريها السائحون من حانوت كبير ملحق بالقرية .

الاليجاتور « تمساح الجنوب » The Alligators

يوجد فى المغاور ومجارى المياه والبحيرات الحلوة فى هذه المنطقة . وفى مزرعة التماسيح ترى منه كل الأعمار وكل المقاسات بعضها لا يتجاوز بوصتين والبعض طوله ١٢ قدماً ويزن حتى ٤٠٠ رطلا . بعضها عمره أيام أو أسابيع والبعض عمره ٢٢٥ عاماً . ونمو هذا التمساح بطىء جداً لا يتجاوز بوصتين فى العام !!

والهنود يقدرون عمر الحيوان بقياس المسافة بين عينيه أما العلماء فيقدرون عمره بقياس عظمة الفك .

وتخرج الحيوانات من فقس البيض فى شهرى يونيه ويوليه وتكون فى مجموعات من ٢٠ — ٤٠ حيواناً ومن بدء حياتها تكون ذات شراهة فظيعة فى الأكل فإن لم تجد ما تأكله من الأسماك أكلت أجزاء من بعضها البعض بل إن الكبير كثيراً ما يلتهم صغاره إذا جاع . وقد أصدرت الحكومة قانوناً يمنع بيعها أو نقلها أو حيازتها إلا بترخيص خاص حتى لا تنقرض .

وكما سبق أن قلت لك أن من المناظر الطريفة للسياح مشاهدة مصارعة أحد شباب الهنود لتمساح كبير والتغلب عليه .

وهذه الحيوانات تختلف عن التمساح الأصلى ، فبوز التمساح أكثر بروزاً كما أن أسنانه أكبر وفكه الأعلى هو الذى يتحرك بينما الأليجاتور يحرك الفك الأسفل . هذا عدا أن التمساح أكثر وحشية .

ويستعمل جلد الأليجاتور فى عمل الأحذية والأحزمة ومختلف الشنط للسيدات وهم أحياناً يستعملون الأليجاتور بجسمه ورأسه ورجليه ويديه فى صنع غطاء الشنطة فتكون السيدة كأنها حاملة للحيوان طوال الوقت !!

الفلامنجو Flamingo

هذا الطير من زينات ميامى والنوع الوردى هو الموجود فى الحدائق والمتنزهات وميادين السباق وهو من أجمل طيور المنطقة الحارة ويعيش على أكل الصدفيات والأسماك الصغيرة ويبنى عشه على شاطىء المياه الضحلة وأكثر ما يوجد فى جزر البهاماس Bahamas بالقرب من جزيرة كوبا .

ولا داعي لأن أعدد لك ما شاهدته من الطيور والأشجار والمزروعات فهي عديدة جميلة متنوعة تسمع تغريدها في كل مكان وترى الأشجار على هيئة نخيل وأوراقه كالمروحة أو موز ضئيل الحجم بطول الأصبع أو أزهار على شكل السجق Sausage tree الخ فعليك ياصديقي أن تراها بنفسك وتتمتع بها.

صالة المحاضرات The Auditorium

هذا مبنى بالقرب من شاطىء المدينة وكان — وقت زيارتي — مشغولا بمعرض أقامه متحف هنرى فورد — ليبين مدى تقدم الصناعة في شتى فروعها ابتداء من السيارات إلى ماكينات الخياطة إلى ملابس الرجال والنساء وطرق الإنارة وأواني الطبخ والأقفال والتصوير والراديو والتلغراف وأدوات ضبط الوقت الخ .. وفي كل هذه الفروع يريك ما كانت عليه ثم كيف تطورت حتى وصلت إلى درجة الاكتمال الحالي . وفي كل الأقسام ترى عينات الصناعة في كل عصر من عصور تطورها .

شاطىء ميامى Miami Beach

يمكنك أن تسمى هذه البقعة مجموعة كل ما هو الأفضل والأعلى والأفخم والدرجة القصوى . كل شىء هنا يحاول أن يصل إلى القمة في العظمة ، كل عظماء الصناعة والحياة الاجتماعية والأدبية والفنية ، كل كواكب المسرح والسينما يجتمعون هنا في الشتاء فترى هذه البقعة وقد أصبحت تحتوى على ثروة من المال والفن لا تعدلها ثروة أى مكان آخر . في هذه الخمسة أميال من شاطىء البحر تظن نفسك ليلا ونهاراً أنك في حلم لذيذ وتصور أن شارعاً واحداً يواجه البحر Ocean Front يحتوى على ١٧٩ فندقاً عدا الشقق السكنية العديدة .

وهى الملجأ الذى يهرع إليه كل هارب من شدائد الطبيعة وأعاصيرها وثلوجها وهى تلقاك مرحبة وتقدم لك أحدث وسائل الراحة والاستمتاع والاسترخاء من مآكل ومشارب ومنام فضلا عن المناظر الزراعية والنباتية والطبيعية البهيجة وميادين السباق البديعة .

ولا تظن أنها جزء من مدينة ميامى . كلا ، إنها مستقلة بإدارتها وبلديتها. وحتى أريك كم هى مستعدة لتلقى زوارها أذكر لك أن بها ٥٥٠٠ مسكناً مفروشاً و ٣٧٠ فندقاً بها ٢٧٠٠٠ غرفة وكذا ١٦٠٠ شقة للتأجير وفى سنة ١٩٥١ لم تزد الحرارة صيفاً عن ٨٥° ف ولم تنخفض شتاء عن ٧٧° ف كما أن الشمس لم تختف من الأفق إلا أربعة أيام فقط (وهذا مهم جداً فى أمريكا يا صديق) .

ثم أضف إلى هذا أن « شاطىء ميامى » مدينة عجيبة حقاً. ليس بها مطار ولا سكة حديدية ولا مقبرة ولا مصانع كما إنه محرم على الزنوج الإقامة بها .

وهناك ثلاث ميادين للعب الجولف وأربعة عشر منتزهاً واثنى عشر مسرحاً ومستشفيين على أحدث طراز وثلاث بنوك وخمسة عشر كنيسة وأربع مدارس عامة واثنى عشرة مدرسة خاصة !!

أما الاستمتاع فحدث عنه ولا حرج فهنا كل الألعاب الرياضية وغير الرياضية نهاراً فى الاستحمام والتنس والجولف وسباق الخيل وصيد الأسماك . وليلا فى التياترات والكباريهات وسباق الكلاب وكل ما يمكنك أن تتخيله وتتنبأ به من استمتاع برىء أو « غير برىء » .

ولكن لابد لى أن أذكر لك كلمة عن الاستحمام والسباحة فى البحر فهو منعش مجدد للنشاط وهو لذيذ فى آخر يناير وأول فبراير (تصور هذا) !!

والشاطىء معتنى به أشد العناية وتزال الأعشاب التى يطردها البحر أولا بأول . وحتى إذا لم يكن معك ملابس الاستحمام (فى يومك الأول مثلا فهناك محل « كوك » فى الشارع الخامس يؤجر لك الملبس والمنشفة وغرفة لخلع ملابسك مقابل دولار ونصف . ولكنى أؤكد لك أن مشاهدتك بدل البحر والمناشف المرسوم عليها خريطة فلوريدا والتلافيح الحريرية الجميلة والقمصان الملونة البهيجة لابد أن تغريك بشراء ما يلزمك منها (ومالا يلزمك) وكذلك شراء هدايا لعائلتك إذ أنك تجد آخر مبتكرات الشواطىء معروضة هنا قبل ظهورها فى أى مكان آخر بمدة طويلة .

إذن فلنذهب إلى الشاطىء ونغطس فى مياه المحيط ونتحدى الشتاء وإنك لواجد أن الماء طازج منعش كما أن نظرك سيقع على مجموعة جميلة من مختلف الألوان . ولكن لا تظن يا صديقى أنك ستجد كل من على الشاطىء فى قوام عروس البحر — كلا . أخشى أن أقول إن العكس هو الأصح — وهل أنت من السذاجة أن تعتقد أن ملوك وملكات المال لا بد أن يكونوا على قدر كبير من الرشاقة أو الجمال ؟ إن الله فى حكمته يوزع النعم والمواهب بقسطاس .

وهناك أمر آخر لا بد لى من ذكره لأكون صادقاً فى إبراز صورة صحيحة . ذلك هو أن الطقس ليس « بديعاً دائماً » . إذ أن من بين السبعة أيام التى قضيتها هنا كان يومان منها عاصفين مطيرين لا يمكن السباحة فيهما . وأذكر أنى كنت شاهدت فيلماً فى سان فرنسيسكو عن أحد أهالى كاليفورنيا الذى ذهب إلى ميامى ليستمتع بجو دافىء لذيذ ولكنه وجد الجو ممطراً عاصفاً فعاد بالخيبة وزادت خيبته أنه أفلس تماما . وكنت أظن الفيلم دعاية من كاليفورنيا ضد فلوريدا ولكنى الآن أظن أن به شيئاً من الحقيقة (الحلو مايكملش) .

ثم حصل يوم ٣١ يناير خسوف كلى للقمر استمر ساعة كاملة وترتب عليه إلغاء رحلة ليلية قمرية فى البحر . كما أن الطرقات كانت مظلمة فلم يستطع المحبون أن يستمتعوا بضوء القمر .

ولكن صدقنى — رغماً عن كل ذلك — أنك عندما تسير على شاطىء المحيط Ocean Front وترى كل هذه الدوحات تحمل ثمرات الكوكا المكورة وقد تحلت وارتبطت بحبال الثريات الكهربائية مختلفة الألوان تشعر أنك فى أرض الخيال وأن ما تراه حلم وليس حقيقة .

* * *

الرفوف المرجانية وجزائر غروب الشمس The Coral Reef Gables and Sunset Islands.

هذه كلها جزائر صناعية تتصل بشاطىء ميامى بواسطة العديد من الكبارى البيضاء التى تراها مفتوحة مقفولة باستمرار لتسمح لبواخر النزهة بالمرور تحتها .

وفى هذه الجزائر تشاهد أفخم الفيلات والقصور التى يسكنها العظماء والأغنياء الذين اختاروا هذه المنطقة لإقامتهم الدائمة أو المؤقتة وترى معظم المبانى على الطراز الايطالى أو الأسبانى أو الفرنسى أو المغربى أما حدائقها وأزهارها فحدث عن إبداعها ولا حرج .

* * *

التبضيع

إنك تجد فى ميامى وفى شاطىء ميامى أحسن البضائع وأجملها فى كل

الولايات المتحدة وكذلك بضائع جنوب أمريكا وخاصة الأرجنتين وجواتيمالا وكوبا منسقة تنسيقاً بديعاً تدعوك لحيازتها لك ولأحبابك ومهما قدرت لها من ميزانيتك فلا بد أنك سوف تتجاوز هذا القدر متى بدأت فى الشراء .

كم من الزمن سوف تبقى فى ميامى وشاطىء ميامى ؟

إنك يا صديقى سوف ترسم رحلتك إلى هذه البقعة الجميلة شاعراً أن لبدنك عليك حق إراحته من البرد والعواصف وتكون قد ملأت حافظتك بالدولارات ولكنى — عن خبرة — أقدم لك ثلاث نصائح :

أولا — حدد يوم ذهابك ولكن لا تحدد يوم رجوعك — وأغلب الظن أنه سيكون مبكراً عن اليوم الذى تظنه وهو على كل حال سوف يتوقف على سرعة ذوبان مدخرك من الدولار .

ثانياً — اقطع تذكرة عودتك بالقطار أو الطيارة مقدماً حتى تضمن أنك سوف يمكنك العودة لبلدك .

ثالثاً — اشتر ما تريد شراءه لنفسك أو لأصحابك فى اليومين الأولين وإلا فلن يبق معك شىء لهذا الغرض عند نهاية إقامتك .

وسوف يكلفك الفندق ما بين ١٢ و ٤٠ دولاراً فى اليوم للنوم فقط أما فى شاطىء ميامى فالأجرة تزيد عشرة أو عشرين دولاراً عن ذلك . أما إذا أردت أن تحجز جناحاً فسيرتفع الأجر إلى رقم خيالى . وقد صدق البحار عند ما قال لى (لا أدرى كيف يمكن أن يأتى النوم للانسان وهو يعلم أن هذا النوم سوف يكلفه مائة دولار كل ليلة ؟ ! !)

ثم هناك المسارح القانونية « وغير القانونية » وسباق الخيل وسباق

الـكلاب والملاهى والمطاعم والمباهج وسوف تجد أن جميع من حولك يشعرون أنك حضرت لبلدهم ومعك دولارات كثيرة بقصد صرفها والجميع يرحبون بمساعدتك على التخلص منها ! !

ألم أقل لك إنك ستجد نفسك مضطراً لإعادة النظر فى ميزانيتك مدة إقامتك التى قد تقصر إلى نصف أو ثلث المدة السابق تقريرها ؟ ولهذا ترى الناس أحيانا لايذهبون لفراشهم أبداً . فالحركة هنا دائبة ٢٤ ساعة كل يوم والـكل لا يأسف على ذوبان النقود فالمتعة عظيمة والاستمتاع لا حد له . وبعد ما هى قيمة النقود ؟

من هذا ترى أنك لن تقضى هنا إلا أياماً معدودات (اللهم إلا إن كنت ثرياً) ولـكن لا بد أن تقنع أصدقاءك أنك كنت فى ميامى حقيقة . الطريقة الوحيدة أن تشترى زجاجة من زيت خاص وتدهن بها وجهك وجسمك وتعرضه لأشعة الشمس حتى تلوحه . وترى فى سماء الشاطىء طيارات كثيرة على ارتفاع منخفض تعلن لك عن مزايا كل ماركة من هذه الزيوت . ولـكن احذر شـدة التعرض للشمس بزيتك هذا وإلا أصبت بحروق خصوصاً فى الوجه والأنف واضطررت لقضاء أيامك فى معالجة هذه الحروق . وبطبيعة الحـال لم أكن أنا شخصياً فى حاجة لمثل هذه الدهانات فالبشرة ملوحة بطبيعتها والحمد لله .

يالله كم هى رحلة ممتعة وأيام سعيدة . .

* * *

أطلانتا (ولاية جورجيا)

ATLANTA (Georgia)

وصلت هذه المدينة فى اليوم الرابع من شهر فبراير سنة ١٩٥٣ صاعداً لها من مدينة ميامى وكان غرضى الأول منها زيارة الليبان وكذا معهد الأمراض المعدية (Communicable Diseases Center) . وقد وصفت لك كل هذا فى مكان آخر من الكتاب فلم يبق إلا أن أكتب لك هنا عما لفت نظرى عداهما فى المدينة نفسها :

وكان أخشى ما أخشاه أن « أعاقب » بعد متعة ميامى بزيارة مدينة مقبضة ولكن الحمد لله تبين أن أطلانتا مدينة لها جمالها وتستأهل بحق أن تسمى « بوابة الجنوب » (Gateway of the South) كما كنت محظوظاً بحجز مكان فى فندق بلتيمور Biltimore فهو فخم يقارن بأحسن الفنادق ، مقام على مساحة أربعة أفدنة ونصف فدان ومحاط بالفراندات والحدائق . أما صالوناته وخصوصاً الصالون الامبراطورى Empire Hall ، وأما غرف الطعام حيث تقام الاستعراضات الراقصة ساعة العشاء وكان ليلة حضورى استعراض على الثلوج Icecapade ، أما الغرفة الجيورجية Georgian Hall فأفخمها جميعاً وقد عرض فيها فى اليوم التالى استعراضات الموديلات الجديدة Fashion Parade فاجتمع فيها أجمل المانيكان مع أجمل سيدات أطلانتا فكان استعراضاً للجمال والملابس من الطرفين .

قلت لك إن أطلانتا عاصمة ولاية جورجيا تسمى بوابة الجنوب فهل تعجب إذ تعلم أنها ذات مواصلات ضخمة مع كل البلاد بواسطة شبكة من

طرق السيارات وخمسة عشر خطاً حديدياً وثمانية خطوط جوية تجعلك تصلها مباشرة من أى جهة أخرى من الجهات المملكة .

وهي تقع فى حضن جبل البلو ردج Blue Ridge Mountain وعلى ارتفاع ١٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وبذا تصبح أعلا مدينة من حجمها فى أمريكا (ما عدا مدينة دنفر) ، وترتب على ذلك أنها أصبحت مصيفاً لطيفاً .

وقد أسست سنة ١٨٣٧ ولكن لم تسم « أطلانتا » إلا فى عام ١٨٤٥ وكانت نقطة استراتيجية هامة فى حرب الولايات بين الشمال والجنوب ومركز تجمع جيوش وذخائر الولايات الجنوبية المتحالفة مما جعلها أهم أهداف الجنرال شيرمان عام ١٨٦١ وبعد أن حاصرها عدة أسابيع استولى عليها فى سبتمبر سنة ١٨٦٤ وأصدر أمره لجميع سكانها بمغادرتها فى خلال خمسة أيام ثم اتخذها مركزاً لمعسكره . وفى نوفمبر من السنة نفسها غادرها ثم دمرها تدميراً .

وما انتهت هذه الحروب والمعارك حتى أخذت أطلانتا تتقدم بخطوات سريعة وجريئة فى الإنشاء والتعمير وساعدها على ذلك معرض القطن الذى أقيم عام ١٨٨١ والمعرض الدولى العام الذى أقيم بعد ذلك بأربعة أعوام .

وترى فيها الثقافة منتشرة فى كل ركن فهناك سبعة كليات جامعية للبيض وعشرون مدرسة كما أن بها سبعة كليات للزنوج وهى فى هذا الباب فى مقدمة مراكز تعليم الزنوج .

وهناك مشاهد كثيرة فى أطلانتا جديرة بالزيارة وربما كان أشهرها

الجبل الحجرى The Stone Mountain الذى يبعد عن المدينة بحوالى ١٦ ميلا وربما كان هذا أكبر قطعة واحدة من الجرانيت محيطه سبعة أميال وارتفاعه ٨٠٠ قدماً . وقد لعب دوراً هاماً فى حملة الأسبان بقيادة دى سوتو De Soto عام ١٥٤٠ فكان هو مركز المراقبة للهنود الحمر وساعدهم فى محاربة الاسبان والتجسس عليهم ، ويمكن بلوغ القمة لأن ارتفاعه يتدرج إلا أنى لم أتمكن من ذلك نظراً لهطول أمطار غزيرة يوم الزيارة فاكتفينا بشراء قطعة من حجر الجبل كتذكار .

ثم هناك منزل العم « ريموس Uncle Remus » أو المستر جريل شاندلر هاريس مؤلف قصص الأطفال الممتعة على طريقه هانس كريستيان اندرسن Hans Christian Anderson .

ثم هناك مواقع المعارك الكثيرة فى حرب الشمال مع الجنوب وربما كان أحسن منظر لها السيكلوراما Cyclorama وهو مبنى عظيم فى المنتزه الكبير Grand Park وتمثل تمثيلا بارزاً موقعة أطلانتا وتبلغ الصورة ٥٠ قدماً ارتفاعاً بدائرة محيطها ٤٠٠ قدم ووزن المواد التى فيها ١٨ ألف رطل وهى إخراج بديع للمعركة فترى تماثيل الجنود والضباط وأسلحتهم وسكك الحديد والمدافع والموتى والجرحى كل ذلك كأنها حقيقية ثم تتدرج الصورة صاعدة الحائط فتصبح رسماً زيتياً مبيناً باقى أدوار الموقعة ، وتشاهد كل ذلك من مدرج دائرى فى الطابق العلوى .

وهذا الدور العلوى يحتوى على المدافع والبنادق التى كسبها الشمال وكذا المنشورات وأوامر القواد بالقبض على أعدائهم (أحياء أو أمواتا) ومصادرة ممتلكات الثوار الخ . .

وقد سجلت موقعة أطلانتا تسجيلا رائعاً بواسطة الكاتبة مارغريت متشل Margaret Mitchel فى روايتها « ذهب مع الريح » Gone with the Wind التى أخرجت كاملة فى فيلم طويل ذاع فى كل أقطار العالم ولم نر له مثيلا قط .

ولأقل لك كلمة صغيرة عن هذه الحرب بين الشمال والجنوب ولو أنى أقر من المبدأ أنى لم أدرس تاريخها دراسة علمية بل أقتصر على ما علمته فى المنطقة نفسها .

وأظننى ذكرت لك أنه فى اليوم التالى لوصولى إلى نيويورك زارتنى آنسة مندوبة عن معهد دراسة الشئون الدولية وألحت أن أخبرها برأيى فى مشكلة الزنوج وقد أبيت أن أتكلم عن شىء لم أدرسه واكتفيت بأن قلت لها إن دينى (الاسلام) يقول « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وأن الجميع سواسية .

وتتلخص مشكلة الزنوج — وعددهم فى الولايات المتحدة يبلغ الآن ١٢ مليوناً — أنهم أتى بهم من أفريقيا الغربية وبيعوا فى الأسواق كعبيد أرقاء اشتراهم الجنوبيون ليشتغلوا دون أجر فى المزارع والمنازل وبنوا ميزانية اقتصادياتهم على هذا الأساس .

فلما نادى الرئيس لنكولن بالغاء الرقيق رفض الجنوبيون إطاعة القانون الجديد فعدتهم الحكومة المركزية ثواراً وأرسلت التجريدة عقب التجريدة لإخضاعهم وتحرير الزنوج . وبذا وقعت المعارك فى نوكسفيل وشتانوجا وغيرها وكانت موقعة أطلانتا هى الحاسمة والختامية .

وقد أغتيل لنكولن بعد أسبوع من الانتصار فى موقعة أطلانتا وكان

قاتله شمالياً يعطف على الجنوبيين وبعد اغتياله تبين للجنوبيين أن لنكولن كان فى الحقيقة هو الصديق المخلص الصدوق لهم أكثر من كل من عداه .

وكان من آثار هذه الحروب أن أعتبر الجنوب كأنه شبه مستعمرة كسبها الشمال فى ميدان القتال فأهمل إهمالا حتى انتهت الحرب العالمية الأولى وبعدها اهتمت به الحكومة المركزية خصوصاً بعد إنشاء مشروع وادى التنيسى . وإنك لتدهش للخطوات الواسعة التى يخطوها فى سبيل التقدم الزراعى والصناعى حتى أصبح المنافس الخطير للشمال .

ولم يعد هناك رقيق فالكل أحرار ولكن لا يزال هناك بعض القيود على الزنوج فى بعض الولايات خصوصاً الجنوبية ولكن المسألة آخذة فى الزوال التدريجى مع الزمن . وقد لاحظت فى الجهات التى تستخدم زنوجاً أن بعض هؤلاء يتعمدون التعالى — بدون مناسبة — إلى حد إساءة الأدب لرؤسائهم — أو يتعمدون الشذوذ فى الحديث أو فى الكلام إلى حد البذاءة وأظن أن هذا رد فعل أو قل إنه « مركب النقص » .

* * *

احتفال زهرة الدوج وود The Dog-wood

الدوج وود شجرة صغيرة رفيعة تزهر فى أواخر مارس وأوائل شهر أبريل وفى كل عام يقام احتفال كبير لها فى أطلانتا عند ما تبلغ قمة الأزهار . وهناك قصة أو خرافة لهذا الاحتفال تقول إنه وقت أن تقرر صلب السيد المسيح عليه السلام كانت هذه الشجرة كبيرة وفى حجم أشجار البلوط وغيرها من أشجار الغابة بل كانت تمتاز بصلابة أخشابها حتى إنها اختيرت لعمل الصليب منها .

١٢١

وقد أحزن الشجرة حزناً شديداً أن يستعملوها لهذا الغرض القاسى وأحس السيد المسيح — وهو المشهود له بالرقة والعطف — وهو مصلوب عليها بذلك فقال « بالنسبة لهذا الأسى وتلك الشفقة التى ظهرت منك فانك فى مستقبل الأيام لن تكبرى ليتخذ منك صليب » ومن يومها وهى تنمو صغيرة رفيعة معوجة . أما أوراق أزهارها فتنبت على شكل صليب اثنتان طويلتان واثنتان قصيرتان وفى الدائر الخارجى لكل ورقة زهرة (Dog-wood) وفى منتصفها توجد نقطة حمراء كأنما هى موضع المسمار وصدئه ملوثاً بالدم كما أن فى وسط الزهرة نفسها تاج من الشوك ! حتى يتذكر المأساة كل من يراها .

وكما قلت لك كنت فى فبراير فلم أر الزهرة نفسها وإنما رأيت صورتها .

وادى التنيسى

أو الوادى السعيد

THE TENNESSEE VALLEY

هل فى إمكان أى زائر للولايات المتحدة أن لا يضمن برنامج رحلته زيارة هذا الوادى العظيم ؟ أؤكد لك إنه مهما كانت حرفتك أو هوايتك ومهما كان مطلبك من رحلتك سواء كنت طبيباً أو مزارعاً أو صانعاً أو مهندساً أو إخصائياً اجتماعياً أو كيماوياً أو عالماً طبيعياً أو حتى باحثاً عن متعة واستمتاع بالطبيعة فسوف تجد ما تطلب وفوق ما تطلب فى هـــذا الوادى السعيد .

وصلت نوكسفيل مركز إدارة مشروعات وادى التنيسى Tennessee Valley Authorities (T.V.A.) يوم السبت ٧ فبراير وقضيت خمسة أيام متنقلا بين أطرافه هنا وفى شتانوجا وإنى أزمع أن أخبرك بطرف صغير مما شاهدت وأعجبت به .

السبب الأساسى لفكرة مشروع وادى التنيسى كان ما لوحظ من أن فيضان النهر يغرق الأرض والزرع ويتسبب عن ذلك خسارة سنوية قدرت بنحو مائة مليون دولار فأوحى ذلك بوجوب عمل سدود أو خزانات تحجز هذه الكميات الهائلة من المياه فتحفظ على الأرض خصوبتها ولا تضر زراعتها ثم تدرج البحث إلى إمكان الاستفادة من هذه الخزانات وما تحجزه من مياه فى « إنتاج » قوى كهربائية من مساقط المياه وبذا تصبح فائدتها مزدوجة واليوم تباع هذه الكهرباء لكل المناطق الريفية ولعمرى إنها لقوى هائلة تبلغ ١٨ بليون كيلوات ساعة سنوياً وبذلك أصبح ٨٠٪ من المزارع

« تشتغل » بالكهرباء ولم تكن هذه النسبة إلا ٣ ½ ٪ سنة ١٩٣٣ (قبل تنفيذ المشروع) ويدفع المستهلكون نصف الثمن الذى يدفعه غيرهم فى المناطق الأخرى بينما يستهلكون ٧٠ ٪ أكثر من غيرهم .

وتبع ذلك نمو الزراعة وزرع الغابات فزاد دخل الفرد ٤٠٠ ٪ (بينما الدخل العام لم يزد إلا ٢٩٠ ٪) كما أن الصناعة أخذت فى الازدهار وستدهش عند ما تعلم أن أكثر من ٢٨٠٠ مشروعاً صناعياً تمت منذ بدء المشروع إلى الآن . وليس هذا فقط بل نشأت صناعات كيماوية للمخصبات وأهمها الفوسفات تنتج المصانع هذه المخصبات وقت السلم وتنتج المفرقعات وقت الحرب . ولم يقف الأمر عند ذلك بل إن البحيرات الصناعية العديدة التى تم حفرها وعمقها نحو ٩ أقدام ساعدت فى تنظيم وتسهيل الملاحة النهرية التى زادت ثمانية عشر ضعفاً فأحدثت رواجاً عظيماً فى جميع المنطقة . وتحتجز الخزانات المنشأة على النهر نحواً من ١٥ مليون فدان قدم من المياه .

خزان نوريس Norris Dam

كان هذا أول خزان زرته ويقع على بعد ٢٥ ميلا شمال غربى نوكسفيل ويحدث بحيرة تمتد ٧٢ ميلا فى نهر كلينش Clinch River ويرتفع البناء الخرسانى بمقدار ٢٦٥ قدما فوق النهر وبذا يساعد فى إيقاف فيضان نهرى التنيسى والمسيسيبى بينما يسهل الملاحة عند هبوط منسوب النهر الأصلى . وبه وحدتان لإنتاج الكهرباء قوة كل منهما ٦٦ الف حصان وما ينتج منهما يوزع على المزارع والمصانع فى المدن المجاورة .

أما بحيرة نوريس (الصناعية) فمساحتها ٣٥ الف فدان وطول شاطئها

٧٠٥ ميلا ويحيط بها حدائق ومناظر جبلية بديعة عدا الكبائن العديدة المقامة على شاطئها ولذا يقصدها السياح والأهالى طوال الأسبوع للهو واللعب وصيد الأسماك والاستحمام والنزهة بالقوارب . وهكذا ترى المشروع الأصلى للتغلب على النهر أصبح مشروعا منتجاً زراعياً وصناعياً وأيضاً للمتعة والسياحة .

وترتب على ذلك أن مدينة نوكسفيل نفسها أصبحت مركزاً هاماً فى صناعة النسيج وتصدير الدخان ورخام التنيسى المشهور وتربيـــة المواشى وحيوانات الذبح الخ . .

مدينة أوك ردج Oak Ridge Town

ومن ذا الذى لم يسمع بعد عن « أوك ريدج » : مدينة الذرة التى تصدرت أخبار وصحف العالم أجمع قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية عند إلقاء القنبلة الذرية على اليابان . وتاريخ هذه القرية عجيب جداً بقدر ما هو مختصر .

فقبل سنة ١٩٤٢ لم يسمع بها أحد اللهم إلا أقرب الأقربين : ثم اختارتها لجنة الذرة للغرض العظيم الذى قدر لها أن تقوم به وكان اختيارها بسبب موقعها الخفى فى حضن الجبال وبسبب وجود القوى الكهربائية الهائلة فى هذا المكان وبنيت على أن يسكنها اثنى عشر ألفاً ولكن لم يأت عام ١٩٤٥ حتى كان بها ٧٥ ألفاً : كلهم أقسم على السرية التامة المطلقة فلا يتصل بأى إنسان خارج المنطقة وبذلك أمكن الاحتفاظ بالسر الرهيب . ومع إنها تشغل مساحة سبعة أميال إلا أن إنشاءها تكلف مائة مليون من

الدولارات . وتجد معامل (أو مصانع) الذرة منفصلة بعضها عن البعض وعن المدينة نفسها .

ومنطقة « أوك ريدج » هى المركز الأساسى فى العالم لإنتاج يورانيوم — ٢٣٥ أهم عناصر القنبلة الذرية كما أنها مصدر إنتاج الأيسوتوب المشع Radio-active Isotopes المستعمل فى الأبحاث الذرية فى جميع أنحاء العالم .

والمعامل عديدة فبعضها لتنقية اليورانيوم ٢٣٥ وبعضها لأبحاث نواة الذرة وبعضها لمد الجامعات بحاجياتها . وبعضها لبحث تأثير الإشعاع على الحيوان والنبات وبعضها لتطبيق الأبحاث الذرية على أجهزة الطيران الجديدة الخ . .

متحف الذرة Aotmic Energy Museum

هو الأول من نوعه ولا عجب أن يكون هناك متحف فى « مهد الذرة » وأنت تبدأ الزيارة بمشاهدة فيلمين أولها يريك مختلف مصانع ومعامل الذرة وثانيهما يشرح لك نظرية فلق الذرة . وبعد ذلك يأخذك الدليل فى رحلة لأقسام المتحف فترى كل شىء بالصور وباللغة المبسطة ثم ترى أجهزة قياس الإشعاع Geiger- Miller وتطبيق الإشعاع فى كشف الأمراض وعلاجها وإدارة الآلات والاجهزة وهناك جهاز تدخل فيه قطعة فضية من ذات العشرة سنتيم فتخرج لك « مشعة » وحولها إطار من الالومنيوم عليه اسم المتحف تذكاراً لزيارتك .

ومن المشاهد العجيبة « الأيدى الميكانيكية » وهى ضرورية لأن المواد الإشعاعية يجب « التعامل » بها بغاية الاحتراس وأن يكون ذلك داخل

غرف من الزجاج الخاص . وهذه الأيدى يمكن تشغيلها من الخارج وتقوم بعملها بدقة عجيبة فيمكنها مثلا إخراج سيجارة من العلبة وإشعال الولاعة ثم إشعال السيجارة بكل سهولة وبكل سرعة .

وتخرج من زيارتك للمتحف وقد فهمت — على قدر الإمكان — نظرية الذرة وفلقها واستعمالها ثم ترى إمكانيات تطبيقها فى وقت السلم ولأغراض السلم ونرجو أن يكون ذلك قريباً وقريباً جداً .

* * *

شتانوجا **Chattanoga**

كانت هى المدينة الثالثة التى زرتها إذ فيها خزان شيكاموجا وهو يشبه خزان نوريس ولو أنه أكبر ونظريته واحدة . والمدينة نفسها صغيرة وفيها شارع رئيسى واحد ولا داعى لوصف الخزان وإن كانت المزارع حوله تستأهل ذلك .

ولكن لابد لى أن أصف لك ما حول المدينة من مناظر طبيعية خلابة .

١ — شلالات روبى Ruby Falls

٢ — وجبل « انظر » Look-out Mountain

شلالات روبى ترتفع ١٩٤٥ قدماً وتنزل تحت الأرض ١١٢٠ قدماً وبها صخور مدلاة جميلة المنظر Stallactites أما الجبل فنحدر انحداراً تدريجياً وعندما تصل إلى قمته يقابلك منظر أخاذ جميل لجميع المنطقة المحيطة به ويمكنك طلوعه بالسيارة أو بقطار Funicular railways خاص له أسنان فى العجلات . وكان الهنود الحمر يستعملون الجبل للمراقبة ثم استعمله بعدهم

قواد الحرب الأهلية فى القرن الماضى . ويمكنك فى الأجواء الصافية أن ترى البلدان المحيطة على بعد أميال وأميال .

* * *

المدينة الصخرية The Rock City

فإذا ما تمتعت بهذا المنظر الخلاب فسر قليلا تلق « المدينة » الصخرية التى كانت وما زالت تخلب ألباب الزوار منذ جيلين من الزمان والمدينة تشغل مساحة عشرة أفدنة من الصخور الجيرية الطبيعية المغطاة بالأزهار اليانعة الجميلة الألوان . وكان يسكنها الهنود الشيروكى Cherookee ومعناها : هنود المغارات وقد بقوا متحصنين فيها مدة قرون عديدة وسموا الجبل شتانوجا ومعناه « الجبل المدبب » . ولما أجلى البيض الهنود واحتلوا الجبل هذبوا المكان وأصلحوه فأصبح اليوم مقصد المتنزهين ومتعة المتفرجين بما يحويه من مناظر وأعشاب وأشجار ثم عملت يد الإنسان فى تحسين الطبيعة وتهذيب الطرق حتى أنك اليوم تقضى الساعات تلو الساعات فى زيارة المكان ولا تشعر بميل للرحيل منه وسأصف لك بعضاً منها ولكن لن يغنيك الوصف ولن يشبعك الصور التى سأنقلها لك ولابد أن تراه بنفسك :

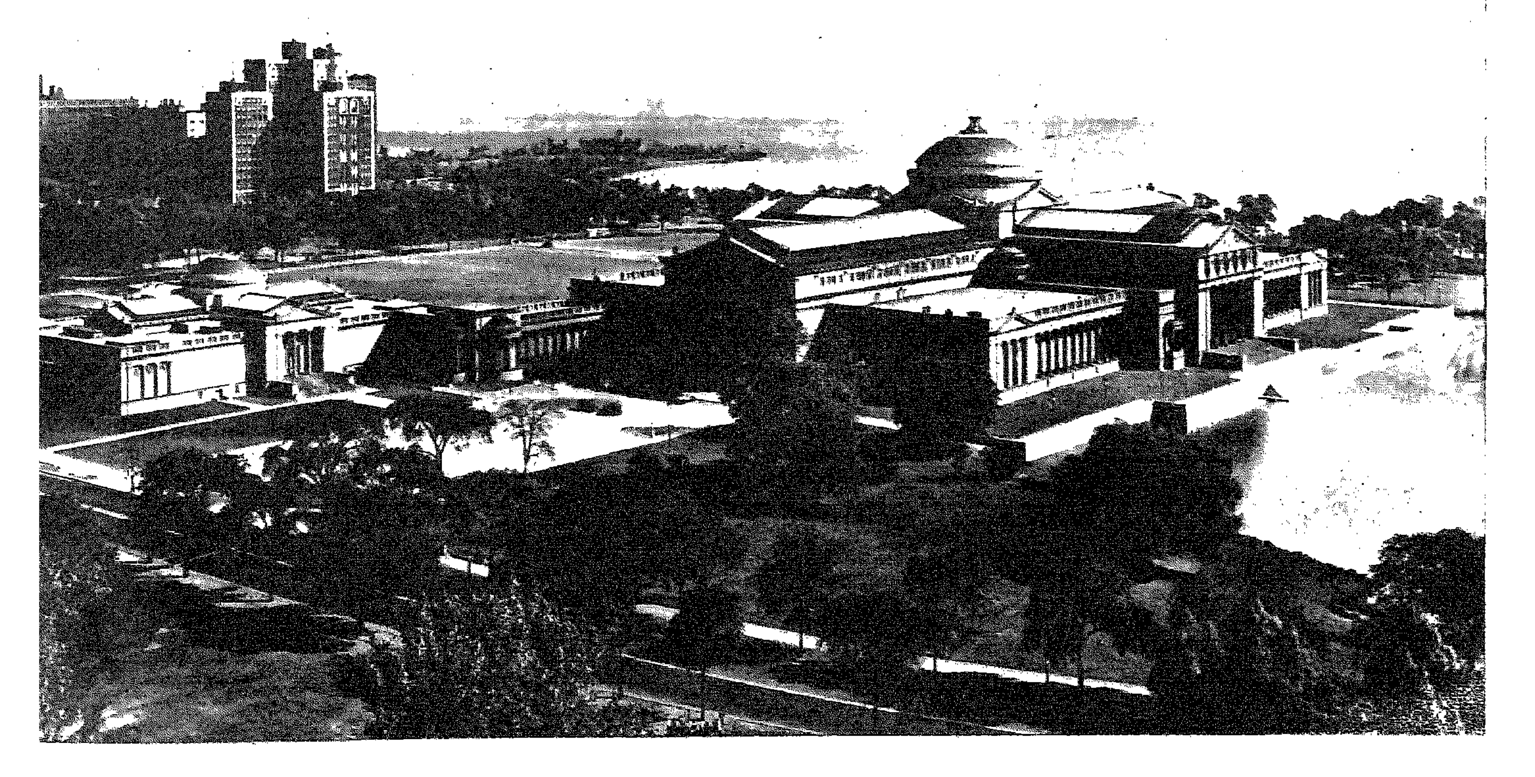
الطريق المسحور The Enchanted Trail طوله ٣٨٠٠ قدم بعرض أربعة أقدام يمتد داخل أنفاق وفوق كبارى وتقابل فيما تقابل : المدخل الكبير Grand Corridor وعين الإبرة Needle's eye وحديقة الغزلان Deer Park (بغزلانها البيضاء) وصخور عش الغراب Mushroom Rock ومغارة الأقزم Gnome's pass (وترى تماثيلهم يعصرون الخمر) ومغارة الأسود Lions Den والكوبرى الهزاز Swing-along-bridge إلى « منظ »

المحبين Lovers' leap (وهنـا يمكنك رؤية السبع ولايات المحيطة بالجبل إحاطة السوار بالمعصم — ثم تصل إلى مغارة السلحفاة Tortoise Shell Rock وطريق الرجل النحيف Fat Man's Squeeze فإذا أمكنك المرور منه فأنت لست سميناً وإن لم يمكنك فأرجع من حيث أتيت . وبعدها تصل إلى صخرة ضخمة تزن ألف طن وتقف ثابتة على طرفها وفى النهاية تقابلك صخرة ضخمة على هيئة وجه ساحرة تدخن غليوناً Wicked Stone Witch . ثم هناك المتعة لأطفالك مساكن الملائكة بها تماثيل حيوانات عديدة وكذا الملكة الصغيرة والأقزام السبعة ثم سندرلا وعربتها . . . الخ .

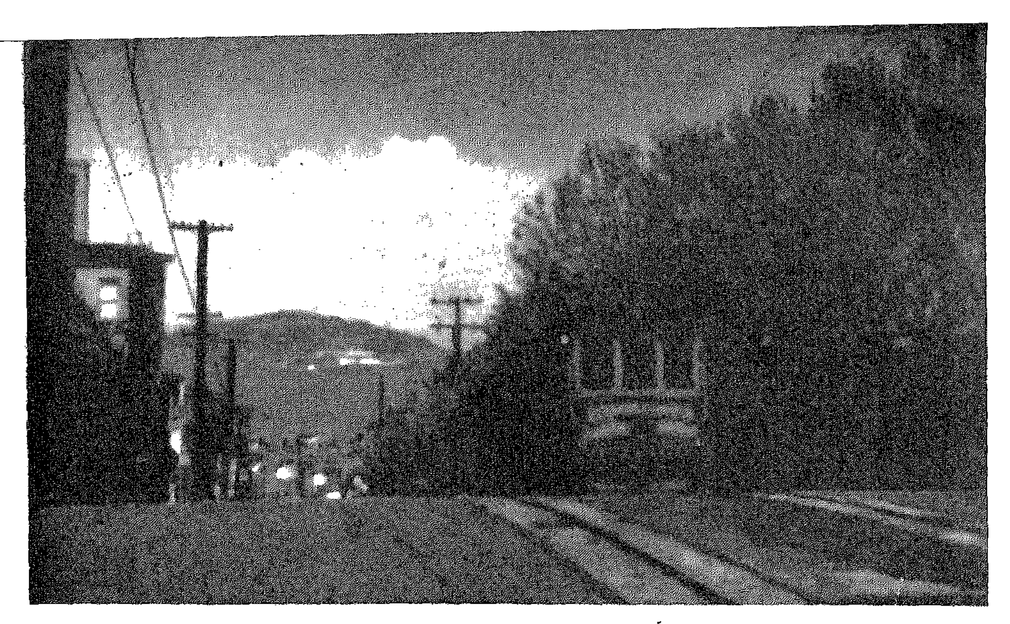
ذكرت لك « منط المحبين » وسأخبرك عن حكاية أصل تسميته ، وأنت فى رحلاتك لابد أنك قابلت هذه « المنطات » حيث ينتحر المحبون عند ما يفشلون فى حبهم . ولـكن حديث هذا المكان شائق بنوع خاص .

وتقول الرواية إن سوتى Sautee شاهد نيكوشى (Nicchochee) ومعناها نجمة الليل Evening Star ابنة زعيم قبيلة الشيروكى Cherokee فأحبها وهام بها من النظرة الأولى ولـكن كان بين قبيلته وقبيلة الحبيبة عداوة قديمة وكراهية متأصلة فدفعه حبه وطبيعته المتأججة أن يحاول لقاءها والفوز بها بل إن هذه الموانع كانت هى الدوافع التى زادت لهيب حبه اشتعالا . ولا ندرى كيف كان يلقاها ولا أين كان يبثها غرامه وينشد لها قصائد هيامه ولـكن المؤكد أن المخاطر التى كان يتعرض لهـا هى التى أمالت قلب الحبيبة إليه .

لم يكن هناك أدنى أمل فى استمالة والدها والحصول على رضاه فلم يبق إذن أمام المحبين إلا أن يهربا معاً ولأجل أن تعلم مقدار تضحيتها التى لاتفوقها



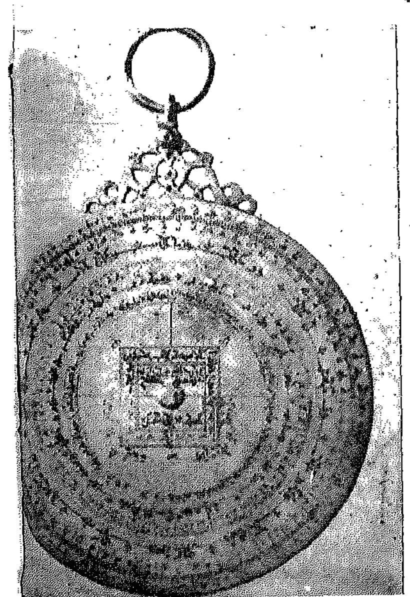
متحف الفنون
والصناعات
بشيكاغو



ترام سان فرانسيسكو العجيب



جزيرة الكاتراز ويرى عليها الليمان





اسطرلابان مغربيان من القرن السادس موجودان بمرصد ادلر بشيكاغو



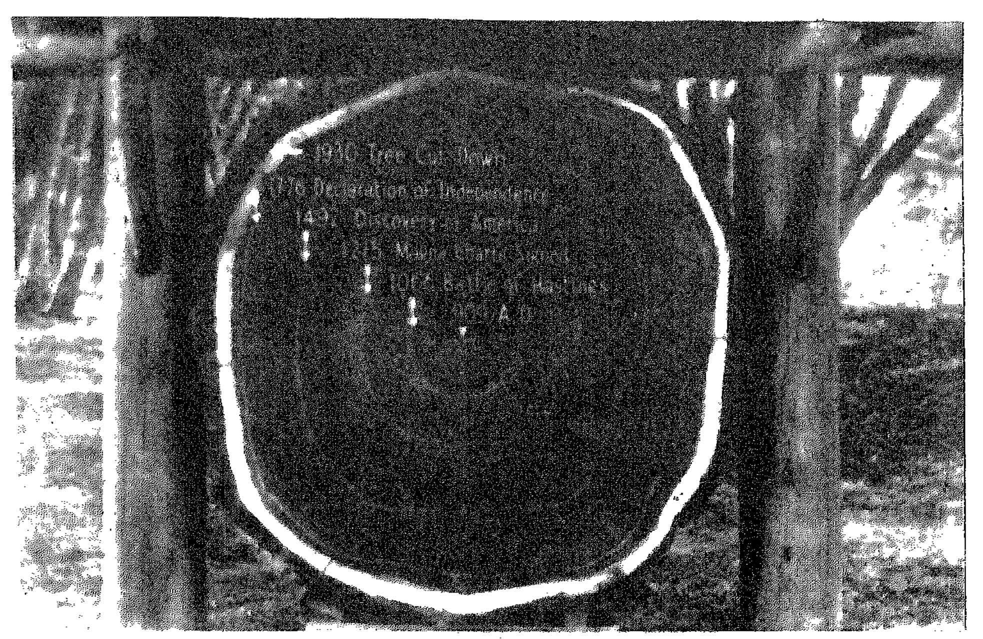
مطعم البحار كنت بمحتوياته العجيبة



مدخل المدينة الصينية بسان فرانسيسكو



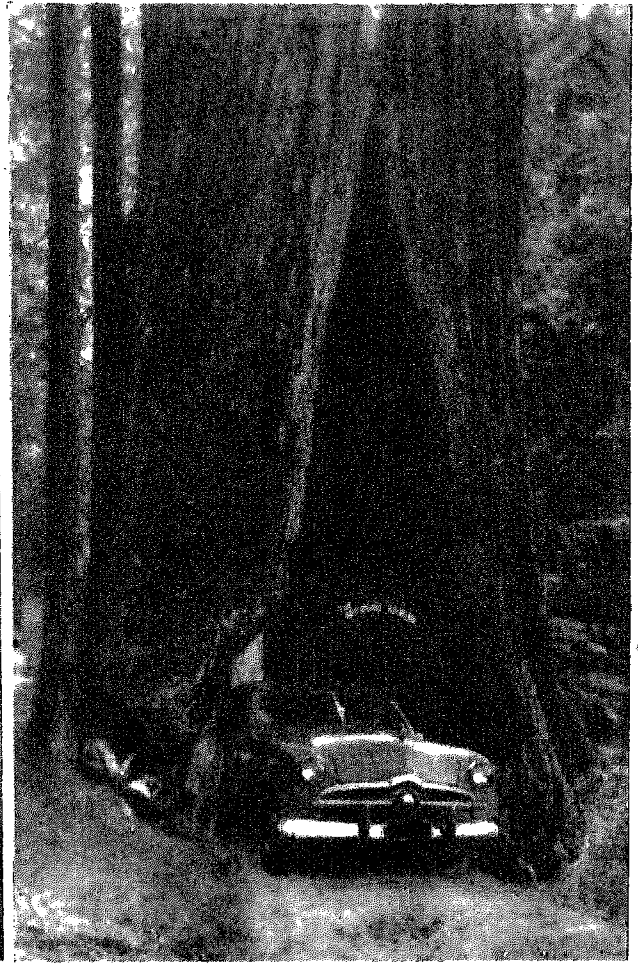
المؤلف وهو ينزل من طائرة الهليوكوبتر



قطاع فى شـــجرة السيكولايين ان عمرها الف عام



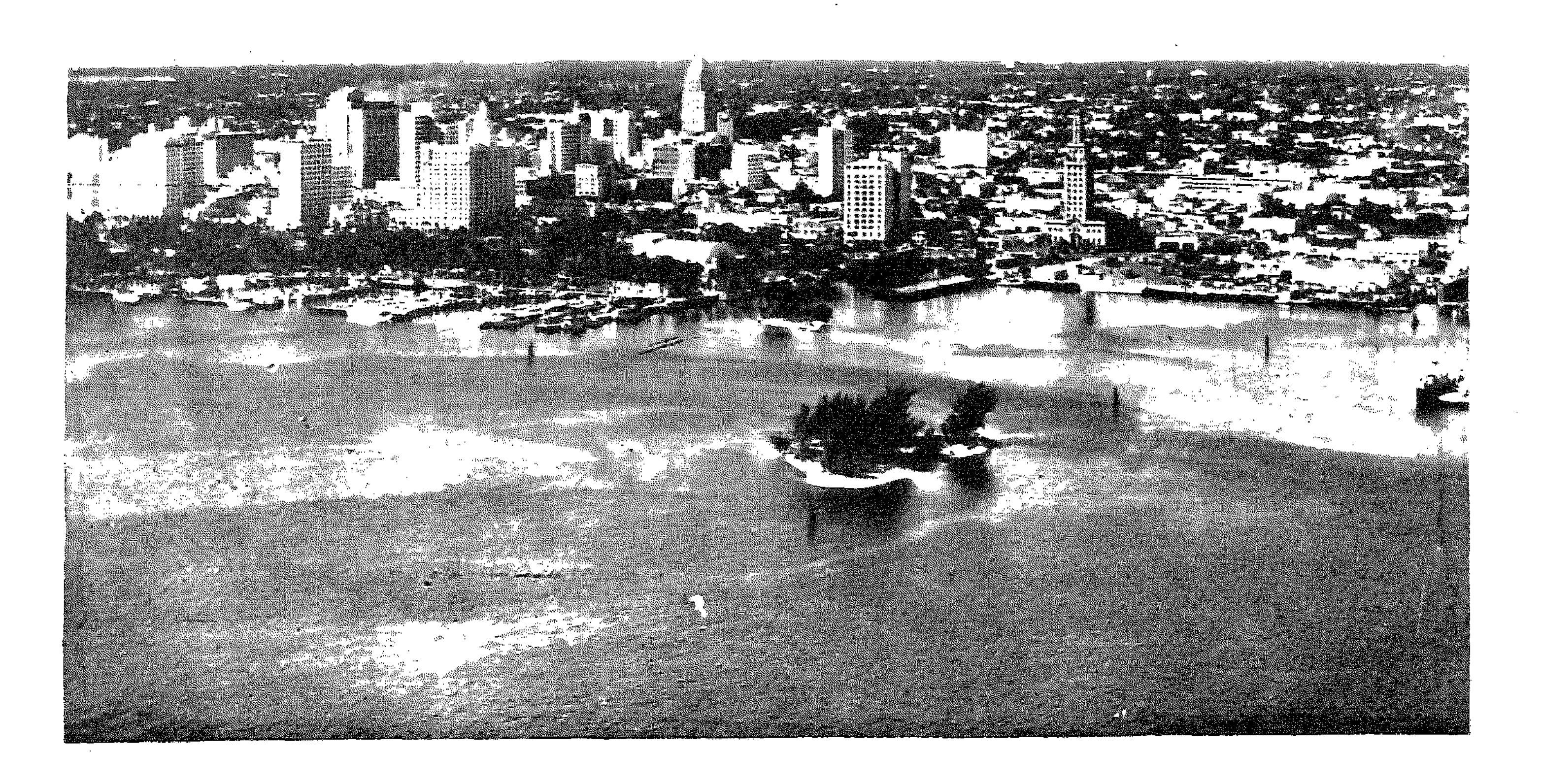
منظر فى الحديقة اليابانية بسان فرانسيسكو



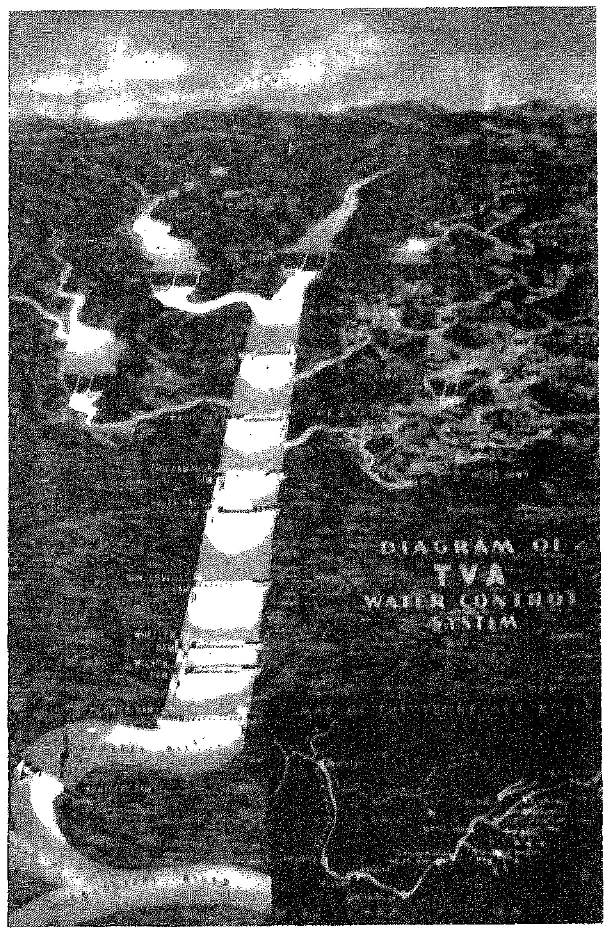
اشجار « الخشب الاحمر » وبداخل تجويفها سيارة

المؤلف مع قائد اسطول الغواصات بميناء سان دييجو

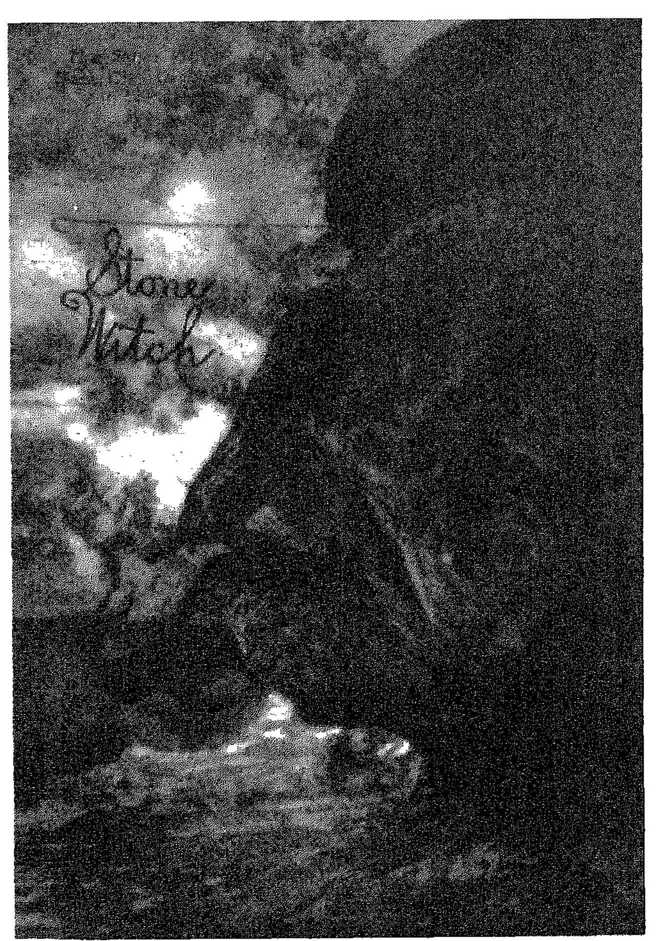
المؤلف مع قائد الغواصة



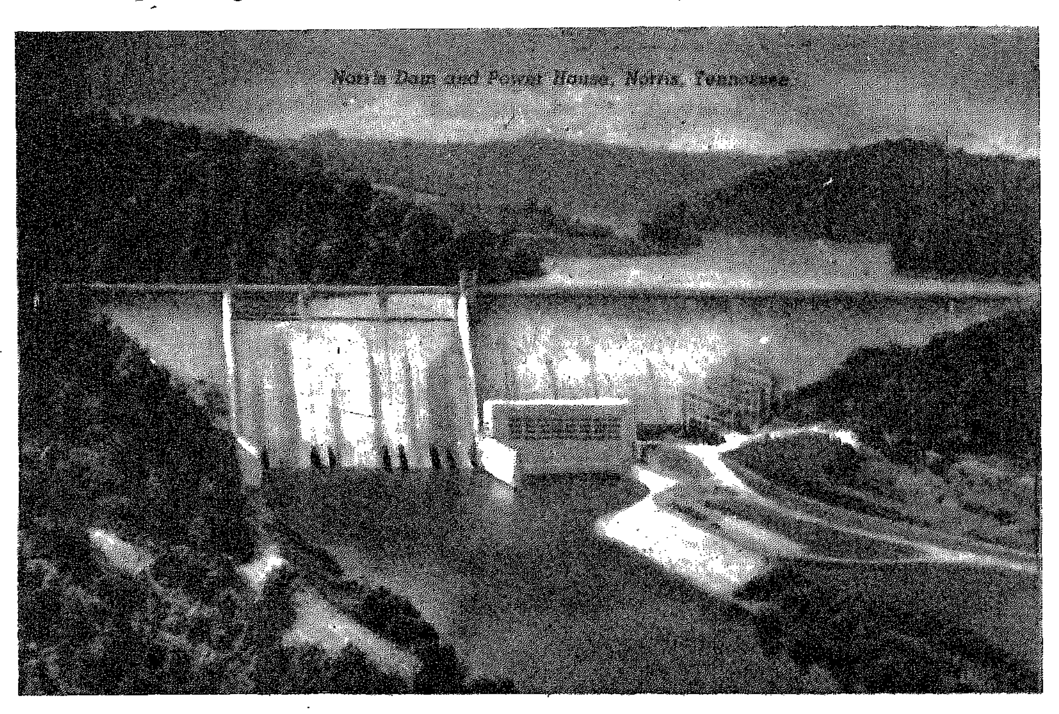
منظر عام
لمدينة ميامي



خريطـــة عامة لمشـــاريع وادى التنيسى



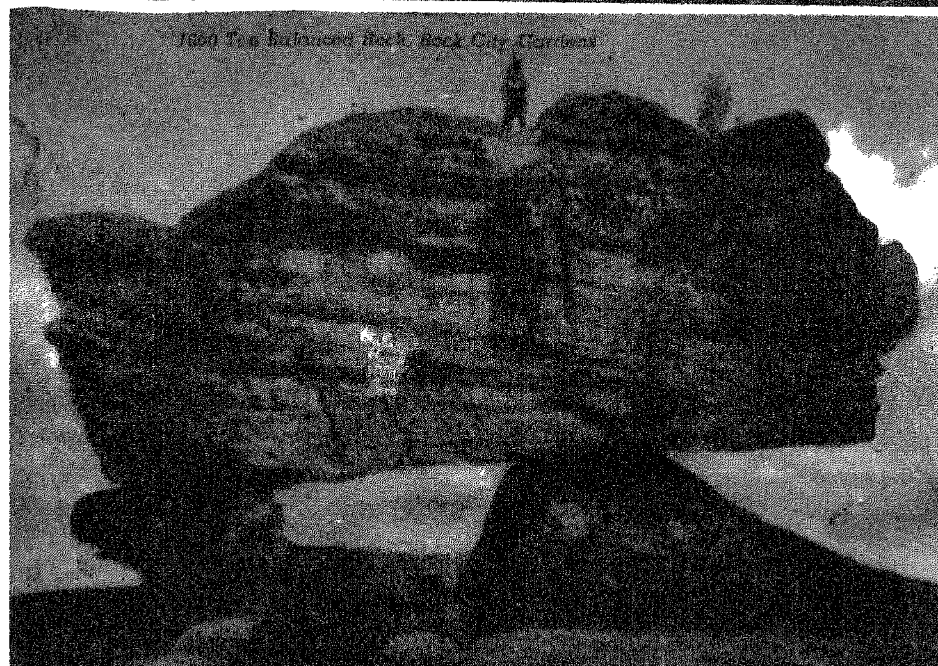
الساحرة والغليون



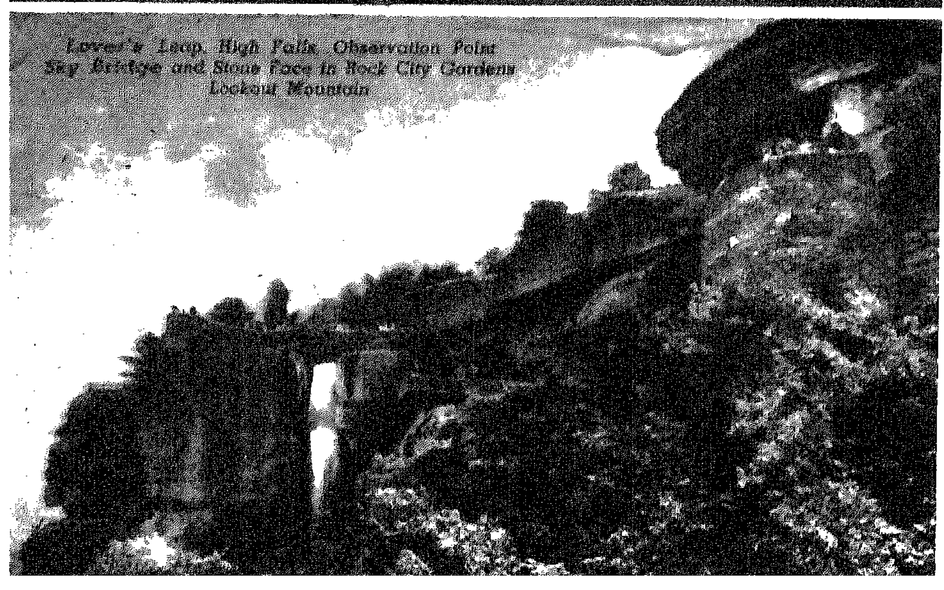
خزان نوريس عـلى نهر التينيسى



الكوبرى الهزاز



الصخرة المعلقة
ووزنها الف طن



منط « العشاق »
بالمدينة الصخرية

تضحية أخبرك أن قبيلة الزوج رفضت قبولهما قطعاً فلم تجد المسكينة حتى حماية قبيلة حبيبها . ففر الحبيبان إلى مغاور هذا الجبل العظيم واختبآ فيه متخذين من أزهاره البرية سرير عرسهما ومن صيد البط والطيور أثناء الليل طعاماً لهما .

وأقسم الوالد الحانق لينتقمن من المغير وانضم إليه الشباب الحانق على ذلك الذى خطف محبوبتهم وفاز عليهم بحبها ورضاها وانطلق الجميع يبحثون عنهما . وكان لابد أن يجدوا « سوتى » فى النهاية وأن تتغلب الكثرة على الشجاعة . فقبضوا عليه وسجنوه ثم حاكموه وحكموا عليه بالموت وأن يكون موته بإلقائه وتطويحه من أعلى الجبل . وحكم عليها هى أن تحضر مشهد مصرعه من مبدئه إلى ختامه . وبأنفاس لاهثة وعيون غممتها الدموع شاهدت المسكينة تحضيره وإعداده للموت ولكنها كامرأة كانت فخورة بشجاعة رجلها وعدم مبالاته بالخطر الماثل إذ هو كان كأنما سوف يخوض معركة من المعارك فقد ارتفع صوته ثابتاً ينشد أنشودة القتال وبينما كانت الصخور تردد صدى أغنيته الحزينة قبضت عليه يدان قويتان ورفعته إلى أعلى ثم طوحت به إلى الهاوية .

أما الحبيبة «ناكوشى» فقد انتهزت فرصة انهماك الجميع بمشاهدة المأساة وقفزت بدورها من فوق الجبل منادية « سوتى ! سوتى » .

وهناك فى الوادى السحيق كان الموت قد أسكت كل ما كان ينبض فى الحبيبين من حياة وحيوية وحب .

ونزل الوالد الحزين وقلبه مثقل بالأسى وتأنيب الضمير ليدفن الحبيبين فى الوادى الجميل .

معالجة الجريمة والاجرام فى أمريكا

منازل الحجز

Detention Homes.

أصبحت مسألة « انحراف » الأبناء مشكلة عالمية يضج منها كل الناس ويتلمسون لها حلا فى كل مكان . وقد أشار علىّ الجميع أن أزور المحترم القاضى فيكتور ويلجالا (The Honorable Judge V. Wylgala) إذ أن خبرته العظيمة مدى تسعة وعشرين عاماً لا تضارع . وكنت متردداً فى صواب زيارة مدينة بافالو شتاء للتفرج على شلالات نياجارا إذ أن المناظر والمباهج سوف تكون محدودة جداً فى هذا الوقت من السنة ولكنى قررت الذهاب لأقابل القاضى الفاضل وقد استمتعت واستفدت من مقابلته فائدة كبرى .

وأنت إذ تحضر جلسته لا تشعر أنك فى دار قضاء بل أنه فى ذلك اليوم بالذات عقد جلسته فى مكتبه ولم تكن هناك رسميات بل شعرنا أننا فى جلسة عائلية يترأسها أكبر الأفراد سناً (أو مقاماً) ويبحث المشكلة على هذا الأساس وبنفس هذه الروح .

وقد طار صيت هذا القاضى فى طول الولايات المتحدة وعرضها وسمعت اسمه يتردد فى كل مكان مصحوباً بالتقدير والثناء بل إن رجل التاكسى عندما قلت له ذلك الصباح خذنى إلى شارع ايجل Eagle Str. قال لاشك أنك ذاهب لقاضينا — ألا بلغه سلامى .

وكان هناك ست قضايا أو مشاكل فى ذلك اليوم : —

كان الأول ولد تكرر هروبه من المدرسة وأظهر البحث أنه علم أن

والدته أتت به سفاحاً فكان يهرب ليعاقبها ويجعلها تدفع الغرامة .

والثانى كان يهرب لسوء معاملة والدته له . وأبان البحث أن والده توفى من زمن وأن الوالدة الشابة تسىء للابن لاعتقادها أنه العقبة فى طريق زواجها مرة ثانية .

والثالثة كانت بنتاً هربت من المنزل لأن والديها دائما الخصام وأهملا شأنها فخرجت تبحث عن العطف والحب . وفى العادة تكون هذه هى الخطوة الأولى فى سبيل سقوطها أخلاقياً .

والرابع سرق أشياء صغيرة ليشترى بها بعض المتع حيث لم يكن يحصل على نقود من أبويه .

والخامس لا يذهب للمدرسة لأنه ألف فرقة موسيقية ليلية ليتكسب بعض النقود فكان يسهر ليلا وينام نهاراً .

وسادسها كانت ابنة هربت من المدرسة لشعورها أن زميلاتها يلبسن خيراً منها فيتولاها الخجل وهذه حولت إلى مدرسة أفقر وهكذا . . . الخ .

وينص قانون « ولاية نيويورك » فيما يختص بانحراف الأولاد على تحريم وضع أى صبى فى سجن أو حبس أو أى مكان آخر يكون فيه شخص بالغ محكوم عليه أو تحت المحاكمة لأى جريمة وأنه لابد من إعداد أمكنة خاصة لحجز هؤلاء الصبيان حتى يأتى وقت محاكمتهم وإن لم توجد فيوضعون تحت رعاية أشخاص أو هيئات يصلحون لهذا الغرض حتى يحل وقت محاكمتهم أو دعوتهم للشهادة .

ولذلك أعدت مقاطعة إيرى Eerie County وسكانها يبلغون ثمانمائة

ألف نسمة منازل حجز خاصة. وبمجرد القبض على أى صبى يقرر الموظفون المختصون هل هو ممن تنطبق عليهم نصوص القانون وفى أى مكان يحجز ؟ وهناك تسعة منازل لهذا الغرض يديرها أشخاص متخصصون فى هذا النوع من العمل وأعدت المنازل إعداداً خاصاً . ويتبين لك أهمية هذا الإعداد لو تذكرت أن الأولاد المقبوض عليهم يكونون عادة فى حالة سيئة من حيث التغذية والنظافة والخوف وعدم الثقة بأحد واضطراب الأعصاب فهم فى حاجة لمن يفهمهم ويعطيهم الحنان والثقة التى تنقصهم ثم يشجعهم على تنظيف أنفسهم وتناول الغذاء والاسترخاء .

وقد زرت بعض هذه المنازل أو المعازل ووجدت أنهم احتاطوا حتى لا يهرب أحد فمع أنه لا توجد قضبان حديدية على النوافذ إلا أن هذه تغلق ولا يفتح إلا جزء صغير فى أعلاها أو أسفلها للتهوية كما أن الأبواب الخارجية تغلق والمفاتيح دائماً مع صاحبة الدار . وكذا ملابسهم الأصليـة تحجز عنهم .

وبعد أن يتعود الصبى على الإقامة ويترك فكرة الهرب ينقل إلى دار أخرى يعطى فيها حرية أكبر فى تنقلاته بل ربما أرسل للمدرسة مع دوام ملاحظة تفاعلاته وحركاته كما يصرح لوالديه بزيارته .

ولا يزيد عدد أطفال أى منزل عن عشرة وعليهم ترتيب أسرتهم وتنظيف غرفهم وإعداد المائدة وغسيل الصحون كما أن عليهم شغل كل وقتهم إما فى الدراسة أو فى بعض الهوايات .

وتدفع الولاية لأصحاب هــذه الدور أجراً شهرياً يتراوح بين

٤٧٥ و ٢٢٥ دولاراً علاوة على مبلغ ٢½ دولار عن الصبي يومياً نظير مأكله ورعايته .

الخلاصة : بعد تجربة اثنى عشر عاماً يظن القائمون أن هذه الطريقة منتجة جداً ووافية بالغرض المقصود ففضلا عن توفير ما كان قد يصرف على بناء معاهد كبيرة وصرف مرتبات لموظفين دائمين فإن هذه الدور لها جو « وطعم » المنزل العائلي وتتيح فرصة أكبر لدراسة الطفل ومشاكله وطريقة علاج كل على حدة .

« مدينة الأولاد » بمدينة أوماها

BOYS' TOWN—Omaha (Nebraska)

كان كل صديق أمريكى أقابله فى مصر ويعلم مقدار اهتمامى بدراسة سقوط الغلمان الخلق ووقوعهم فى الإجرام يشير علىّ بوجوب زيارة « مدينة الأولاد » فى مدينة أوماها بولاية نبراسكا إذ هى تجربة ناجحة ليس لها نظير فى أى جهة أخرى من العالم . وقد اشتد ميلى هذا بعد مقابلة القاضى ويلجالا فى مدينة بفالو ومشاهدة محكمته التى أخبرتك عنها .

ومع أنى وصلت « أوماها » أثناء عطلة عيد الميلاد إلا أنى اطلعت على كل نظام « المدينة » ونشاطها بفضل مديرها الأب المحترم نيقولاس ويجنر Father Nicholas Wegner وحضرات معاونيه وقد وجدت أن كل الأولاد تقريباً يقضون العطلة داخل مدينتهم مفضلين ذلك على الذهاب لعائلاتهم وكانت هذه وحدها أول شهادة حسنة للمدينة علمت بها .

وقصة « مدينة الأولاد » قصة خلابة مثيرة — قصة رجل آمن بمبدأ وعمل على تحقيقه وكان يثق ثقة لا تتزعزع بالإنسان — ذلك الرجل هو المرحوم الأب فلاناجان The Late Father Flanagan .

وأول ما واتته الفكرة كان عند ما عاد إلى مدينة أوماها الآلاف المؤلفة من العمال الذين عجزوا عن الكسب فى المصانع أو المزارع عند ما حلت السنين العجاف فأصبحوا كسالى عاطلين لا يجدون الطعام ولا المأوى ولم يكن هناك ما يمكن عمله لمساعدتهم فأكثرهم لا يحذق أى عمل لأنه لم يتعلم شيئاً جديراً بالذكر فى أيام شبابه .

ولما تعمق الأب فلاناجان فى دراسة أحوالهم وجد أنهم فى شبابهم وصباهم كانوا بدون غائلة ولم يهتم بهم أحد أو يساعدهم وقتما كانوا فى أشد الحاجة إلى العطف والحب والمساعدة وأغلب الظن لو كانوا لقوا شيئاً من ذلك لتغيرت صورة حياتهم الحاضرة القاتمة إلى أخرى مشرقة منيرة .

وبهذه الفكرة أو هذه العقيدة ابتدأ الرجل تجربته فى ديسمبر عام ١٩١٧ وليس معه إلا تسعون دولاراً استأجر بها شقة صغيرة فى منزل قديم بمدينة « أوماها » حيث آوى خمسة أولاد ضالين .

ومع الصبر والحلم والرغبة فى مساعدة هؤلاء البؤساء ليتعلموا ومن ثم يكسبوا معاشهم أخذ الرجل يسبغ عليهم الحنان والعطف والشفقة حتى يصبحوا مواطنين صالحين وينسون بأساءهم .

ولقد كرم العالم هذا الرجل الإنسانى العظيم — بعد أن رأوا نجاح تجربته العظيمة — ولكن المؤكد أن فرحه جاءه من ابتسامات هؤلاء الأولاد المنبوذين أكثر مما جاءه من أى تكريم آخر .

وتقع « مدينة الأولاد » بالقرب من « أوماها » وعلى بعد ١١ ميلا منها وهى تتمتع بكل مزايا القرى فمنذ عام ١٩٣٦ حينما اعترف بها رسمياً أصبح فيها كل الفروع الحكومية والإدارة والبريد كأى قرية أخرى فى ولاية نبراسكا إلا أنها تختلف عنها جميعاً فى أمر هام جداً فهى لا تقتضى أى ضرائب من سكانها (الأولاد) إذ هم فقراء كما أنها لا تتلقى أية معونة مالية من الحكومة المركزية أو حكومة المقاطعة ولا من الكنيسة وإنما تقوم بمصروفاتها من التبرعات التى تأتيها من المؤسسات أو الأفراد الذين يدينون بالمبدأ الذى قامت عليه أى من أفراد كان حظهم فى الحياة باسماً ولذا يريدون

أن يهيئوا مثيلا منه لهؤلاء الأولاد وفى الحق لقد أدهشتنى الرسائل المكدسة التى شاهدتها على مكتب الأب «ويجنر» تحمل له العشرات والمئات من الدولارات الواردة له كتبرعات بمناسبة عيد الميلاد والسنة الجديدة .

وهذه التبرعات السخية هى التى جعلت من الممكن أن يستبدل المنزل الصغير بهذه المؤسسة الكبيرة التى تشغل حوالى ألف فدان وأن تقفز الميزانية من التسعين دولاراً المتواضعة إلى مليون دولار هو المصروف السنوى فى الوقت الحالى .

حكومة ذاتية

هذه المدينة تكاد تكون المثل الأعلى للقرية — فهى بعيدة عن الصخب وهى ليست مزدحمة فوق أن موقعها على جبل صغير فى وسط مناظر جميلة وحولها أرض خصبة يزرعها الأولاد فيتعلمون الطرق الحديثة ويحصلون على الغذاء النباتى والحيوانى الكافى لهم (وزيادة) فهل هناك ظروف مواتية أكثر من ذلك لتنمية كل ما هو خير فى هؤلاء الشبان من صحة وجمال ؟

ثم هم يتعلمون الحكم الديمقراطى الصالح لا من الكتب (كغيرهم من الصبيان) بل عن خبرة وممارسة فعلية إذ هم يختارون نوابهم وقادتهم اختياراً مبنياً على الخلق القويم والشخصية القوية . وترى فى أيام الانتخابات السنوية كل واحد يقوم بالدعاية لنفسه وتوزيع المنشورات والخطب وبالجملة القيام بكل ما يمت لعملية الانتخاب — كما تراه فى أى مجتمع آخر — ثم تجمع الأوراق ويفرزها قضاة منهم أنفسهم . ومتى أعلنت النتيجة آمن بها الجميع ورضخوا لها بروح رياضية عظيمة ناسين كل جروح المعركة . وهذه الانتخابات تشمل اختيار العمدة وأعضاء المجلس الذى يدير المؤسسة .

نظام العمل

يجد الولد الشريد الطريد عند ما يصل « المدينة » أنه انتقل إلى جو صحى نظيف فعمدة المدينة يلقاه مرحباً ويدله على مكانه فى غرف النوم ثم يقدم له الغذاء الكافى اللذيذ يتناوله مع بقية زملائه ويتعلم أول ما يتعلم النظام والترتيب والنظافة ثم يلقن قواعد الدراسة والحفظ وتنمية ملكاته وأهمها مصادقة زملائه .

ولا يجبر أى أنسان على دخول المدينة ولا على البقاء فيها بل لو وجد أن الولد لا يستجيب لما يتطلب منه من خلق كريم ومثابرة على الدراسة وإطاعة للنظام فيطلب من أهله أو الأوصياء عليه أن يبادروا باستلامه ونقله إلى جهة أخرى تكون أكثر ملاءمة له .

الحرف والصناعات

إن أغلب سكان هذه المدينة العجيبة كانوا مشردين أو هم من بيئات لا يطاق العيش فيها ولذا أصبح من الضرورى أن يتعلموا صناعة ما تكفل لهم التعيش مستقلين بعد خروجهم من هذا المعهد . هذا بجانب الثقافة العادية . فالمؤسسة بهذا تذهب إلى مدى أبعد من المعاهد الأخرى فى إعداد خريجيها لملاقاة مطالب الحياة . وهم فى نفس وقت تدريبهم يقدمون خدمات شتى لمؤسستهم ولزملائهم . فهناك مثلا المطبعة تقوم بكل أدوار الطباعة من مبدئها إلى منتهاها وهناك الحلاقون والطباخون والزراع كلهم من الأولاد .

أما الصناعة فتشمل الزراعة على أحدث الطرق ويتبعها تربية الحيوان والدواجن وصناعة الألبان ثم صناعة حفظ الأغذية والصناعات الزراعية

كلها وتباع منتجاتها المطلوبة فى كل مكان . وكذلك النجارة والخبازة وهى صناعة رائجة جداً والكهرباء بما فيها الراديو والحلاقة وإصلاح الآلات ثم قسم السيراميك (القيشانى) تحت إرشاد أستاذ اسكتلندى قابلته وحدثنى أنه يود من صميم قلبه أن يعلم سر تركيب اللون اللازوردى الجميل الذى كان يصنعه قدماء المصريين وكذلك فى العصور الإسلامية وقد أرانى الأطباق والتماثيل التى يخرجونها وهى متقنة الصناعة جداً وتكرم فأهدانى طبقاً به رسومات المبانى المختلفة للمؤسسة وفى وسطها رسم التمثال المقام وسط الأبنية ويمثل ولداً كبيراً يحمل آخر أصغر منه ومكتوب على قاعدته « إن حمله لا يتعبنى يا أبى — إنه أخى » He a'int heavy Father. He is my brother هذه هى روح المؤسسة التعاونية .

التعليم

ولكن لا تظن أن التعليم قاصر على الحرف والصناعات . كلا إنه يشمل الثقافة العامة والخاصة فهناك دراسة ابتدائية ينتقل بعدها الولد إلى المرحلة التالية كل ذلك على أيدى أساتذة اختيروا اختياراً خاصاً بالنسبة لخلقهم وروحهم إذ هم مدعوون لتعليم وتهذيب أولاد قسى عليهم الزمان فأصبحوا فى حاجة إلى عناية خاصة . وسيدهشك أن تعلم أن خريجى هذه المدارس يقارنون وأحياناً يفوقون أمثالهم من خريجى المعاهد الأخرى من حيث الفطنة والعلم والتهذيب والأخلاق مما حدا بجامعة نبراسكا أن تعترف بشهادتهم العليا كمستند كاف لدخول الجامعة وإتمام الدراسة .

الرياضة والصحة

إن المثل القائل العقل السليم فى الجسم السليم صحيح لاشك فيه والحاجة

إلى الألعاب الرياضية هى ألزم لهؤلاء الأولاد الذين نشأوا فى بيئات فقيرة فأنت تراهم وقت وصولهم فى هزال وضعف وسوء تغذية فضلا عن أن حرمانهم من الألعاب فى طفولتهم جعلهم ميالين للعزلة والانحراف ولذا تدرس كل حالة على حدة وقت الدخول لتقدير أى الألعاب تصلح للولد بدون إجهاده وكلما تحسنت صحته اندمج فى ألعاب أخرى أشد عنفاً . وإنك لتدهش للصحة البادية على وجوه من يكون قد قضى زمناً هناك فترى لهم عضلات قوية وقواما سمهريا كما أن نظراتهم تنطق بالذكاء والنشاط والتوثب فلا عجب إن فازوا فى المباريات المختلفة لكرة القدم والسباحة والتنس وغيرها مع فرق المعاهد الأخرى .

تشجيع الملكات الخاصة

إن من سياسة هذه المؤسسة تشجيع الهوايات إذ هى جزء من النمو الطبيعى لكل فرد وتساعده على صرف جزء من نشاط شبابه الفوار فوق أنها أحياناً تساعده فى كسب جزء من معاشه . فبعض الأولاد يميل للتمثيل وهذا يكسبه براعة فى الإلقاء والتعبير والبعض يجمع الطوابع فيتعلم التنسيق والترتيب وآخر يميل للآلات الميكانيكية الدقيقة . واعتقادى أن هذا إجراء فى منتهى الصواب إذ أنه يشغل عقل الشاب بإيجاد حلول لمسائل جديدة ولو أنك شاهدت حفلاتهم التمثيلية واستمعت لموسيقاهم أو لو شاهدت معرض الصور وطوابع البريد لعجبت للمواهب التى كانت مدفونة فى أجسام وعقول هؤلاء الأولاد .

العناية الطبية

أما العناية الطبية فحدث عنها ولا حرج ، فهناك عيادة طبية للأمراض

والجراحة والأسنان مستكملة الاستعداد إذ أن الأولاد فى حاجة ماسة إلى العناية الطبية أكثر من الكبار ولا تنس أن كثيراً من الانحرافات العصبية والعقلية تنشأ أول ما تنشأ من وجود مرض دفين .

فلسفة مدينة الأولاد

تتلخص الفلسفة فى جملة واحدة «لا يوجد أولاد شريرون» (There are no bad boys) هـذه هى عقيدة الأب فلاناجان التى أوحت إليه بالقيام بمشروعه الجرىء وقد أثبتت التجربة خلال أعوامها التسعة وعشرين صحة هذه العقيدة ومن اليوم الأول استجاب الأولاد للنظام وللقانون فالخلق ما هو إلا انعكاس للعوامل التى تحيط بالشاب وانعكاس لتربيته فإذا أنت أعطيته بيتاً صالحاً وعناية كافية وإذا أنت شغلت عقله النشط فتأكد أن ما يسمى الولد المشكلة Problem child يصبح شاباً طبيعياً صحيحاً فالناس يولدون أحراراً متساوين لهم نفس الشهية ونفس الميول وما يلاقونه فى شبابهم هو الذى يقرر حالتهم فى رجولتهم . ومنذ ٢٩ عاماً أنشئت مدينة الأولاد ليجد فيها هؤلاء المشردين البيت والرعاية والعناية التى فقدوها .

وإن صلاحهم واستقامتهم ونجاحهم فى الحياة هو لوحة الشرف « للمدينة » .

* * *

وانى أختم هذا الوصف باقتباس ما قلته فى إذاعة « صوت أمريكا » تعليقاً على هذا الموضوع « إنى لأرجو أن يقوم منا رجل فاضل أو هيئة من الأفاضل لينشؤوا فى مصرنا العزيزة مؤسسة على هذا المنوال » .

سجن بلا أقفال ولا جدران

لا تفقد الأمل فى إنسان

WALLESS PRISON.

No Man should be given up as Lost.

حدثتك فى فصل سابق عن تجربة الأب فلاناجان بأنه لا يوجد ولد شرير بطبعه وسأحدثك الآن عن تجربة أخرى لا تقل روعة عن تلك وتدل على أنه لا يجب أن تفقد الأمل فى إصلاح شخص مهما كانت فظاعة جرمه . وإن « المذنبين هم أناس يجب أن نحاول تقويمهم » . وبطل هذه النظرية هو المستر كينيون سكودر Kenyon Scudder مدير معهد كاليفورنيا للرجال بمدينة شينو (Chino) بالقرب من لوس انجليس Los Angeles .

وكان كلما تكلم عن نظريته ودافع عن آرائه هزأ به الجميع وسخروا منه بل كانوا يتهمونه بالجنون حتى قامت ثورة فى سجن سان كوينتين San Quentin (بسان فرنسيسكو) ودل التحقيق على وجود عهد من الرشوة والفساد والسادزم وما إليه وعند ذلك طلب من « سكودر » أن يبدى اقتراحاته وكانت هذه هى الفرصة التى يترقبها ويتمناها ليبرهن على صحة نظرياته . فأصر على عدم الاستعانة بأى واحد من الموظفين القدامى كما أصر على الحصول على مرتبات عالية ليختار مجموعة من الرجال المثقفين لمعاونته . وفعلا كان الخمسون مساعداً الذين اختارهم كحراس (ومعلمين فى نفس الوقت) قد قضوا على الأقل سنتين فى دراسة جامعية .

ثم أخذ فى محادثة مئات من المسجونين فى سجن « سان كوينتين » غير ناظر إلى نوع الجريمة ولا إلى شدتها وإنما كان يبحث عن الأشخاص الذين

يبغون الإنتقال إلى سجن آخر بأمل واحد هو أن يعينهم المعهد الجديد على الرجوع للحياة الإنسانية الكريمة .

وفى صباح أحد أيام شهر يوليه عام ١٩٤١ دخل من بوابة سجن « سان كوينتين » أوتوبيس انتقل إليه ٣٤ مذنباً منهم السارق والمزيف والمتهم بجريمة خلقية بل وكان بينهم اثنان من القتلة . وقد صفر الحراس (استهزاء) لهذه السيارة التى ليس لها قضبان حديدية (للحراسة) ولما وجدوا أن «سكودر» لم يجلب معه « كلبشات » صاح أحد الحراس فى وجهه « سوف تطير منك كل المجموعة فى الطريق يا صديق » .

ولكن الأوتوبيس قطع الخمسمائة ميل متوقفاً فى الطريق للتزود بالبنزين أو لتناول الطعام أو للاغتسال ووصل لوس انجيلس وكل الأربع والثلاثين مسجوناً عليه لم يحاول أحدهم الهرب فبرهن هؤلاء الرجال — كما برهن الاثنى عشر ألف شخص الذين تبعوهم بعد ذلك — أن « سكودر » كان مصيباً عند ما قال « إن المذنبين هم إناس و أغلبهم سوف يحوز ثقتك » .

وكان يقول للرجال فى شينو : « إن مهانة المحاكمة ثم الحجز هو عقاب كاف لما ارتكبتموه وعليكم الآن العمل على كسب حريتكم واستعادتها بأسرع ما يمكنكم » .

وكان يقابل « المستجدين » ويريهم أن الفرار سهل بل سهل جداً فالأسلاك الشائكة واطئة . ويقول لهم : « لو وضع أحدكم سترته عليها لأمكنه الفرار حتى بدون أن يخدش جلده وهذا إغراء ولكنى أضعه أمامكم عمداً لتتعلموا مقاومة الإغراء » .

وفى كثير من السجون يحاول الموظفون إيجاد فرق للتجسس تأتيهم بأخبار من يريد الهروب أما « سكودر » فيحتقر التجسس والجواسيس ويقول للجميع « إذا علمت أن زميلك يزمع الهرب فاقنعه أنت نفسك أنه يضر نفسه ويضرك بعمله هذا » .

ولو بحثنا حالة المسجونين لوجدنا أن ٨٠ ٪ منهم لا يحذقون أى صناعة ولذلك فانهم عند الإفراج عنهم يشتغلون فى أحقر الأعمال ويرجعون ولذلك فإنك ترى فى شينو فصولا دراسية لمدة أربع ساعات يومياً لتعليم البياض والزخرفة والبناء واللحام والزراعة وثلاثين نوعاً آخر من الصناعات وتحسب للشخص ساعات تعليمه كأنها جزء من الأربعين ساعة عمل المكلف بأدائها رسمياً .

ثم اخترع الرئيس سكودر شيئاً آخر ذلك أنه فى خلال الثلاثين يوماً السابقة على الإفراج (تحت شرط : بارول Parole) يحاول أن يجعل السجين يعيش عيشة الرجل الحر ، ففى الأمسيات يلتقى بالشريف Sherif ورجال البوليس حتى يذهب من نفسه الحقد والضغينة التى يحملها لهم ثم يلتقى مع ضابط البارول Parole officer فى أحاديث طويلة لترتيب عمله المقبل وطريقة حياته وكذلك يبحث مع باحثة اجتماعية ما سوف يلقى من زوجته وأولاده من تفاعلات وهل سيعدونه دخيلا عليهم غير مرغوب فيه . ثم هناك مسألة أخرى هامة وإن كانت تبدو تافهة فى الظاهر . تلك هى أنه منذ سنين أو شهور تعود أن يأكل مع زملائه المساجين فى صوانى من الصلب ولا ينتقده أحد كيفما التهم طعامه ولذا يخشى عليه — إذا ما خرج — أن يهاب الدخول إلى مطعم محترم فتكون النتيجة أن يفضل الدخول إلى

بار . ولذلك فإنهم فى الأمسيات الثلاث التى تسبق خروجه من « شينو » يدعونه لتناول طعامه فى مطعم الموظفين ومع الموظفين . وسوف تراه فى الأمسية الأولى ينظر ببلاهة إلى هذه الطاولات بغطائها النظيف وأدوات المائدة البراقة من فضيات وكوبات وفوط وفى العشاء الثانى يكون أكثر استرخاء أما فى اليوم الثالث فتراه وقد صار طبيعياً جداً .

والآن وبعد انقضاء اثنى عشر عاماً فقد تأكد نجاح طريقة « سكودر » غير أنه هو نفسه كان يعتقد أن ٦ ٪ فقط من مجموع مسجونى ولاية كاليفورنيا سوف يصلحون لتجربته ولكن تبين أن ثلث المسجونين يصلحون لها . ولم تتعد حوادث الهرب ٢ ٪ . وقد شجع هذا كثيراً من الولايات إلى احتذاء مثال تجربة شينو مثل سجن والكيل Wallkill (الذى وصفته لك) ولكن أغلبية المائة وسبعين ألف سجين أمريكى لا بد أن يبقوا وراء قضبان .

أجرأ خطوة

ولكن ربما كانت أجرأ خطوة قام بها سكودر هى سماحه للمسجونين أن يختلطوا بعائلاتهم . والقاعدة العامة هى السماح للعائلات (دون الأطفال) بزيارة المسجونين لمدة ساعة أو اثنتين فى كل شهر وأن يكون بين الطرفين فاصل وقضبان وسار « سكودر » على هذا المنوال فى مبدأ الأمر .

إلا أنه لاحظ أن المسجون الذى تزوره عائلته يصبح أحسن حالا وأطوع بناناً من غيره فجمع بعض المتطوعين وزرع حديقة فى الأرض المقابلة للسجن وأقام فى وسطها كشكا وكذلك كانتينا وترابيزات ومقاعد وكذلك حانوتاً لبيع مصنوعات المساجين . وكانت القضبان الوحيدة فى

المكان هى المقامة حول قطعة صغيرة ليلعب داخلها الأطفال الصغار وحتى هذه كانت مدهونة بالألوان الجميلة الزاهية .

وكان يوم أول زيارة إختلاط يوماً عسيراً على « سكودر » ومعاونيه خيفة أن يحدث ما يفسد التجربة ولكن ها قد مضى اثنى عشر عاما تم فيها أكثر من مليون زيارة ولم يقع أى حادث بل أصبحت هذه المغامرة الفذة العامل المساعد الأول فى تهذيب السجين وإصلاحه . وما أصدق قول أحدهم لقد مضى على هنا خمسة شهور رأيت فيها زوجتى مرات أكثر مما كنت أراها فى عشرة أعوام لو أنى كنت فى سجن سان كوينتين ثم كان هناك ابنى الذى لم أره من قبل مع أن عمره ست سنوات واضطرت زوجتى إلى جره جراً فى المرة الأولى أما الآن فهو ينادينى « بابا » ويقول متى تعود للبيت .

ومن هذا ترى أنهم لا زالوا مسجونين ولكنه سجن بالقطاعى أسبوعاً بأسبوع ثم ليست هناك أى اضرابات أو تمرد خشية إيقاف هذه المقابلات الأسبوعية والمزايا الأخرى .

وما أصدق تعبير زوجة عن رجلها عندما قالت « إن هارى لما كان فى سان كونتين كنت أرهب مقابلته لأنه كان دائماً يلح على أن أطلقه . أما الآن فنحن نتقابل ونبحث فى مستقبلنا المشترك الذى سوف نعيشه معا » ويختم « سكودر » حديثه معك بقوله : سوف يعود السجين يوما ما للمجتمع . فاذا أسأنا معاملته فمعنى ذلك أنه يخرج مملوءاً بالمرارة والحقد والكراهية للمجتمع أما إذا وثقنا به وعلمناه وأرشدناه واحتفظنا له بروابطه العائلية فقد كسبناه ولن نخسره مستقبلا .

سجن والكيل
Walkill Prison

هذا سجن حديث بدون جدران على طريقة تجربة شينو التى أخبرتك عنها وهو خاص بمرتكبى الجريمة الأولى من أهالى ولاية نيويورك ، والإقبال عليه شديد جداً وقد تعجب للاقبال على سجن وتعجب أكثر عندما أخبرك أن هناك « قائمة إنتظار » Waiting list مقيد بها أسماء عديدة لأشخاص فى سجون أخرى ينتظرون دورهم فى دخول « والكيل » ولكن دهشتك تذهب لو درست طرقهم فى تقويم وإرشاد وتعليم هؤلاء الخاطئين وتعليمهم وتثقيفهم ثم تدريبهم على صناعات مرغوبة . وأكثر نزلاؤه من طلبة المدارس الثانوية (ويسمونها العالية Higher Schools) الذين ارتكبوا جريمة ولذا فليس لهم دراية بأى صناعة أو لهم دراية بسيطة .

وبمجرد دخول أو قبول الشخص يحادثه المدير ثم المصلح الاجتماعى والقسيس والطبيب وضابط البارول ورقيب المراسلات ومعلم الرياضة البدنية ورئيس الصناعات كل بدوره وبهذه الطريقة ونتيجة لمجموعة هذه الأحاديث يصبح فى الإمكان توجيه السجين إلى خير المهن وأوجه النشاط الأخرى التى تليق له .

ويقع السجن فى ضاحية هيرلى Hurley وتبعد عن مدينة نيويورك نحو ساعتين بالسيارة ويبلغ عدد النزلاء خمسمائة لكل منهم غرفة خاصة لا تقفل ليلا ولا نهاراً إلا أن أبواب العنابر تقفل الساعة العاشرة مساء وهناك مساحات كبيرة لكل أنواع النشاط الرياضى كما أنه موجود بستان تفاح ملحق بالسجن .

وبرنامج الدراسة مقسم إلى ثقافى وعملى ويشمل الأول (الثقافى) الدراسات المدرسية العادية حسب برنامج المدارس العليا وعلوم التجارة والمحاسبة .

أما البرنامج العملى فيشمل اختيار أى فرع من الفروع الآتية : الزراعة وإصلاح السيارات (وقد برعوا فيه كثيرا ويتم تصليح جميع سيارات البوليس هنا) الخبازة — الحلاقة — الطبخ — النجارة — الكهرباء — والراديو — الغسيل والكى — البناء — السباكة (دراسة ابتدائية ودراسة عالية) التبريد الحياكة — الحدادة — حفظ الأغذية وتجفيف الفواكه — فن المكاتب والرسم .

وهناك دراسات كاملة لمن يريد التقدم للامتحانات وتشمل العلوم والرياضيات والتاريخ وآداب اللغة والعلوم والكيمياء الخ . . . وكلها تدرس علمياً وعملياً مع عمل امتحانات ثم هناك مكتبة عظيمة مزودة بكل أنواع الكتب والمجلات والجرائد اليومية والقواميس ودائرة المعارف ويمكن أخذ الكتب إلى الغرف لمتابعة الدراسة ليلا .

فهل تعجب بعد ذلك أن تعلم أن رجال الأعمال يتلهفون على استخدام الشبان قائلين لأنفسهم ها هو شخص نعلم كل شىء عنه وعن تاريخه وأخلاقه هؤلاء وكفاءته بشهادة « رؤسائه » الذين خبروه بل عاشروه مدة طويلة . ثم هو يدرك حالته الخاصة ويتلهف على أن يكون صالحاً وأن يسير سيرة حميدة خشية أن يكون أول المتهمين إن حصل أى خلل فهو لكل ذلك يفضل شخصاً آخر لا نعلم عنه شيئاً .

ولكن لا تظن أن سابق وجوده فى السجن معناه أن يتناول عند

خروجه مرتباً أدنى من غيره — كلا — إن مرتبه يتوقف على مقدار كفاءته فقط بدون النظر إلى أى عامل آخر .

ولم أذكر لك أوجه النشاط الرياضى ولا الترفيه ولا حفلات الموسيقى التى يقيمونها من وقت لآخر ولكن أظنك تدرك أنها من أحسن ما يكون ما دام هذا مستوى النزلاء وما دامت هذه هى الروح السائدة .

والزيارات مصرح بها فى حدود خمس مرات شهرياً ويمكن للنزلاء إرسال الخطابات وتلقى الرسائل كما يشاءون كما أن لهم أن يتلقوا طرود الأكل أو الملابس (فى حدود خاصة) من ذويهم وفى بعض الأحيان يسمح المدير للنزيل بالخروج لفترة محدودة لحضور جنازة قريبه أو زيارته فى مرضه الأخير .

* * *

نظام البارول The Parole System

فى نهاية طوافى بالسجن والاطلاع على كل أوجه النشاط عدت مع حضرة المدير إلى مكتبه حيث وافانا كبار موظفيه وعقدنا اجتماعاً لبحث كل المسائل التى أريد طرحها عليهم وقد تكلمنا فى شتى المواضيع إلا أنى أريد هنا أن أقصر القول على نظام البارول إذ كنت مهتما بدراسته لأقارنه بنظام لجنة العناية بعد الافراج (After-care committee) المعمول به فى بريطانيا . إن حماية المجتمع هى الأساس فى كل الوسائل التى تتخذ مع المجرمين وعليه يجب حجزهم المدة التى يظن أنها كافية لعدم عودتهم للجريمة وبناء على ذلك يصبح العامل الأهم فى تقدير مدة السجن هو الوقت اللازم لمعالجة وإصلاح هذا المجرم .

ولكل سجين أمضى ثلث المدة المحكوم عليه بها — على أن لا يقل هذا الثلث عن عام كامل — له أن يتقدم للجنة البارول وهى تقابله وتحادثه وتطلع على سجله فى السجن فإذا ما اقتنعت بصلاحيته أفرجت عنه ومعنى ذلك أن يخرج من السجن على أن يبقى تحت رقابة ضابط البارول . ويترتب على ذلك أن على اللجنة أن لا تنظر « هل هذا الرجل يستحق الحرية » بل الأهم أن تبحث « هل هذا الرجل أصبح صالحاً للرجوع إلى المجتمع تحت الرعاية والملاحظة » ؟ وكم من الزمن يجب أن يبقاه تحت المراقبة ؟ وهنا يكون من المهم بحث تاريخه الإجرامى ومقدار إصراره عليه وإلى أى حد نجح السجن فى تغيير نظرته هذه واتجاهاته .

ومن هذا يتبين أن رقابة ضابط البارول إن هى إلا استمرار للعلاج الاصلاحى الذى بدىء به فى السجن ولو أن هذا الجزء يتم بينما الشخص يكون موجوداً فى وسط المجتمع لا خلف الجدران .

وبالطبع لا بد للمفرج عنهم تحت هذا النظام أن يرتكبوا بعض الأخطاء ولكنهم لن يعادوا للسجن طالما كان النصح والارشاد كفيلين بتقويمهم وحل مشاكلهم وتصحيح أخطائهم .

أما إذا انحدر المفرج عنه حتى يصبح خطراً على المجتمع فانه يعاد فوراً للسجن لإعادة دراسة حالته وإصلاحه حتى ولو لم يرتكب جريمة جديدة وهذا عين الصواب إذ ما دمنا نمسك الإفراج عن الشخص الذى نعتقد أنه لم يتغلب بعد على ميوله الإجرامية فكذلك لا يجب أن يسمح لشخص بالبقاء مختلطاً بالمجتمع حالما نشعر أنه على وشك السقوط .

ولا يسمح لشخص تحت هذا النظام أن « يغادر الجدران » قبل أن

يـكون قد حصل على وظيفة وله مسكن معروف كما أن عليه أن لا يغادر وظيفته أو مسكنه أو يتزوج أو يسوق سيارة أو يدخل فى تعاقد أو يغادر الولاية إلا بعلم ورضاء ضابط البارول : فأنت ترى من كل ذلك أن هذا النظام قصد به حماية المجتمع كما قصد به حماية المذنب نفسه من نفسه .

ولما كانت الرقابة هى « روح » نظام البارول فان اختيار ضابط المراقبة يتم بعد تدقيق شديد فى كفاءات الطالبين فيجب أن يكونوا خريجى الجامعات وأن يكونوا قد حصلوا على دراسات خاصة فى علوم الاجتماع والنفس وإصلاح الشواذ وتهذيب الخاطئين وتمنح لهم مرتبات سنوية تبلغ خمسة آلاف دولار ويكلف الواحد بمراقبة نحو ثمانين شخصاً لا أكثر .

سجن « سنج سنج »

Sing-Sing Prison

هل يمكن لشخص له ارتباط بخدمة السجون (فى أى بلد من بلاد العالم) يدعى لزيارة أمريكا ولا يضع سجن « سنج سنج » فى رأس قائمة مشاهداته ؟ كلا ! . قد لايكون هذا أقدم السجون ولا أحسنها (وهو قطعاً ليس أحسنها) ولكنه أشهر سجون أمريكا لدى الأجانب وشكراً لكرسيه الكهربائى وللدعاية التى أسبغتها السينما عليه .

وعليه فقد غادرت نيويورك بقطار الضواحى يوم ١٨ نوفمبر إلى « أوسننج » Oesning فوصلتها بعد ساعة وربع وبهذه المناسبة أخبرك رداً على سؤالك أن كلمة سنج سنج هى اشتقاق أو هى تحريف لاسم المدينة « أوسننج » .

وهو مبنى شاهق من الطوب الأحمر وعلى تل مرتفع يقع على شاطىء نهر الهدسون فى بقعة جميلة تخلب الأنظار ويبلغ عدد نزلاؤه ١٧٠٠ شخصاً من الذكور كلهم من المجرمين العتاه يسكنون غرفاً انفرادية بها ماء جار ومرحاض ويحمل الحراس عصياً غليظة . أما الحراس القائمون على الأبراج الخارجية فمزودون بأحدث الأسلحة الأوتوماتيكية .

والصناعات كثيرة ومتعددة وتشمل النجارة والطباعة وإصلاح الملابس وعمل الأحذية والراديو والكهرباء . ثم هناك صناعة إصلاح السيارات وهى كاملة وتتكرم بعض المصانع بإهداء موتورات الموديلات الجديدة لدراسة ما فيها من تحسينات وتركيبات حتى تكون معلومات الخريجين على آخر طراز .

والعناية الطبية كاملة من حيث العدد والآلات والأطباء كما أن لديهم كثيراً من الأخصائيين فى فروع الطب الهامة وذلك لأن هذا السجن هو المركز الرئيسى الذى يرسل إليه المرضى من شتى السجون القريبة منه غير أن المستشفى مزدحم ثم هو مظلم (لأن البناء قديم) وتدهش عندما أخبرك أن عنبر الحلاقة وهو كبير جداً أنظف وأبهج من المستشفى . وبهذه المناسبة علمت أن كل نزيل يمكنه حلاقة ذقنه (فى الدكان) مرتين فى الأسبوع ولكن يمكنه اقتناء موس أمان (Safety Razor) إن كان يريد أن يحلق لنفسه أكثر من ذلك .

أما التغذية فجيدة ووافرة وغرفة الطعام متسعة ونظيفة وكل إنسان يمكنه أن يأخذ القدر الذى يريده (على نظام الكافيتريا) ولكن لابد له أن يأكل جميع ما يأخذه . وعلاوة على ذلك يوجد كانتين يحوى مختلف المأكولات الخفيفة ثم إن أهالى المسجونين يمكنهم إحضار أو إرسال ما لا يزيد عن عشرة أرطال من المأكولات شهرياً . والتدخين مباح ويصرف السجن لنزلائه علبتين من السجاير شهرياً ولمن يريد المزيد أن يشتريه من الكانتين .

واللباس هو القميص الأبيض والبنطلون السنجابى أما الملابس الداخلية فكما تشاء . والزيارات أسبوعية كما أن هناك مكتبة كبيرة وفصولا دراسية لمن يريد زيادة معلوماته .

الكرسى الكهربائى The Electric Chair

كان حضرة مدير السجن هو الذى صحبنى فى جولتنا ولكنى لاحظت أنه عندما وصلنا إلى غرفة خاصة فتح بابا أولياً ثم بابا ثانياً وراء الأول وبعد دخولنا اهتم بغلق البابين بالمفتاح (على خلاف العادة) ووجدتنى فى غرفة

طولها ٨ أمتار وعرضها ٥ أمتار وبها مقاعد خشبية مرصوصة كما أنى شاهدت فى مقابل المدخل كرسياً يشبه إلى حد بعيد كرسى طبيب الأسنان من الطراز البسيط القديم . وهنا قال المدير (هذا هو الكرسى الكهربائى) ولم أتمالك أن ارتجفت فكم زهقت أرواح فى هذه البقعة من المكان ثم مضى حضرته يقول إن هذه المقاعد هى لجلوس رجال الصحافة وكذلك يحتم القانون أن يحضر تنفيذ الأعدام أربعة أشخاص (على الأقل) من الجمهور ليصبح التنفيذ قانونياً .

ولم أقاوم إغراء « الجلوس على الكرسى الكهربائى » فإن هذه لحظة تاريخية وتجربة غير عادية وصدقنى إن قلت لك أنى وجدت الكرسى مريحاً جداً !!. وبعد الجلوس يربط الشخص إلى الكرسى بواسطة سيور جلدية ثم توضع على رأسه قلنسوة معدنية تغطى وجهه وبعدها يطلق التيار الكهربائى القوى فيسرى فى الجسم وتتم الوفاة سريعاً .

ولكنى لم أذهب إلى هذا الحد فى المغامرة ولا حتى إلى حد وضع القلنسوة على رأسى ! ! . وكان فى السجن فى ذلك الوقت المستر « روزنبرج وزوجته » إيثيل ينتظران التنفيذ عليهما كجاسوسين أفشيا الأسرار الذرية الأمريكية (وقد نفذ الحكم فى يونيه سنة ١٩٥٣ بعد فشل المحاولات العديدة التى بذلت لتخفيف الحكم) . والمحكوم عليه بالإعدام يعلم بالأمر قبل الموعد بعدة أيام من إذاعات الراديو ومن زملائه ومن زيارة عائلته له .

وقد حدث أنى وقت زيارتى لمبنى الأمم المتحدة بعد هذه الزيارة ببضعة أيام أن سألنى المستر كيشيان Kishishian مراسل وكالة الأنباء العربية عما شاهدته فى نيويورك فأخبرته بزياراتى العلمية والثقافية وذكرت له عرضاً من

باب التبسط مسألة جلوسى على الكرسى الكهربائى . ولكنه كصحفى يسعى وراء الأخبار المثيرة أرسل لجريدة المصرى الخبر ونشرته الجريدة تحت عنوان ضخم كالآتى : « يجلس على الكرسى الكهربائى فى سنج سنج ويخرج حياً » ، وهو كما ترى مثير جداً . ولما أرسل لى عدد الجريدة من مصر واطلعت عليه لم أعلق عليه إلا بقولى « لعمرى كم من أصدقائى كان يتمنى لو لم أخرج حياً من تلك الغرفة ! ! » .

سجن سان كوينتين

San Quentin Prison

تاريخ

فى يوليه عام ١٩٥٢ احتفل سجن سان كوينتين بسان فرنسيسكو بعامه المئوى . ولو أنك طالعت صحف التاريخ التى أحالها القدم إلى صحائف صفراء لوجدت مذكورا عام ١٨٥١ أن محاكم كاليفورنيا كانت ترسل المحكوم عليهم إلى السفينة الأسبانية القديمة يوفيميا (Euphemia) الراسية فى خليج سان فرنسيسكو بالقرب من نقطة كوينتوس Quentus Point وكان مثل هذا الحكم ألعن من الحكم بالإعدام إذ يصبح الشخص واحداً من زمرة المنسيين إلى الأبد يشتغل ويشق طول النهار فإذا ما حل الليل تكدس الجميع فى الأعماق كأنهم سردين . وكان هذا القاع قذراً عفناً تنبعث منه الروائح الكريهة القوية حتى أن الحراس أنفسهم كانوا يعافون النزول إليه لتأدية واجباتهم .

يا الله كم تختلف هذه الصورة القاتمة عن المبانى الفخمة الصحية العظيمة التى هى سجن « سان كوينتين » الحالى فهو يطل على خليج المحيط محاطاً بالحدائق الغناء ، يغمره الضوء والصحة والهواء . أما مساكن الموظفين من الضباط والأطباء والحراس فإنها تغريك بالإقامة فى هذه البقعة الجميلة انتجاعا للبهجة والصحة .

وبهذه المناسبة قالت صحيفة « أخبار الداخل » Inside News وهى الجريدة التى يصدرها النزلاء ، تقول الجدران : « أنا سجن سان كوينتين بكاليفورنيا

أول وأكبر أمثالى من المعاهد الإصلاحية . وقد مضى علىّ فى مكانى هذا على الخليج مائة عام وقد شاهدت خلالها تطورات وأحداثا . فقديما كان نزلائى من المغامرين الباحثين عن الذهب وكانوا يحجزون فى سفينة قديمة أو فى خيام متناثرة ثم تدرجت إلى إقامة مبان ساهم كل من دخلنى فى زيادتها وتدعيمها وتجميلها حتى وصلت إلى ما أنا عليه الآن معهد ، ثقافى صناعى شامخ وقد اشترك كل من آويته بقسطه فى البناء وكان « الضيوف » من شتى أطراف الولاية . وكنت فى أول الأمر أستعمل العقاب والشدة فى معاملة هؤلاء المغامرين الأشداء الخارجين على القانون فأقهر القوى وكثيراً ما كسرت الضعيف . غير أن الفهم والمعرفة دلتنى على عدم ضرورة استعمال العقوبات البدنية فاستعضت عنها بالإرشاد والتعليم وفتح بصائر الناس ولذلك يقصدنى الناس من كل أطراف العالم ليدرسوا عن كثب طريقتى فى إصلاح وتهذيب كل من يلج أبوابى » انتهى .

طريقتهم

يبلغ عدد النزلاء أكثر من خمسة آلاف من البالغين فى كل الأعمار وكل أنواع الجرائم إذ كل من يرتكب جريمة فى ولاية كاليفورنيا لا بد أن يمر أولا على هذا السجن والعناية الطبية على أحسن ما يكون كما أن الصناعات متعددة وأهمها صناعة الأثاث والملابس ثم مصنع الجوت (الشهير) وصناعة تقطيع الدخان هذا إلى الزراعة والصناعات الزراعية وتربية الخنازير . يضاف إلى ذلك كل أنواع الدراسات والألعاب الرياضية وأنواع الترفيه الموجودة فى السجون الأخرى وربما كان أهم شىء هى الدراسات السيكولوجية التى تساعد على تفهم نفسية السجين وإصلاحه .

وقد نسيت أن أخبرك أنك عند — بل قبل — الباب الخارجى لا بد أن تمر بغرفة تشرف عليها سيدة معها جهاز أشعة يكشف عن كل ما تحمل وما تخفى تحت الملابس — حتى النقود وأدوات الزينة — فى شنط السيدات تظهر بواسطتها — وهذا احتياط لما عسى أن يخفيه أحد الزوار من أسلحة نارية أو غير نارية أو قطع حديدية أو أى شيء آخر قد يساعد سجيناً على الهرب .

* * *

غرفة الإعدام بواسطة الغاز The Lethal Gas Chamber

يرسل كل المحكوم عليهم بالإعدام فى كاليفورنيا إلى هذا السجن إذ أن به غرفة الإعدام بواسطة الغاز . والمكان عبارة عن غرفة متوسطة الحجم بها كرسى للموظفين الذين يتولون العملية وترى فى الوسط غرفة من الزجاج السميك داخلهما كرسيين « مريحين » (Two Easy Chairs ? ?) يجلس على أحدهما المحكوم عليه ويربط بسيور جلدية كما توضع على صدره سماعة طبية متصلة بالخارج . وبعد ذلك تغلق هذه الغرفة غلقا محكما ويطلق غاز حامض السيانور من خلط محتويات إناءين تحت الكرسى . وتحدث الوفاة فى التو وتؤكد سماعة الطبيب ذلك .

وقد سألت عن سر وجود الكرسى الثانى فقيل لى إنه إذا وجد اثنان محكوم عليهما ينفذ فيهما الإعدام فى وقت واحد . وأظن هذا اقتصاد لا معنى له اللهم إلا إذا كان الغرض أنهما يسليان أو يشجعان بعضهما ! !

لجنة البارول Parole Board

كان من حظى أن حضرت بعد ظهر ذلك اليوم اجتماع لجنة البارول تحت رئاسة المستر جوردون وكنت قابلته وتعرفت إليه وإلى زملائه على

مائدة الغذاء. وهكذا أتيحت لى فرصة دراسة كيفية بحث حالة المطلوب الإفراج عنهم وطريقة إصدار قراراتها .

الكباب

لعلك تسأل ما معنى كلامك عن الكباب هنا وأنت تتحدث عن سجن سان كوينتين . ولكن اسمع : تكرم المدير وأعد لنا غذاء فخماً فى دار الضيافة الملحقة بالسجن لنقابل حضرات معاونيه وكذا أعضاء لجنة البارول وكان طباخه الصينى قد علم فى اليوم السابق ، بزيارتى وأنى مصرى فأراد أن يكرم « الضيف الشرقى » بإعداد الطبق المصرى المفضل وهو الكباب ولكنه صنعه من اللحم البقرى لا من اللحم الضأن . وكان لا بد لى — وهذه هى الظروف — أن أبتلع كل محتويات الطبق — مهما كرهت — وأن لا أكتفى بذلك بل أتقدم بالشكر الشخصى الخالص لحضرة الطباخ الصينى إذ لم أرد أن أكون السبب فى تعكير العلاقات بين حضرة المدير وحضرة الطباخ صاحب النوايا الحسنة .

* * *

حلقة الكواكب The Stars

علمت أنهم منذ خمس وعشرين عاما وهم يقيمون حفلة خاصة ليلة عيد رأس السنة يقدمون فيها عشاء خاصا للنزلاء الذين يقومون باستعراضات فنية وأغانى وموسيقى ورقص يساعدهم متطوعون من كواكب المسرح المشهورين وقد وجدت البرنامج يبز كثيراً من أمثاله من الحفلات التى تقام فى الخارج وإنى أعتقد أن هذه فكرة صائبة جداً لا للترفيه فقط بل لتحسين معنويات النزلاء وتهذيبهم .

ليمان جزيرة الكاتراز

The Alkatraz

إن ليمان جزيرة ألكاتراز هو سجن الحكومة الفيدرالية للمحكوم عليهم بأقصى العقوبة Maximum Security ويخيل إليك وأنت تنظر من المدينة إلى هذه الجزيرة وقد قامت عليها الأبنية والأبراج كأنما تنظر إلى قلعة حصينة من الطراز القديم أو قد تكون بارجة حربية راسية فى الخليج تهزأ بأمواج المحيط التى تلطمها . وقد نظرت إليها من خلال تلال المدينة وكباريها وقلت لنفسى ترى هل هذه هى توأم « جزيرة الشيطان » المعروفة وهل كل من فيها محكوم عليه بالنفى والحرمان وتلقى أساليب القرون الوسطى فى العذاب والإرهاب . ولما تلفن الدكتور « سوكس » مفتش صحة سان فرنسيسكو مدير الليمان يستأذن لى فى الزيارة وشعرت بتلكؤ الجانب الآخر من الخط فى إجابة الطلب كاد يصبح هذا الشك يقيناً .

وأنت إذ تقصدها تركب لنش الحكومة المعد لانتقال الموظفين ويقيد إسمك عند الاسكله ويسألونك هل تحمل أسلحة أو كلبشات أو ما إليها . ثم عليك أن تمر فى غرفة ذات ممرات متعرجة علمت فيما بعد أن بها مغنطيساً هائلا لاستكشاف ما قد يحمله الزائر من أسلحة أو ما شابهها .

ثم تركب سيارة تأخذك من الاسكله إلى المبنى نفسه حيث قابلت المدير المستر سووب Mr. Warden E. Swope وهو رجل ظريف حازم قابلنى بكل ترحاب وطاف بى جميع أطراف المكان بنفسه ولا بد لى أن أذكر بهذه المناسبة أنه فى أول طوافنا وجدته يطلب منى أن أتقدمه فقلت له تأدبا بل أنت المقدم فأجابنى : كلا . فالقاعدة هنا أنه إذا شوهد المدير أو أى حارس فى

المقدمة ووراءه أى شخص آخر فهذا دليل على وجود « شىء » غير طيب وغير طبيعى وبذلك يرفض الحارس فتح الباب .

وفى أول المطاف وبقرب الباب شاهدنا غرفة زجاجية (من الزجاج الذى لا يخترقه الرصاص) وبداخلها ضابط وأمامه عدة مفاتيح كهربائية وأزرار . هذه هى الرأس التى تتحكم فى كل الليمان فلا يفتح باب أو برج أو أى شىء إلا من هنا حيث الاتصال تام مع جميع أركان الليمان . وكذلك التليفونات متصلة بهذه الغرفة . وبمجرد رفع السماعة حتى بدون كلام تدل على « حدث » فى مكان آلة التليفون فيسارع الحراس لاستقصاء الخبر .

واسم الجزيرة مشتق من الاسم الاسبانى Isle de Los Alcatraces (Isle of Pelicans) أى جزيرة البجع نظراً للعدد الوفير من هذه الطيور الذى يحط على الجزيرة وحولها . وقد كانت فى مبدأ الأمر حصناً للدفاع عن الشاطىء ثم استعملت ثكنات للجنود ولما ضاقت بهم رحلوا عنها وكان ذلك فى عام ١٩٣٠ .

وتصادف فى هذا الوقت أن روعت البلاد بحدوث جرائم فظيعة هنا وهناك ، جرائم خطف وجرائم قتل وسرقة وانتهاك يقوم بها مجرمون عتاه يحاولون الهروب من كل سجن يوضعون فيه بل ويحاولون نشر الفتنة ولا يقتصر الأمر على هذا العبث والفساد بل إن وجودهم فى سجن ما كان يعيق تنفيذ برامج الإصلاح والتهذيب والارشاد للآخرين الذين يكونون الغالبية الكبرى وعليه اختيرت جزيرة الكاتراز لهذه الفئة من المجرمين العتاه بل العتاه جداً .

ولك أن تسأل : هل النقل إلى هذه الجزيرة معناه النفى الأبدى ؟ كلا إذ يمكن لأى مذنب أرسل إلى الكاتراز لخطورته — يمكنه بالخلق الحسن

والسير الحميد والتهذيب وإظهاره أنه رجع عن غيه ثم اندماجه فى الدراسة والصناعة — يمكنه بكل هذا أن يتقدم إلى لجنة البارول لتعيد إرساله إلى سجن آخر أقل تشدداً من هذا الليمان . وفى الحق لم يبق فيه الآن أحد من العتاة الذين أرسلوا اليه فى مبدأ إنشائه رغماً من أن بعضهم كان محكوماً عليه بالمؤبد . وبهذه المناسبة أذكر أنه من المحال الهرب من هذا الليمان ولم يقم أحد بالمحاولة إلا مرتين : غرق الأول وقبض على الثانى .

الغرف

بالليمان ٣٣٦ غرفة سعة كل منها ٥ × ٩ أقدام وبها سرير حائطى ومرتبة وأغطية وترابيزة ومغسل ومرحاض ورف للكتب . أما الباب فمن أسياخ الحديد المتين ويغلق الباب بواسطة جهاز أتوماتيكى فى طرف العنبر .

الصناعات

تشمل الصناعات عمل شباك الصيد والفرش والقفازات والقماش وتفنيط وخلط الدخان والمقشات وورشة أثاث ولا يجبر أحد على الشغل فى المصانع ولكن كل سجين يجد من صالحه أن يشتغل أولا ليمضى الوقت وثانياً ليكسب مالا ينفعه عند الإفراج عنه .

وقت الفراغ

هناك ترتيبات لإشغال أوقات الفراغ منعاً للملل فهناك أوركسترا وحفلات أسبوعية وموسمية ثم مكتبة بها ٩٠٠٠ كتاب فى مختلف الفنون ومن المدهش أنهم هنا يقرأون أكثر من غيرهم (فى الخارج) فقد وجد أن

كل شخص يستعير فى المتوسط ٧٥ — ٨٠ كتاباً فى العام ! ! وأغرب من هذا أن تعلم أن كتب الفلاسفة مثل « كانت » و « شوبنهور » و « هيجيل » هى أكثر الكتب طلباً . كما أن الكثيرين يدرسون الطبيعيات والرياضيات العالية . والمكتبة مزودة بالمجلات العلمية والفكاهية والسياسية .

ولما كان بعضهم يرغب فى الاستزاده من العلم فقد رتبت جامعة كاليفورنيا لهؤلاء دراسات بالمراسلة فى شتى العلوم وقد رأيت الكثيرين مشتغلين برسم لوحات جميلة وعلمت أن بعضها عرض فى المعارض الفنية واستحق الجائزة .

أما الذين لهم ميول موسيقية فتقدم لهم الآلات التى يحبونها . هذا إلى ممارستهم كل الألعاب الرياضية .

وقد قلت لك أن « سكان » هذا الليمان من العتاه الأشداء وسأذكر لك حالة أحد الذين قابلتهم لتعلم كم هم قساة ولنسمه جاك Jack the Killer .

فى سن ١٩ قتل عامل بار لأنه نافسه فى حب عاهرة فحكم عليه بالسجن ١٢ عاماً فى ليمان « جزيرة ماكنيل » وهناك طعن زميلا له بسكين فحكم عليه بستة شهور من أجل ذلك ونقل إلى ليمان ليفيورث (Laevenworth Penitentiary) حيث النظام أقسى من « ماكنيل » : ولكن تغلبت عليه ميوله الإجرامية القتالة فهاجم ضابطاً فى غرفة الطعام وقتله أمام ١٢٠٠ من المسجونين زملائه وحكم عليه بالإعدام ولكن رئيس الجمهورية عدل الحكم إلى السجن المؤبد (مدى الحياة) وكان حضرته يفاخر بأنه صنع ٢٥ خنجراً وأنه طعن زميلا له ولم يعلم بذلك أحد . ثم أكتشف أنه بسبيل تدبير مؤامرة واسعة النطاق للهرب بعد قتل الحراس وأن ميوله الإجرامية لاحد لها فنقل إلى الكاتراز حيث قابلته ورأيته يشتغل بسرعة ومهارة فى نسج الشباك . أما مجموع

الأحكام الصادرة عليه فتبلغ مائة وسبعين عام ؟ ؟

* * *

وبعض النزلاء محكوم عليه بثلاثمائة سنة وقد يبدو هذا غريباً للقارىء المصرى الذى يعرف أن أقصى العقوبة هى ٢٥ عاما ولكن هنا النظام يختلف . فمثلا لو سرق شخص سيارة وقصد بها إلى بنك ليسرق مالا ثم ترتب على ذلك قتل الصراف وبعض المشاهدين — لو تم ذلك لحكم عليه عن كل جريمة على حدة وأضيفت جميع المدد إلى بعضها بدلا من أن يقتصر على الحكم عليه فى جريمة القتل فقط .

وهذا فى اعتقادى عامل مجد فى مقاومة الجريمة خصوصاً إذا لاحظنا اتساع البلاد الشاسعة وتفرق المزارع بعضها عن بعضها فكان لابد من التشديد فى الضرب على أيدى العابثين بالأمن .

ليمان أتلانتا

Atlanta Penitentiary

عند ما كنت فى « واشنجتون » أجهز برنامج زيارتى ألح على الجميع بزيارة مدينة « أتلانتا » لأشاهد معهد الأمراض المعدية ثم لأزور الليمان لا كمعهد إصلاحى للمجرمين فحسب بل لأشاهد التجارب العلمية التى يجرونها على المتطوعين فى الأدوية المضادة للملاريا وفى معالجة الدوسنطاريا الأميبية وفى المباحث الخاصة بالإلتهابات الكبدية . ويتقدم المتطوعون (من المذنبين) لإجراء التجارب عليهم عن طيب خاطر وكأنهم يريدون أن يكفروا بهذا — ولو بعض الشيء — عما اقترفوه فى حق المجتمع . ثم كأنى بهم يستشعرون أن اختيارهم لهذه المهمة الإنسانية تحمل فى طياتها أنهم لا يزالون ذا نفع للعالم والإنسانية .

وليمان « أتلانتا » واحد ومن أربع وعشرين سجناً تتبع الحكومة المركزية وتأخذ على عاتقها المهمة الصعبة العويصة — مهمة تقويم هؤلاء الأشخاص الذين انحرفوا فاحترفوا الفساد والهدم بدلا من احتراف الأصلاح والبناء .

ولا يمكننا القول بأن ليمان « اتلانتا » — أو غيره — ينجح نجاحاً تاماً أو أن كل من يغادر جدرانه الغبراء لا يرجع إليها مرة بل مرات . ولكن رغما عن ذلك تبذل المحاولات المتكررة لإصلاحهم مع استعمال كل مادل عليه العلم الحديث من وسائل بدون أن نفقد الأمل قط .

نظام السجن

يوضع المذنب مدة ثلاثين يوماً تحت الملاحظة حيث تفحصه لجنة خاصة وتدرس تاريخه وعائلته وحالته الاجتماعية والأسباب أو الطوارىء التى دفعته للجريمة كما تدرس استعداده الفنى والصناعى . ومن مجموع هذه المعلومات تقترح الصناعة التى يختار لها والمعاملة الأصلح له .

والصناعات عديدة وتشبه مثيلاتها فى السجون الأخرى . إلا أنى يجب أن أنوه بصناعة النسيج فهى مزدهرة ومتقدمة جداً هنا .

ولا بد لى أن أنوه أيضاً بنظام الدراسة والتعليم فقد بهرنى أن وجدتنى وكأنى فى مدرسة نظامية إبتدائية وعالية تعطى فيها الدروس فى شتى العلوم وتقام الامتحانات وتصحح الأوراق الخ الخ ... كما أنى وجدت صالة المحاضرات الكبرى كأنها قاعة فى كلية وعلمت أن كثيراً من الأدباء والعلماء والفنانين يأتون متطوعين لإلقاء المحاضرات هنا وقد تبرع بعضهم بجوائز وميداليات ومنح دراسية Fellowships تعطى للمتفوقين . ومن أشهرهم سخاء فى هذا الباب الأديبة مرغريت ميشيل مؤلفة قصة (ذهب مع الريح) فقد أهدتهم عشرة جوائز باسمها .

وتضم مكتبة السجن عشرين ألف مجلد فى شتى العلوم والصناعات والفنون .

ويجب أن أنوه بتقدم دراسة علوم الكهرباء electronics فى برنامج يستغرق عامين والناجحون فيه يستخدمون فى الخارج بمرتبات تتراوح بين ٤٠ و٨٠ دولاراً فى الأسبوع .

العناية الطبية

أرانى الدكتور جينى Dr. Jenny وهو شخصية محبوبة جداً ويرأس نخبة من الأطباء — أرانى العمل المنظم الجليل الذى يقومون به فى تحسين صحة النزلاء مستعينين — أحياناً — ببعض الأخصائيين من الخارج وخصوصاً فى جراحة التجميل — نعم هم يصححون العاهات الجثمانية كلما وجدت وكلما أمكن ذلك على اعتبار أن هذه العيوب والتشوهات كثيراً ما تكون السبب الأول فى انحراف الشخص نحو الإجرام .

الافراج تحت شرط Release under Parole

من الطبيعى أن يتطلع كل مسجون إلى يوم الإفراج عنه ولذلك فهو يعد الأيام حتى يصبح صالحاً للمثول بين يدى لجنة البارول Parole Board وهذه تجتمع مرة كل ثلاث شهور لبحث حالة المسجونين الذين ساروا سيرة حميدة والذين يطلبون بحث أمرهم . ولا بد أن يمضى السجين ثلث المدة المحكوم عليه بها على الأقل — على أن لا يقل ذلك عن سنة واحدة — قبل أن يكون صالحاً للمثول أمام اللجنة . أما المحكوم عليه مؤبداً فلا يتقدم إليها إلا بعد تمضيته خمسة عشر عاماً على الأقل . واشتراطات التقدم للجنة بالإفراج والتجاوز عن بقية الحكم اشتراطات كثيرة وقاسية ولذلك لا يستكملها إلا أقل من ثلث المجموع . غير أن الكثيرين يمكنهم بحسن السير والسلوك واتباع النظام والتقدم فى التعليم والصناعة — يمكنهم أن يقصروا مدة سجنهم إلى درجة محسوسة — والذين يفرج عنهم تحت نظام البارول يبقون تحت مراقبة ضابط البارول فإذا أخلوا بالاشتراطات المأخوذة عليهم أعيدوا إلى السجن حتى ولم يرتكبوا جريمة جديدة .

الافراج النهائى

كلما اقترب موعد الإفراج النهائى كلما شعر المذنب أنه مقبل على مخاطرة جديدة — نعم مخاطرة — فسوف يتعرض إلى تغيير كامل جديد فى حياته إذ هو فى خلال سنوات سجنه قد اعتاد حياة نظامية رتيبة يصحو فى وقت خاص ويقوم بعمله وصناعته وكل أوجه نشاطه على نظام خاص وأوقات محدودة يلبس ملبساً واحداً ويأكل أكلا لا خيار له فيه وجلساؤه هم زملاؤه فى السجن ثم هو لم يقابل الجنس الآخر كل هذه الأعوام . وكل هذه العوامل تجعله يشعر أنه سوف يلاقى هموماً ومشاكل كثيرة لا يدرى نتائجها . ثم هو لا يدرى كيف سيلقاه أصدقاءه القدامى وهل سيقاطعه الناس — وهل كانت زوجته مخلصة له أمينة لعهده أثناء سجنه وكيف سينظر إليه أولاده ثم هل يخبر مخدومه الجديد بتاريخ حياته وجريمته ؟ : كل هذه وغيرها مشاكل تثقل كاهله .

ولذا عمدوا فى أتلانتا إلى تأليف هيئة (ما قبل الافراج) وخيراً فعلوا إذ يقابل أعضاؤهما السجين عدة مرات خلال الستة شهور السابقة لتاريخ الإفراج عنه ويساعدونه فى حل مشاكله وأخصها وأهمها إيجاد عمل جديد له إذ أن هذا وحده كفيل بإعطائه الثقة فى نفسه وإشعاره أنه يمكنه تكسب عيشه على أساس كفاءته الشخصية وحدها . وتدبر اللجنة عملا للمفرج عنهم فى المؤسسات الكبيرة والخاصة على السواء إذ أن لها اتصالات كثيرة بهذه الهيئات . كما أن مكاتب التخديم التابعة للحكومة تساعدهم مساعدة كبيرة .

ماذا يأكلون وأين ؟؟

قال لى زميلى فى إحدى السفريات ــ وكان أجنبياً ــ لا أظن أن هذه البلاد (يقصد الولايات المتحدة) سوف تنقلب شيوعية فى يوم من الأيام وعلل رأيه بكثرة الطعام الموجود فى كل مكان وفى الحق إن المسافر ليدهش لكثرة عدد المطاعم التى يقابلها أينما يذهب وأغرب من ذلك أن يجدها ملأى بالطاعمين طول النهار والجزء الأكبر من الليل .

وقد نصحنى الناصحون ــ قبل سفرى ــ أن أتناول طعامى فى أحد مخازن الأدوية فهى أرخص من غيرها ثم إنك لا تدفع « بقشيشاً » . وإذا دخلت أحد هذه المخازن وجدت شيئاً أشبه بالبار يقدمون لك منه ما تشتهى من طعام (خفيف) أو شراب برىء يطبخ أمامك فى مدى ٥ ــ ١٠ دقائق ويمكنك التحدث مع العاملة وإن كانت غير مشغولة فإنها تسرد عليك آخر الأخبار وتدلك على القطع الموسيقية الجديدة وعلى أفلام السينما وبذا تستمتع بشىء من الدردشة علاوة على الأكل . وقد نشأت فكرة تقديم الطعام فى مخازن الأدوية عند ما (وقف الحال فى البيع والشراء) عقب الأزمة المالية الأخيرة ووجد الناس أنفسهم مضطرين للأكل بدلا من التداوى أى أن يكتفوا بمعالجة معدتهم وإهمال الأعضاء الأخرى . ولما انقضت الأزمة فضل أصحاب محال بيع الأدوية الإبقاء على المطاعم إذ وجدوا أنك بعد تناول فنجاناً من القهوة مثلا تتذكر أنك فى حاجة إلى أسبيرين أو معجون أسنان أو أدوات الزينة (للسيدات) أو لعبة لأطفالك الخ . . فتشتريها ، ولذا فمخازن الدواء تكسب من وراء هذه (الإضافيات) أكثر مما تكسبه من وراء بيع الدواء نفسه .

وبطبيعة الحال فإن الغذاء الذى يقدم محدود جداً فى النوع والكمية وربما كان أهمه ما يسمى هامبرجر Hamburger وهو يشبه الكفتة بالبصل وعلى شكل الطعمية الكبيرة الحجم ولكنى زهدت فيه بعد تناوله يومين متتاليين فقصدت إلى النوع الثانى وهو :

٢ — الكافيتيريا Cafeteria — وهنا تبدأ بأخذ صينية من البلاستيك وفوطة ورق والشوكة والسكين والملعقة ثم تمر على منضدة رصت عليها كل ما تشتهيه من الأطعمة ابتداء من عصير الفاكهة أو الطماطم (وهى تؤخذ يومياً على الأقل مرة واحدة) ثم السلاطة والمأكولات المنوعة من لحوم وطيور وأسماك وخضروات وحلويات مطبوخة وكلها موضوعة إما فى صحون جاهزة وإما توضع لك كميتك فى صحون . وعندما تنتهى تعطيك العاملة ورقة بها مجموع ثمن ما أخذت لتدفعه عند خروجك بعد انتهائك من الطعام وفى بعض هذه المحال تكتب أثمان كل طبق عليه وبذا يمكنك معرفة الثمن قبل الطلب فلا تتورط فى شىء . والكافيتيريا — خصوصاً الكبيرة — تقدم طعاماً ممتازاً بكميات وافرة وأثمان معقولة فضلا عن أنك لا تدفع بقشيشاً وهذا مهم عند ما تكون دولاراتك محدودة العدد .

والغريب أنك تجد جميع هذه المحال تصنع نفس الطعام بل حتى ترصه بنفس الترتيب فى جميع المدن التى زرتها . وقد يظن البعض أن هذا يجعل الأكل مماثلا ومملا ولكنى وجدت أن طريقة الطبخ والطعم تختلف فى مختلف المحلات وهناك مسألة مهمة تشفع لهذا التماثل وهو أن غالبية الأمريكان يأكلون ولو مرة واحدة يومياً خارج منازلهم فكان لابد أن يكون هناك تماثل فى الأصناف حتى يكون الشخص متأكداً من الصنف الذى سوف يأتى له .

ومعظم المصانع والمعاهد الكبرى لها كافيتيريا خاصة بموظفيها حتى لايضطرون للخروج طلباً للطعام بل يتناولونه داخل المكان .

٣ — المطاعم : ولا يمكننى أن أصف لك أنواعها فهى عديدة وتناسب كل جيب : هناك المتواضعة وهناك الفخمة الضخمة المريحة للجسم والمتعبة للجيب . وفى كل الأحوال يبدأ الطعام بتناول شراب إما برىء وإما غير ذلك ثم تطلب أصناف الطعام التى تريدها .

وقد وصفت لك بعضاً مما شاهدته وأكلت فيه فى ولاية كاليفورنيا وأذكر لك الآن أن مطاعم نيويورك أضخم وأفخم وقد لاحظت ظاهرة غريبة هناك — تلك هى أن مطاعم نيويورك الفخمة مظلمة نهارا وتضاء بالشموع وهى مفروشة بالسجاد السميك والأصوات هامسة . وكل شىء يوحى بأنهم يريدون إراحة أعصابك من هرج ومرج المدينة الصاخبة حتى تستمتع بطعامك .

ولا داعى لأن أصف لك الغذاء فى والدورف استوريا Waldorf Astoria

ولا فى سافوى بلازا Savoy Plaza وأصدقك القول أنى لم أدفع شيئا فى كلتيهما — لأنى كنت مدعواً — ولكن لابد أن الحساب كان ضخماً إذا حكمنا بلذة الطعام وطريقة صنعه وتقديمه وكذلك بالخدمة الممتازة فضلا عن فخامة المكان التى لا نظير لها .

وهناك ظاهرة غريبة هى أن جميع المطاعم تقريباً تقدم لك الفواكه إما على شكل عصير أو سلاطه أو مطبوخة ولا تقدمها طازجة — حتى فى كاليفورنيا وفلوريدا يفعلون ذلك رغما عن أنها مكان إنتاج الفواكه العظيمة المتنوعة ولكنك تجد الفواكه الطازجة الجميلة المنظر الكبيرة الحجم فى أمكنة

البقالة المتناثرة هنا وهناك . ولم أفهم سر ذلك إلا أن تكون المطبوخة أو المعصورة أسهل فى الأكل وفى التقديم ولكننى لم أتمكن من إقناع نفسى بمجاراتهم فى ذلك فكنت أشترى الفواكه الطازجة وآكلها فى غرفتى بالفندق .

فى مدن أوروبا تجد مطاعم تقدم لك أطعمة أجنبية أى تختلف عن طعام البلد الذى أنت فيه . ومثل هذه المطاعم تكون أعجوبة وقليلة جداً . أما فى أمريكا فانك تجد مطاعم تقدم لك طعاما فرنسيا أو إيطاليا أو يونانيا أو إسبانيا ... الخ ، حتى البلاد الأجنبية الصغيرة لها مطاعمها . وهذه المطاعم موجودة بكثرة فى كل البلدان الأمريكية . وهو أمر لا يصعب فهمه إذا تذكرنا أن هناك مهاجرين كثيرين يميلون بين الحين والحين إلى تذوق طعام وطنهم الأصلى .

فاذا شعرت بالحنين يا صديقى المصرى إلى الأطعمة الشرقية وكنت فى نيويورك فاقصد إلى مطعم « قسمت Kismet » وهو تركى وهناك تجد الكباب وعيش السراى . وفى واشنجتون أخذنى صديق « أدامسون » إلى بغداد الجديدة New Bagdad وتديره عائلة فلسطينية ويرتاده كثير من الأمريكان الذين خدموا فى الشرق الأوسط ، وقد ذكرت لك مطعم « عمر بن الخيام » فى سان فرانسيسكو وهو من مطاعم الدرجة الأولى ولكننى لم أجد مطعما مصريا بكل معنى الكلمة وليت أحدهم يفكر فى ذلك وإنى أؤكد له أنه سوف يلقى نجاحا لو قدم الطعام المصرى وحتى الطعمية والفول المدمس ستقابل مقابلة حسنة .

وكل مطعم — كبر أو صغر — له علب كبريت خاصة عليها اسمه

وعنوانه وتليفونه يقدمها لزبائنه ويتفننون فى صنعها وزخرفتها وقد جمعت منها مجموعة كبيرة أعتز بها لأنها تذكرنى بالأمكنة التى قضيت بهـا أوقاتا سعيدة .

والأمريكى يأكل عادة أكثر من اللازم فضلا عن أن المأكولات هناك مغذية جداً والمدهش أنك لا تجدهم أسمن ممـا هم عليهم خصوصاً السيدات وأعتقد أن السبب فى ذلك هو أنهم يشتغلون كثيراً ويمارسون الرياضة باستمرار فضلا عن الطقس . ولـكن هذا لم يمنع الصيحة من أن يحـدّ كل إنسان من مأكله ويتبع رجيما خاصا فى غذائه وتجد الجرائد تنشر كشوفاً بالأغذية المناسبة لـكل يوم من أيام الأسبوع وتذكر أسماء المطاعم التى تقدم هذه الوجبات التى تساعد على التخسيس .

وما دمنا فى صدد ذكر أمكنة الغذاء لا بد لى أن أذكر لك كلمة عن الموتل Motel وهى عبارة عن مساكن بكل منها غرفتان أو ثلاثة أو أربعة فى شكل مجموعات مشيدة بجوار الطرق العامة وعند ما تصل إليها تدخل بسيارتك وحدك أو مع عائلتك فتجد المـكان معداً لإقامتك ونومك وتجد ملحقاً بالمجموعة مطعما تطلب منه كل ما تشاء . وتقيم فى هذا المنزل ما تشاء من الزمن وتتركه عندما تشاء . وبذلك لا تـكون ملزماً بحمل الهم فى حجز مكان بفندق قبل وصولك بأيام . وهذا النظام جعل السفر بالسيارة متعة حقاً وحل مشكلة بل مشكلات عديدة فوق أنه أرخص من الفنادق المماثلة وهذا ما حدا بإقامة عدة مجموعات مماثلة فى مدينة ميامى وشاطىء ميامى لمقاومة الغلاء الفاحش هنـاك وما أمتع أن تعرف أنك فى سفرك يمـكنك أن « تقف سيارتك » « Drive-in » فتجد مكاناً معداً لمطعمك ومبيتك .

وما دمنا بصدد ذكر نظام « تقف بسيارتك » فالآخبرك بأن هذا النظام آخذ فى الانتشار فهناك مطاعم وسينمات وتياترات وكلها تدخل بسيارتك وتقف فى أمكنة خاصة وتشاهد العرض وتسمع الكلام بواسطة ميكروفون أو يقدم لك الطعام فى صينية فلا داعى للانتقال من السيارة . ثم هناك فى السينمات حديقة صغيرة بها ألعاب تترك فيها أطفالك يتلهون حتى ينتهى العرض فتأخذهم معك ثانية . وللأسف لم يكن لى حظ الحضور فى أحدها لأنها تشتغل فى الربيع والصيف بينما كانت رحلتى فى الشتاء . وأظنك تذكر أنى أخبرتك بالبنك الموجود بشيكاغو الذى تذهب بسيارتك حتى شباك الصراف وتصرف الشيك وتأخذ النقود بدون مغادرة السيارة .

وما دمنا بصدد « الأكل » فلا بد من ذكر وسائل الطبخ فى المنزل الأمريكى الحديث فقد دعيت إلى كثير من البيوت وكنت أجد أن سيدة المنزل تضع المأكولات فى الفرن الكهربائى وما نكاد ننتهى من تناول الكوكتيل أو الشراب حتى يدق الجرس معلناً نضج الطعام . وبعد العشاء توضع الأطباق فى الغسالة الكهربائية الخاصة ثم تقفل ويدار التيار فتغسل وتجفف دون أن يتضايق أحد . وكانت هذه نعمة للأزواج أكثر منها للزوجات لأنهم هم الذين كان يطلب منهم غسل الأطباق مادامت السيدة هى التى قامت بالطبخ . وبهذه المناسبة أذكر كرتوناً فى إحدى الجرائد لسيدة ضخمة قوية تمسك فى يديها قفاز المصارعة وتقول لزوجها الرفيع المسكين : فلنتباكس لنرى أينا سيقوم بغسل الأطباق !!

ثم هناك جهاز كهربائى آخر توضع فيه بقايا الطعام بما فيها العظام

وكذلك كناسة المنزل ويسلط التيار الكهربائى فيفتت كل ذلك ويخلطه بالماء ويحيله إلى البالوعات .

هذا إلى جانب الثلاجة الكهربائية (الفريجيدير) المعروف ثم جهاز التبريد حيث يمكن ترك اللحوم والطيور مثلجة بمجمدة ستة شهور كاملة .

بعض النواحى الطبية لرحلتى فى امريكا

فى خلال الأربع شهور التى قضيتها متنقلا فى بلاد الولايات المتحدة زرت معاهد طبية شتى وقابلت كثيراً من فحول الطب المبرزين فى فنهم وأتيحت لى الفرصة لأتناقش معهم فى المواضيع الطبية والصحية التى تهم الطرفين لفائدة البلدين .

وليس غرضى فى هـــذه العجالة أن أشرح ما وقفت عليه وما شاهدته ولا أعتقد أن هذا الكتاب هو الموضع الصحيح لذلك كما أنى لا أزمع أن أصف شيئاً مما له مثيل فى مصرنا . وسأقصر كلامى على تلك المعاهد وهاتيك الطرق الطبية التى لا نراها فى مصر والتى أرجو أن نراها فى بلدنا وفى وقت قريب .

* * *

المايو كلينيك The Mayo Clinic

لا أظن أن هناك طبيباً أجنبياً تتاح له زيارة أمريكا دون أن يضع على رأس برنامجه زيارة هذه المؤسسة العظيمة التى يعرفها ويسمع عنها الكثير حتى يرى — رأى العين — طريقتهم فى الفحص والتشخيص والعلاج وحتى يقابل أساطين الطب القائمين عليها ويغترف شيئاً من علمهم .

وتاريخها يرجع إلى أواخر القرن الماضى حينما اختار الدكتور مايو (الأب) هذه المدينة الشمالية المنعزلة مقراً لعمله الطبى وما لبث أن ذاع صيته فقصده العامة والخاصة ثم اشترك معه ولداه الطبيبان . وكان الغرض الأصلى

ــ ولا يزال ــ مبنياً على أساس العناية بالمريض بتشخيص مرضه تشخيصاً علمياً صحيحاً ثم علاجه فى المستشفيات التى ألحقت بالمعهد الأصلى . فلم يكن الكسب المادى أبداً ذا شأن فى ذلك بل إن صافى الربح يحول إلى إدخال تحسينات ومبان جديدة على المعهد الأصلى . ولم يحل موت الأخوين فى عام ١٩٤٧ دون استمرار المؤسسة لأنها كانت قد حولت إلى مؤسسة عامة قبل وفاتهما .

وتستمد مدينة روتشستر Rochester شهرتها من وجود الكلينيك بها بل إن سكانها الثلاثين الف يشتغلون جميعاً فى خدمة هذه المؤسسة كل حسب مؤهلاته فى الحياة كما أن عدد من يقصدونها من المرضى يربو على المائة وخمسين ألف شخص سنويا آتين إليها من جميع بقاع العالم لا من أمريكا وحدها . والمؤسسة تستجيب لهم جميعاً فهى لم ترفض فى تاريخها الطويل المجيد مريضاً واحداً لأنه عجز عن دفع أجر فحصه أو علاجه بل يدفع كل مريض حسب مقدرته ولذا لا تجد رسوما مقررة لأى نوع من الفحص بل تقدر هذه فى النهاية حسب مركز المريض فى الحياة ومقدرته على الدفع .

وقد وصلتها مساء الثامن عشر من ديسمبر على أن أمكث بها أربعة أيام ولكن كان هناك الشيء الكثير للمشاهدة كما أنى لقيت من السادة الأفاضل القائمين على شئون المؤسسة من الكرم والضيافة والعلم والمجاملة ما جعلنى أطيل الأمد إلى أربعة عشر يوما .

وكان صديق المستر كومندا Mr. Komenda (مندوب شركة بارك ودافيس) قد رتب لى أن أفحص طبيا وكان غرضى الأساسى من ذلك أن أرى طريقة الفحص عن طريق التجربة الشخصية ولو أنى فى الوقت نفسه رحبت بأن يتم فحصى فحصاً طبياً شاملا فى هذا المعهد العظيم .

والبناء مكون من عشرين طابقا بنيت على أساس تسهيل الفحص الجماعى وهو فى الواقع عبارة عن مبنيين الأصغر منهما به مكاتب الإدارة وبعض المعامل والآخر (الأكبر) به غرف الفحص والانتظار والمعامل الخ . .

وهناك طريقة عجيبة وسريعة تتيح للطبيب الكشاف أن يطلب التقارير الخاصة بأى مريض (قديماً أو حديثاً) فترسل له من الأرشيف على وجه السرعة بواسطة أنابيب تنقل الرسائل إلى جميع الأدوار بواسطة ضغط الهواء .

ومدخل الدار عليه بابان من البرونز مكتوب عليهما أوجه نشاط الإنسان الستة وهى : المنزل . والنشاط التطبيقى والفنون الجميلة والرياضيات والبناء والزراعة . كما أن أبواب المصاعد العديدة تبين فروع فن الشفاء المختلفة وهى : التشخيص والأشعة المجهولة والفارماكولوجيا (الصيدلة) والمعامل والعلوم والفنون الطبية .

وفى البرج الموجود أعلا البناء الرئيسى توجد مجموعة من الأجراس عددها ٢٣ جرسا زنتها ٧٥٠٠ رطلا من النحاس وهبها الأخوان الدكتوران وليم وشارل مايو لضحايا الحرب من الجنود لتقرع فى المناسبات الوطنية .

وعند زيارتى كانت هناك بناية جديدة من عشر طوابق فى طريق الانتهاء من بنائها ليتسع بها المكان حتى يمكن استيعاب الزيادة فى عدد المرضى .

وترى فى البناء الأصلى الفروع الآتية :

الطابق الأول : فحص المعدة وفحص القلب بالرسام الكهربائى وكذلك التمثيل الغذائى .

الطابق الثانى : الأرشيف وحفظ المستندات ومكتب الاستعلامات والاستقبال .

الطابق الثالث : الفحص بالأشعة ومكاتب الجراحين .

« الرابع : فحص الأسنان وفحص العظام .

« الخامس : فحص الأطفال وكذلك قسم فحص الأمعاء وقسم التشريح .

الطابق السادس : قسم الأذن والأنف والحنجرة . وأقسام الروماتيزم وجراحة التجميل .

الطابق السابع : أمراض النساء وأمراض الجلد .

« الثامن : قسم التشخيص العام .

« ٩ — ١٠ — ١١ : قسم التشخيص العام .

« الثالث عشر : مخزن .

« الرابع عشر : غرفة الاجتماع التذكارية .

« الخامس عشر : اجتماع الأساتذة والقائمين بشئون المؤسسة .

« السادس والسابع عشر : قسم الغدد الصماء .

أما الملحق ففيه الأقسام الآتية :

الطابق الأول : المعامل الاكلينيكية والخدمة العامة والأجزخانة وكذلك قسم استلام عينات البول الصباحية .

الطابق الثانى : الإدارة والاستقبال والموظفون ثم التسجيل والاستراحة للمرضى .

الطابق الثالث : معامل أكلينيكية .

« الرابع : لوحة التليفونات ومعامل الكيمياء الحيوية .

الطابق الخامس : البكتريولجيا (علم الجراثيم) .

« السادس : بقية المعامل .

وأظن أن أحسن طريقة لشرح كيفية الفحص أن أخبرك عما « حدث » لى يوما بيوم :

فى الساعة الثامنة من صباح الجمعة ١٩ ديسمبر قصدت إلى المكتب ١١ شمال أى المكتب الواقع فى الجهة الشمالية من الطابق الحادى عشر وهناك وجدت مظروفا معداً لى مكتوب عليه الآتى :

مايو كلينيك — روتشستر (ولاية مينيسوتا)

إن نمرتك المسجلة هى ٩٩٩ — ٨٩٥ — ١

وعليك كتابة هذه النمرة بجانب اسمك كلما خاطبت الكلينيك مستقبلا .

واسمك المسجل عندنا هو :

١٢ — ١٩ — ٥٢

(ويلاحظ أنهم فى أمريكا يكتبون الشهر ثم اليوم ثم السنة)

زكى خالد طبيب

هيلوبوليس — القاهرة — مصر

المكتب ١١ شمال — الطريق الحادى عشر

أطباؤك الاستشاريون هم :

ه . ر . هارتمان — ه . ف . وير

وكذلك :

مورلك بست

جامبل　　　كومفورت　　　ثم هريزنجا

جروس　　　ووليجر　　　وبارتولومى

فولك　　　كين

وبعد جلوسى برهة فى صالة الانتظار طلبت إلى غرفة الفحص حيث حضر أحد الأطباء وبعد كتابة إسمى وعمرى وتاريخى المرضى فحصنى فحصاً باطنياً دقيقاً وكتب ما وجده وبعدها حضر آخر وأعاد الفحص ثم خرجت إلى قاعة الانتظار . وبعد نصف ساعة تمت استشارتهم وسلمونى عدة مظروفات مكتوب على كل منها الفحص المطلوب عمله وطريقة التحضير له ويوم وساعة القيام به ، هكذا :

١ — يوم الجمعة (نفس اليوم) الساعة ١٢½ تعداد كريات الدم البيضاء .

الساعة ٢ مساء عمل أشعة على سلسلة الظهر (وكنت قد طلبتها لأرى حالة الكسر الذى حدث لى سنة ١٩٤٦ نتيجة سقوطى من على حصان) .

الساعة ٣ رسام القلب الكهربائى .

وأنت ما عليك فى كل حالة إلا أن تذهب إلى الطابق والمكتب المكتوب على كل ظرف وتقدمه للموظفين فتجدهم فى انتظارك ويتم كل شىء فى يسر وسهولة وبسرعة عجيبة .

٢ — يوم السبت ٢٠ ديسمبر : الساعة ٦ صباحا أخذ عينة بول الصباح فى وعاء (من الورق المقوى) .

(ا) وضعه فى الدولاب الخاص الموجود « بالمبنى الملحق » Annexe ثم أذهب إلى درج ٣ لآخذ البول الباقى (إن وجد) بالقسطرة .

(ب) وأقصد قسم الأشعة لأخذ أربع صور للجهاز البولى اثنتين قبل الحقنة الوريدية واثنتين بعدها .

(حـ) بعدها ذهبت إلى قسم الدم حيث أخذت عينات لتقدير البولينا والسكر والواسرمان فى الدم .

(ى) بعدها قصدت درج ف غرفة ١٥٣ حيث أعطونى جرعة من الملح الانجليزى حركت الأمعاء سريعا فأخذوا العينات لفحصها .

وبذا انتهى اليوم وكنت فى أشد التعب .

٣ — الاثنين ١٢/٢٢

(١) جرعة أخرى من الملح لإعادة فحص محتويات الأمعاء .

(٢) درج ٦ حيث فحص الدكتور براون الأنف وطلب عمل أشعة على الجيوب الأنفية وتم ذلك سريعاً وأرسلوا له النتيجة السلبية بعد ١٥ دقيقة فقط .

(٣) قابلت دكتور جونسون مدير المؤسسة لأنه كان غائباً يوم وصولى .

(٤) بعد الظهر قابلت الدكتور تومسون الشهير فى المجارى البولية (والمعروف بمصر) وبحث معى نتائج فحص بولى وجهازه وأشعته .

(٥) فى المساء تناولت عشاء خفيفاً جداً (حسب الأمر) ثم ابتلعت ستة أقراص من مادة خاصة لفحص الكبد (كيس الصفراء) .

٤ — الثلاثاء ١٢/٢٣

(١) الساعة ٦ صباحاً حقنة شرجية بالماء ثم ذهبت إلى قسم ٣ لعمل الصورة الأولى على كيس الصفراء .

(٢) قصدت قسم العيون لفحص قاع العين وعصب المقـــلة والشبكية ثم قياس النظر .

(٣) الساعة ١٠ صباحاً الأشعة الثانية على الصفراء وفى منتصف الساعة الأولى كوباً من الدواء تبعتها الأشعة الثالثة .

ورغماً عن شدة إجهادى فقد قابلت الدكتور الن Allen أخصائى الضغط ومعه آخرون وبحثنا هذا الموضوع وكذا موضوع مرض البول السكرى وفى المساء بدلا من تناول عشاء شهياً يعوض علىّ ما لاقيته قضت التعليمات بتناول ٦٠ جراماً من زيت الخروع استعداداً للغد .

٥ — الأربعاء ١٢/٢٤

أى صباح هذا وقد سهرت الليل بطوله من جراء زيت الخروع مغصه وإسهاله !! نهايته ذهبت الساعة ٧ صباحاً حيث قابلت الدكتور جود Good الذى أعطانى حقنة شرجية من البزموت ثم فحص القولون باليد وبعدها أخذ ثلاث صور بالأشعة فى أوضاع مختلفة ثم تكرم فأخبرنى أنى يمكننى أن أستريح فى غرفتى بالفندق حيث أخذت حماماً ساخناً واسترخيت حتى كانت الساعة الثانية عشر ظهراً فقابلت طبيبى الأول الدكتور بارتلومى لبحث النتائج التى توصلوا إليها وقد سررت جداً لمـا علمت بالنتائج الطيبة للفحص إلا أنى أبديت رغبتى فى مقابلة أخصائى القلب وعمل رسام كهربائى مطول إمعاناً فى التأكد وسيتم ذلك بعد غد (نظراً لحلول عيد الميلاد غداً) .

٦ — الجمعة ١٢/٢٦

عمل أشعة على المعدة لاستبعاد أى اضطراب ثم رسم مطول للقلب وكانت كل النتائج عظيمة .

وفى المساء أقمت حفلة عشاء لأصدقائى الأقربين بفندق وقالت السيدة التى رأست المائدة « لنشرب نخب صحتك الجيدة جداً » . فالحمد لله

التحويل للمستشفيات

إذا دلت الفحوص والبحوث على أن الشخص مريض بمرض باطنى أو جراحى فإنه يحول إلى المستشفى الخاص ولن أصف لك هذه المستشفيات فهى كغيرها غير أنى أذكر لك أنهامستقله تماماً عن المعهد (الكلينيك) من حيث ماليتها وإدارتها فهناك شبه شركة تدير المستشفيات وكذلك الفنادق التى ينزل بها رواد مدينة روتشستر بل إن الأدوار العليا لبعض الفنادق تستعمل ملاحق للمستشفيات لقضاء فترات النقاهة . غير أن الأطباء المعالجين فى هذه المستشفيات هم نفس أطباء الكلينيك من الأساتذة على وجه الخصوص .

ولا بد أن أنوه هنا بمعهد كورى The Curie Institute المخصص للعلاج بالكهرباء والأشعة والراديوم . وكذلك « بمطبخ التغذية » Diet Kitchen وهو شبه فندق تتناول فيه الطعام الخاص بك شخصياً والموصوف لك من طبيبك وخصوصاً فى حالات مرض السكر والضغط وما إليها . وبذلك لا يستدعى الأمر تقييد المريض بوجوده داخل مستشفى . وقد ظهر أن هذه الطريقة أجدى فى الشفاء السريع .

لم أصف لك حتى الآن شيئا من النشاط الطبى العالى الذى شاهدته فى روتشستر مع أنى شاهدت الكثير ولما كنت أخشى أن أطيل عليك فسأكتفى بوصف شيئين فقط .

الأول : عملية استئصال البروستاتا : شاهدت الدكتور كوك يقوم بها على طريقة زميله الاستاذ تومسن . وهى طريقة إزالة الغدة قطعة قطعة عن طريق مجرى البول بواسطة آلة تشبه المنظار المثانى وآلة تفتيت حصاة المثانة

المعروفة بمصر . وتزال الغدة بأجمعها أو يزال الجزء المريض حسب الحالة . والشفاء سريع جداً نظراً لعدم وجود جرح خارجي وفى العادة لا يتعدى الأسبوع أو عشرة أيام .

الثانى : كنت قد التقيت بالاستاذ جيرالد لوف Dr. Gerald Love جراح المخ الشهير فى اليوم الثانى من وصولى وفى منزل أحد الأصدقاء وقد تدرج الحديث بنا إلى عملية قطع ألياف المخ Lobotomy فأخبرنى بالنتائج الطبية الحاسمة السريعة التى يصلون إليها مع أنى أعلم أنها ليست كذلك فى التجارب التى عملت بمصر . ولذلك طلبت منه أن يهيىء لى فرصة مشاهدة العملية بنفسى وعليه قابلنى مساعده الدكتور دودج Dodge يوم ٢٦ / ١٢ وذهبنا عقب الغذاء إلى مستشفى الولاية للأمراض العقلية .

وهناك التقينا بمديره الدكتور ماجنوس بيترسون Magnus Peterson وطبيب مصرى يدرس علم التخدير هناك وتمت العملية فى الغرفة الكبرى واستغرقت حوالى الساعة والشىء الذى لفت نظرى وأظنه من العوامل الهامة فى نجاح العملية كان الإنسجام التام بين الطبيب الباطنى (ماجنوس) والجراح دودج إذكان الأول يرشد الثانى إلى اتجاهات المشرط حسب المقاييس المرسومة على صورة الأشعة المأخوذة للدماغ ثم هم يبذلون جهداً خاصاً فى اختيار الحالات لتقرير صلاحيتها للعملية من عدمه فوق العناية قبل العملية وأثناءها وكذلك بعدها . وقد رأيت نفس هذه المريضة تتناول أفطارها بشهية صباح اليوم التالى للعملية . كما أنهم أخبرونى أن نسبة النجاح هى ٤٩ ٪ وباقى الحالات تتحسن كثيراً . وقابلت « إحدى العمليات » تقوم بوظيفة سكرتيرة فى المكتب من تلقى الرسائل والرد عليها وحفظها الخ .

الطقس

طقس روتشستر بارد جداً فالثلوج تبدأ فى التساقط ابتداء من نوفمبر وتستمر هكذا حتى شهر أبريل وتنخفض الحرارة إلى ١٠ أو ٢٠ أو ٣٠ درجة فهرنهيت تحت الصفر ومع أن المنظر ــ منظر الأشجار والمنازل والجبال أبيض جميل وخصوصاً فى الليالى القمرية إلا أن البرد يضايق كثيراً (خصوصاً أمثالنا) وأنى لأذكر أن المستر كومندو أخذنا ليلة لنتعشى فى مطعم هيببيل Hubbel Restaurant خارج المدينة وتصادف أن كان أحد ألواح السيارة الزجاجية مكسوراً فكدنا نموت من القر والذى خفف عنا البرد زيارتنا لهذا المنزل العتيق الذى يرجع تاريخه إلى عام ١٨٥٧ إذ كان المحطة التى يقف فيها حملة البريد يروون القصص عن قطاع الطريق والأوغاد ولم يكن حول المنزل مساكن فى ذلك الحين فكان يستعمل مسكناً ومعبداً أو ملجأ للقاصدين شرقاً أو الذاهبين غرباً . وقد انتهى هذا العهد الآن وأصبح المكان مقصوراً على تقديم الطعام وإن كنت تحس وأنت جالس هناك كأنك تعيش فى تاريخ وحوادث القرن الماضى .

ومثال آخر على البرودة : توجد بحيره فى حدود المدينة يتجمد ماؤها طوال الشتاء ، ذهبنا إليها لمشاهدة البط البرى (الممنوع صيده) ونسيت قفازاى فكادت أصابعى تقع أثناء تصوير البط والبحيرة . وأنت ترى الأطفال فى كل مكان يركبون الزحافات خصوصاً وأن أغلب الشوارع السكنية على مرتفعات ومنخفضات .

هذه الجماعة الظريفة

ذكرت لك سابقاً كم يجمع هؤلاء السادة العلماء بين التواضع واللطف

فوق علو كعبهم فى فنون الطب ولا غرو فى ذلك فإنهم اختاروا هذه البقعة النائية حباً فى العلم والبحث مضحين بالكسب المادى الوفير لو أنهم كانوا فى مدينة أخرى كبيرة . ولم يمض على إلا أيام ثلاث حتى شعرت كأنى أصبحت واحداً منهم فكنت أدعى كل ليلة تقريباً إلى منزل هذا أو ذاك وهم دائمو لاجتماع مع بعضهم البعض فى أمسيات بريئة . وهناك مناسبة خاصة لابد لى من ذكرها : ذلك إنى دعيت ذات مساء إلى منزل الدكتور الأستاذ « كندال كوربن » Dr. Kendal Corben مدير الكلينيك وهناك التقيت بالأساتذة « لوف » جراح المخ « وهلمهولتز » أستاذ الأمراض ودكتور « بوتشر » أستاذ القلب وغيرهم وبعد العشاء ذهبنا جميعاً إلى الكنيسة العامة (للتوحيد) The Unitarian Church فى الشارع الثالث وكان ذلك مساء ٢١ ديسمبر وهى عجيبة وينضم إليها أغلب أطباء روتشستر وما دخلت حتى راعنى أن أجد خريطة القطر المصرى فى كل مكان وصور مصرية قديمة ولما سألت عن السر قيل لى إن هذه الكنيسة تمثل رأياً جديداً فى المسيحية وهو أن السيد المسيح « معلم عظيم » وليس إبن الرب ثم هم ينادون بالوحدانية وسبب وجود صور مصر أن « اخناتون » كان أول من نادى بالوحدانية إذ عبد الشمس على أنها الآله الأوحد .

وبعد الصلاة والغناء قدموا لنا القهوة والمرطبات ثم شاهدنا فيلماً قصيراً مضحكا لتسلية الأطفال الحاضرين .

ربما تسألنى ماذا يحصل للمرضى المساكين فى هذه البقعة الباردة النائية ؟ إذن فاعلم أن الفنادق الكبيرة جميعها متصلة ببعضها وبالكلينيك وبالملاحق بواسطة ممرات تحت الأرض Subways فيمكنك الانتقال من مكان إلى

مكان دون الخروج إلى الشوارع بل يمكنك الإقامة أى مدة دون أن تخرج إلى العراء أبداً .

أما السادة الأطباء فعندما يحل شهر مارس يكونون قد « شبعوا » من البرد والثلوج فيتناوبون الاجازات إلى الجهات الجنوبية الدافئة لتعويض أجسامهم ما فقدته من دفء .

معهد البحرية للأبحاث الطبية

The Naval Research Institute (Bathesda)

لما كنت فى واشنجتون وقابلت صديق دكتور روبرت فيليبس — الذى كان مديراً لوحدة أبحاث البحرية الملحقة بمستشفى حميات العباسية بمصر ألح علىّ أن أزور معهد أبحاث البحرية الطبى لأطلع على عملهم الرائع كذلك أزور معهد الأبحاث الأهلى المجاور له والذى يماثل معامل الصحة بمصر .

الفكرة

وفكرة إنشاء هذا المعهد جاءت من أن الأبحاث العلمية وتطبيقها أساسيان للدفاع الوطنى. والحروب تعتمد الآن على الآلات وعلى الإنسان معاً ويجب أن تناسب الآلات الرجال الذين سوف يستخدمونها وكما أننا نسعى دائماً لتحسين هذه الآلات وجعلها فى حالة طيبة فكذلك الإنسان يجب أن نحتفظ به سليما وأن نحفظه من الأمراض والإصابات ونعالجه إذا أصيب بشىء منها .

وقد وجد أن البحرية لها مشاكلها الخاصة لا فى مسائل القتال والمعيشة فى البحار فحسب بل فى العديد من المشاكل التى تنشأ من هذا التلاحق السريع فى ابتكار وسائل الدمار والقتال البحرى ومن هذا نرى أن هناك مسائل عاجلة متتابعة تتطلب الحل السريع كما أن هناك مجال للبحث الهادىء طويل الأمد .

ومجال البحث فى هذا المعهد يشمل جميع مسائل وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) والعلوم الطبية ولكن جزء من سبعة أجزاء من كل المجهود

تراه مركزاً فى دراسة المسائل البيولوجية الطبية (أى فى دراسة الجسم فى حال الصحة) ونصفه فى تأثير العوامل المجاورة والمحيطة بنا (مثل الضغط العالى تحت الماء والضغط الواطى فى الأجواء) بينما الخمس فقط خاص ببحث الحالة المرضية لجسم الإنسان .

ولذا نرى أن الشخص السليم هو مركز كل الأبحاث إذ عليه يدرس تأثير الضغط والسموم المختلفة والإشعاع الذرى . . . إلى آخر الطريق . كل ذلك مع تركيز الاهتمام بالعوامل الخاصة بالبحرية والبحار .

وقد أعجبت بصفة خاصة ببنك الأنسجة والعظام حيث تعالج الأنسجة بالبنسلين والاستربتوميسين منعاً للجراثيم وبعدها « تجمد » تجميداً تاماً وتحفظ فى أنابيب مختومة وقد رأيت عظاماً وشرايين وقطعاً من الجلد ... الخ وعند اللزوم تفتح الأنبوبة ويضاف إلى النسيج محلول الملح الفسيولوجى فيصبح معداً للاستعمال فى معالجة الجراحات المختلفة .

ويشتغل فى المعهد ٧٠ عالماً وثلاثمائة مساعد وقد تباحثنا فى عدة مسائل طبية بروح علمية ووجدت بعضهم مشتغلا بدراسة مشكلة البلهارسيا ومقاومتها .

وقد تكرم مديره الكابتن كيلاردن Captain Killarden فدعانا للغذاء فى النادى البحرى حيث أخذت لنا صورة فوتوغرافية تذكارية .

مؤسسة جورج ويليم هوبر

George William Hooper Institute
San Francisco (California)

ما قابلت إنساناً فى سان فرانسيسكو وعلم أنى بكتريولوجى إلا وسألنى هل قابلت الأستاذ كارل ماير Professor Karl Meyer إذ هو شيخ البكتريولوجيين وسيدهم جميعاً . وقد كان حضرته فى إنتظارى يوم زرته فى الثالث عشر من شهر يناير وإنى لأشعر بالغبطة بل بالشرف الكبير أنى قابلت هذا العالم العلامة وهو يشتغل الآن بأبحاث الفيروس Virus diseases وله آراء قيمة كما أنه يعتقد أن الأبحاث التى تقوم بها معامل ليدرلى (بنيويورك) سوف تأتى أكلها فى تحضير فاكسين يقى من مرض شلل الأطفال . والرجل واسع النظرة عميق التفكير قضيت معه ساعات طوال نجول فى ميادين الباتولوجيا والبكتريولوجيا والوبائيات والصحة العامة والاجتماعيات كما أخبرنى بزيارته للهند وشرح لى مشاكلها وبعضها يشبه مشاكلنا الصحية .

ثم تكرم ودعانى لزيارة المعهد فطفنا بمعامله ولما وصلنا لبيت حيوانات التجارب أخذ يذكر لى فصائل النسانيس فقلت : لا عليك من هذا يا أستاذ فإنى أعرفها . قال : من أين لك بمعرفتها ؟ أجبت إنى سبق أن قمت بأبحاث مقارنة عن جراثيم البروسيلوس Brucillosis (فى الإنسان والحيوان) فى مصر وفى انجلترا ودرست جراثيمها المختلفة وكان ذلك منذ سنين طويلة — فتوقف الرجل وقال: هل أنت خالد المصرى؟ قلت نعم فقال كيف لم أعرفك من المبدأ ؟أجبت شكراً للقرود التى عرفتنا ببعضنا وضحكنا سوياً . ثم قال لى أنه قام بأبحاث عن البروسيلوس (Brucillosis) بعدى وكان ينقل عن أبحاثى ويذكر إسمى فى أبحاثه .

وقد تكرم فأخذت لنا صورة تذكارية وزاد فى تلطفه بأن أهدانى مجموعة أبحاثه وكتب عليها : اعترافاً بأبحاثه الأصلية على البروسيلوس أقدم هذه الأبحاث للدكتور خالد المصرى .

In recognition of his basic work on Brucillosis I dedicate these papers to Dr. Khaled of Egypt.

وقد غمرتنى سعادة لا توصف بلقاء هذا الرجل العظيم فى سان فرانسيسكو وبأنى ، وجدت نفسى .

وقد أشار على بزيارة معهد الأمراض الوبائية فى « اتلانتا » فأخبرته أنه ضمن برنامجى .

معهد الأمراض الوبائية

بمدينة أتلانتا

Communicable Diseases Center (Atlanta, Georgia)
C. D. C.

وهو من أشهر معاهد الولايات المتحدة العلمية . وسأقتصر على ذكر أهم ما شاهدته .

قسم الطفيليات

١ – الدسنطاريا الأميبية – وجد أن ١٠ – ٢٠ ٪ من سكان الولايات المتحدة مصابون بها والنسبة مرتفعة فى الجنوب بقدر ما هى منخفضة فى الشمال . كما وجد أن طفيلة أميبيا واحدة كفيلة بتوالدها أن تحدث المرض .

كما أن هناك تجربة جديدة لإنتاج مصل مضاد لكل نوع من أنواع الأميبيا – ثم يضاف للمصل مادة فلوريسين (fluorescin) (ويزال الزائد من المادة) وبعدها وجد أننا إذا أضفنا هذا المصل المضاد (الملون) إلى أنواع كثيرة من الأميبيا فإن النوع الخاص فقط هو الذى يصبح فلوريسى (على نظرية الانتيجين – الانتيبودى – أى اتحاد الجسم ومضاده) أما الأنواع الباقية فتبقى كما هى بدون تلوين .

ويمكن تطبيق هذه الطريقة على الميكروبات . والبحث لا يزال فى مبدئه .

٢ — يستعملون هنا طرقاً مصلية عديدة لتشخيص الزهرى والاعتقاد السائد أن المرض آخذ فى النقصان ولا تزيد نسبة الاصابة عن ٣ ٪ من مجموع السكان وهم لا يعتقدون أن التريبونيما باليدا Treponema pallida (جرثومة الزهرى) قد تناقصت شدتها (سمومها) (على الأقل فى حيوانات التجارب) وإنما يعزى التناقص فى شدة الأدوار الثانوية والثلاثية للمرض لارتفاع منسوب المناعة عند الناس .

٣ — كان هناك فى ولاية جورجيا (وقت زيارتى) وباء صغير للدفتيريا بين الأطفال الذين سبق تطعيمهم والرأى السائد أن الاتجاه الأخير نحو تنقية الطعم حتى يصبح محتوياً على الاكسوتوكسين (السم الخارجى) فقط وبذلك تكون الحقنة غير مؤلمة — هذا الاتجاه خاطىء ويحسن أن يحتوى الطعم على جزء بكتيرى أيضاً Endotoxin .

٤ — أرانى المستر بورش مدير قسم الدعاية بالمعهد فيلماً عن حياة الفأر العادى استغرق إخراجه عامين كاملين إذ كان لابد أن تتعود الفيران على الضوء الشديد وأصوات الكاميرا — الخ . . . والفيلم يبين بصورة واضحة كل أدوار الحياة من غذاء وعادات وحياة تناسلية كما تبين حيل الفيران فى الحصول على الطعام وكذلك ترى الحروب والكراهية والغيرة والحيل فى اكتساب ود الأنثى تماماً كما يفعل الآدميون .

٥ — بعد الغذاء زرت « هوليوود الصغيرة » أى قسم عمل الأفلام الطبية والصحية الدقيقة والتى أصبحت شهيرة فى كل أنحاء العالم فى الدعاية والتعليم الطبى وقد اتفقت معهم على إرسال بعضها لى بعنوانى بمصر .

المعهد الصحى

The National Health Institute
(Washington, D.C.)

زرت هذا المعهد العظيم مع صديق الدكتور فيليبس فى الأسبوع الأول من وجودى فى واشنجتن وهو واحد من عدة معاهد تتبع الإدارة الصحية المركزية وتراها متناثرة فى شتى أنحاء المملكة — وهذا المعهد موجود فى ضاحية بيثيسدا بماريلندا Bethesda (Maryland) خارج واشنجتون وهو مخصص للبكتريولوجيا . وله مثيل فى كثير من الولايات . وبعض هذه المعاهد أنشئت لتهتم بنواحى خاصة من الطب فهناك معهد دراسة السرطان ومعهد أمراض المفاصل ومعهد الأمراض العقلية والصحة العقلية ومعهد أمراض القلب ومعهد التغذية ومعهد الأمراض العصبية ومعهد دراسة العمى والعميان . الخ . .

وكما قلت فإن المعهد الصحى بماريلاند مخصص للبكتريولوجيا ولا يقتصر على الأمراض الوبائية الحادة والمزمنة فحسب بل تتبعه وحدة إكلينيكية وهم يهتمون بدراسة (كيف يقوم الجسم الإنسانى بوظائفه فى حالتى الصحة والمرض) .

وعلاوة على ذلك فهم معنيون بدراسة الجراثيم من حيث طرق انتشارها وطرق مقاومتها وسوف تكون المعلومات التى يحصلون عليها ذات فائدة عظمى فى مسائل الدفاع الوطنى لو قدر يوماً من الأيام أن يحدث ما أصبح يسمى « الحرب البيولوجية » أو « حرب الميكروبات » فلابد من الاستعداد بدراسة ما هى الجراثيم التى تصلح لذلك وكيف تنتشر ثم ما هى طرق مقاومتها والوقاية منها .

ولم تطل زيارتنا للمعهد لأن معظم الأطباء كانوا قد سافروا لحضور مؤتمر طب المناطق الحارة فى مدينة أتلانتا .

* * *

مصحة المخدرات فى ليكسنجتون

The Drug Addiction Sanatorium
Lexington (Kentucky)

وهذه يمكن أن تعد إحدى معاهد الصحة وهى مخصصة فقط لمعالجة مدمنى المخدرات وأظنها الوحيدة من نوعها فى أى مكان .

ولكن الشىء الذى حيرنى أنى وجدت الأبواب مغلقة وعليها حراس فلم أعرف هل هى أبواب لسجن أم لمستشفى كما أنه كان لى اعتراض آخر وهو أنهم يقبلون فيها المحكوم عليهم وكذا المتطوعين للعلاج . ثم أنت ترى مرضى من كل الأعمار كما أن قسم النساء موجود فى نفس البقعة وإن كان منفصلا عن الرجال (طبعاً) . ولما سألت عن السبب فى كل هذا الخلط قيل لى إنها بنيت فى الأصل للمحكوم عليهم فى جرائم تعاطى المخدرات ولكن لما تقدم لها مدمنون متطوعون لم يكن فى الإمكان رفض طلبهم العلاج .

وقد أدى بحث أسباب الإدمان إلى أن الدافع الأصلى له هو عدم القدرة على الصمود لمشاكل الحياة إما بسبب ضعف الشخصية وإما لأن الشخص غير حاذق فى صناعته وبذلك لا يتكسب منها ما يقوم بأوده فيهرب من هذه المواقف المحرجة بتعاطى المخدرات .

ولذا تراهم لا يكتفون بعلاج الإدمان فحسب بل يعلمون الشخص صناعة تكفل له العيش الرغد ومجابهة الحياة ولا يعنى هذا بالضرورة صناعته

الأصلية إذ كثيراً ما يتبين أنه غير صالح لها وأن الأوفق أن يتعلم صناعة أخرى تتفق ومواهبه . والصناعات الموجودة هى الزراعة ومنتجات الألبان ثم إصلاح السيارات وحياكة الملابس وصناعة الراديو وكذلك فن التمريض .

ويوجد بالمصحة ١٤٠٠ مريض وأهم المخدرات هو الكوكايين والميروانا Mirjuahna (وتشبه الحشيش) ، ويعالجون حالات الكوكايين بالتقليل التدريجى منعاً لحدوث عوارض شديدة فى حالة المنع البات أما الميروانا فالأحسن منعها منعاً باتاً ويبقى المريض تحت العلاج ١٣٥ يوماً على الأقل ولكن للمتطوع أن ينقطع عن العلاج وقتما يشاء ويغادر المكان . وهذا أيضاً من نقط الضعف فى النظام بل من المزعجات ولكن كيف يمكنك إجبار « متطوع » على البقاء رغم أنفه .

وقد مضى على المصحة الآن نحو ٢٨ عاماً وتبلغ الميزانية السنوية الحالية نحو ثلاثة ملايين دولار .

وقد تناقشت طويلا مع الدكتور تشابمان Dr. Chapmann مدير المصحة فى « فلسفة المكان » ووجدته شخصاً متنوراً جداً واسع الأفق يتقبل النقد بروح سمحة وهو يوافق على أن نظام المصحة أبعد ما يكون وافياً بالغرض الذى أنشئت من أجله إذ أنه وجد أن نحو خمسين فى المائة ممن يخرجون بعد إتمام علاجهم يرجعون مرة ثانية بل ثالثة ورابعة . وللأسف لا توجد إحصائيات دقيقة يمكن التعويل عليها إذ كثيراً ما نفقد أثر هؤلاء الذين خرجوا ولذلك فلا أظن أن النتائج تبرر صرف هذه الميزانية الضخمة . وربما كانت النقطة المنيرة الوحيدة فى كل هذا أن مجرد رجوع المتطوعين للمصحة للمعالجة مرة أخرى يدل على أنهم يقدرون الفائدة التى يحصلون عليها من هذا العلاج .

بعض العجائب الطبية

Some Medical Curiosities.

سوف أحدثك فى هذا الباب عن بعض الغرائب الطبية التى شاهدتها .

* * *

علاج ضيق صمام أذين القلب جراحيا

Surgical Treatment of Mitral Stenosis

إذا أصيب طفل بالحمى الروماتزمية فى سنيه الأولى من الحياة فأغلب الظن أن يتأثر قلبه من ذلك ويحدث هذا التأثر من عاملين أولهما أن الغشاء المبطن لصمامات القلب هو المكان المختار لجرثومة الروماتزم وثانيهما أنه من الصعب إجبار طفل صغير على الراحة الكاملة وعدم الحركة طوال مدة المرض . ويستتبع ذلك أن يحدث التهاب فى صمامات القلب قد لا يحسها المريض الصغير فى سنينه الأولى ولكن عند ما يصل إلى درجة البلوغ ويشتد ساعده وتكثر حركته ينيخ القلب ولا يقدر على الصمود للمجهود الجديد فيصبح الشاب عليلا ثم تزداد العلة شدة حتى يصاب بالعجز التام الذى يقعده عن كل نشاط . فإذا بحثت قلبه وجدت أن الالتهاب أحدث ضيقاً فى صمامات القلب وبخاصة فى صمامات الأذين . وعلاج هذه الحالة هو علاج مؤقت فى معظم الحالات خصوصاً إذا لم تستدرك الإصابة إلا بعد استفحالها .

ومنذ عشرين سنة أو تزيد اتجه التفكير إلى ما إذا كان فى الإمكان علاج هذه الحالات جراحياً فجرت محاولات فردية هنا وهناك ولكن غالبية الجراحين كانت (وما زالت) تخشى التعرض لهذا العضو الحيوى بل الحيوى

جداً (وهو القلب) بمشرط الجراحة — ولكنى فى سان فرنسيسكو شاهدت الصدر يفتح والقلب يكشف ثم يفتح والصمامات توسع ويعيش بعدها المريض كأسعد ما يكون وكأنه لم يكن يشكو شيئاً من قبل .

وقد تفضل صديقى الدكتور فرانك جربودى Dr. Frank Gerbode' أستاذ الجراحة بكلية طب ستانفورد (كاليفورنيا) بدعوتى لأرى عمليته فى تصحيح صمامات القلب . والعادة أن الصمام الذى يتسع (فى حالة الصحة) لدخول ثلاثة أصابع يضيق نتيجة للمرض حتى ليتعذر ولوج البنصر منه .

ويتم اختيار الحالات حسب الأعراض الاكلينيكية ولكن عند الشك يحسن إدخال قسطرة خاصة إلى القلب عن طريق وريد الذراع مع تبين طريقها بواسطة الحاجز الفلوريسين Fluorescent Screen' ولا داعى للجوء للجراحة فى حالات الضيق البسيط التى يمكن لقلب المريض أن يعوض نقصه بالعلاج الطبى العادى مع شىء من الاحتراس أما إذا ظهرت عوارض ازدياد العلة مثل السعال أو اللهث (صعوبة التنفس) أو ضيق الصدر أو الألم أو نفث الدم فالعملية واجبة كما أن ظهور علامات هبوط القلب أو ازدياد الضغط أو كبر حجم الكبد أو رشح الساقين — ظهور هذه العوارض تجعل العملية على شىء كثير من الخطورة لا من حيث نجاحها فقط بل من حيث القيام بها بتاتاً .

ولذلك يمكن تلخيص المقال فى أن أحسن الظروف للجراحة هى للمرضى الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين والذين يشكون من علامات متوسطة (أى ليست شديدة) لضيق الصمام وخاصة إذا لم يكن هناك ترجيع Regurgitation .

وإذا أعد المريض إعداداً حسناً للعملية بعمل الأبحاث المعملية وإصلاح ما يحتاج للتقويم ، ثم إذا أحسن اختيار التخدير فالغالب أن تكون العملية ناجحة .

والعملية تتلخص فى فتح الصدر ثم فتح التامر وهو الكيس المحيط Pericardium ثم فتح القلب نفسه وبعدها يدخل الجراح أصبعه ويمزق بالقلب الألياف المحدثة للضيق (ولا يقطعها بالمشرط) وقد يجد الجراح أن هذه الألياف قد تحجرت مع مضى الزمن وهنا تكون النتيجة مشكوكا فيها . أما الدورة الدموية فيقوم بها — طوال العملية — القلب الصناعى (الميكانيكى) وهو جهاز عجيب تجد وصفه فى مكان آخر . ثم إن رسام القلب الكهربائى يكون مشتغلا طوال العملية ليرصد حركة القلب وضرباته .

إن من المناظر العجيبة أن ترى القلب الآدمى هكذا خارج الجسم يفتحه الجراح ويتلاعب به لا من الخارج فقط بل من الداخل أيضاً مع أنه منذ سنين قليلة كان من المعجزات أن يفتح الصدر ويدلك القلب من الخارج فقط (فى حالات التوقف) .

وقد قام الدكتور جربودى بعمل ٤٤ عملية مات منهم خمسة بعد العملية وأمكن ملاحظة ١٤ حالة لمدة تزيد عن أربعة شهور فوجد ٩ منهم تحسنوا تحسناً ملحوظاً من كل الوجوه وتحسن اثنان تحسناً جزئياً أما الثلاثة الباقون فلم يظهر عليهم تحسن يذكر . ويجب ملاحظة أن هذه مجموعة مرضى فى مستشفى تعليمى عام أى أن الاختيار كان غير موجود تقريباً .

أما إذا دقق فى اختيار المريض وتمت العملية فى زمن مبكر من المرض فإنه يعود إنساناً طبيعياً من كل الوجوه بل يخلق خلقاً جديداً فهل تعجب

إذن عندما تسمع ولداً يقول لرفاقه « إن والدى ركب قلباً جديداً فى المستشفى فى الشهر الماضى » ! !

تخدير القَطَن

Caudal Anaesthesia and Painless Child-birth

الولادة بدون ألم

تستعمل طريقة التخدير أو على الأصح « التسكين » فى الجراحات التى تكون فوق مستوى السرة سواء كانت جراحة عامة أو فى المجارى البولية أو العظام أو أعضاء التناسل عند السيدات وتبعاً لذلك يدخل تحت هذا الباب الولادة .

وقد أرانى الدكتور شاوب John Schauppe فى مستشفى ستانفورد طريقته فى الولادة بدون ألم . وهى تتخلص فى إدخال إبرة سميكة فى النخاع الشوكى عند منطقة القطن ثم تدخل قسطرة رفيعة جدا من المطاط من داخل الابرة التى ترفع بعد ذلك . ومن هذه القسطرة يدخل المسكن (أو المخدر) تقطيرا نقطة نقطة . والدواء الذى يستعمل هو كلوريد الميتيكين Metichin Chloride وتنتجه معامل ليلى Lilli Laboratories . وبهذه الطريقة لا تشعر الوالدة بأى ألم أو « طلق » بل رأيت السيدة التى كانت تلد حينذاك تضحك وتتكلم مع زوجها ومعنا جميعاً بينما رأس المولود أخذت تطل علينا . وهذا يدلك على نعمة هذه الطريقة للوالدات خصوصاً عند الولادة الأولى التى عادة ما تكون طويلة المدى مصحوبة بآلام شديدة .

* * *

جهاز الكوبالت فى معالجة السرطان

The Cobalt Lamp for treatment of Cancer

فى أثناء أحاديثنا الطبية أخبرنى الدكتور شاوب عن لمبة الكوبالت الموجودة فى مستشفى جنوب كاليفورنيا (بلوس انجيليس) South California Institute and Hospital والتى أصبحت تستعمل فى معالجة السرطان وخاصة سرطان الرئة الذى يتحدى كل علاج وإن استعمال لمبة الكوبالت أتت بنتائج تفوق تلك التى يمكن الحصول عليها من أشعة إكس . ولم يكتف بذلك بل تلفن من سان فرنسيسكو لمدير المعهد الدكتور كوستلو Dr. Costello يخبره بزيارتى المقبلة .

والجهاز كبير يزن نحو طنين وهو معقد ويحتاج لمهارة خاصة فى تشغيله وعلى الطبيب أن يكون فى غرفة أخرى يشغله منها منعاً للتعرض للاشعاع الذرى القوى .

وقيل لى أنه مفيد جداً خاصة فى حالات الثنائيات metastasis وتدل الإحصائيات على فائدته المؤكدة . وبهذه المناسبة أخبرنى الدكتور كوستيلو أن سرطان الرئة أكثر انتشاراً فى الرجال منه فى النساء بنسبة ٦ إلى ١ ولكنه استدرك قائلا « لو زرتنا بعد خمس سنوات لوجدت هذه النسبة وقد انعكست إلى ضدها نظراً لإقبال النساء فى الوقت الحاضر على التدخين بنهم وإدمان .

٭ ٭ ٭

جراحة المخ
Brain Surgery

سبق أن أخبرتك عن عملية شق المخ فى معالجة حالات الانفصام الذاتى الشيزوفرينيا Schizophrenia (انقسام الشخصية) كما شاهدتها فى المايوكلينيك .

ولكنى سأصف لك شيئاً أعجب من ذلك وذلك هو التداخل الجراحى لإزالة أورام المخ Brain Tumours وكان ذلك دائماً أمراً عسيراً لأن غالبية هذه الأورام لا تعطى أعراضاً عصبية واضحة تبين موقعها فى المخ بالضبط ولذلك لم يكن فى الإمكان فتح الجمجمة إلا إذا أصبح فى الإمكان قبل ذلك رسم خريطة للمخ تبين مكان الورم على وجه الدقة .

وإذا فتحت الجمجمة وكان الورم تحت غشاء آلام القاسية Dura Mater مباشرة لكانت العملية سهلة أما إذا كان أعمق من ذلك فالأمر على أشده صعوبة وتعقيداً إذ أننا ربما لا نجد بروزاً فى السطح الخارجى للمخ وحتى إذا عملنا قطاعاً استطلاعياً بعرض المخ فقد لا يمكننا تمييز مدى الورم عند ما يكون نسيجه مشابهاً لنسيج المخ السليم نفسه .

إزاء كل هذه الصعوبات كان لابد من إيجاد طريقة لرسم خريطة للمخ تبين الأجزاء المريضة وموضعها بالضبط وقد تمت أبحاث كثيرة فى هذا الصدد وخصوصاً فى جامعة هارفارد Harvard فوجد أن الفوسفور ٣٢ والبوتاسيوم ٤٢ المحمل بالإشعاع الذرى لو حقن مقدار خاص منه فى الوريد ثم أدخل مسبر جيجر Geiger Miller Probe فى المخ وقيست الذبذبات الناتجة من ذلك لأمكن بمقارنة عدد هذه الذبذبات فى أبعاد مختلفة أن نتأكد

من مكان ومدى أورام المخ مهما كانت عميقة . ثم يمكن استعمال هذه الطريقة فى أخذ « عينة حية » (Biopsy specimen) وإرسالها للمعمل للفحص متأكدين أننا أرسلنا عينة مأخوذة من الورم نفسه — ثم يمكننا أن نقرر هل هناك أية فائدة من التدخل الجراحى وما هو مداه وما نتيجته .

وقد دلت الإحصائيات على فائدة هذه الطريقة وأكد التشريح بعد الوفاة (فى الحالات الميئوس منها) صحة موضع الورم الذى أظهرته الآلة قبل الوفاة .

وقد شاهدت هذه الخرائط المدهشة أثناء زيارتى للمستشفى البحرى الموجود فى سان دييجو والذى بهرنى ما يقوم به فطاحل الأطباء فيه لا فى هذا القسم فحسب بل فى أقسام الصدر وعملياته وكذلك فى قسم جراحة التجميل التى يقومون فيها بمعجزات تزيل التشوهات بل تخلق أشخاصاً جدداً سماتهم تبز ما كانوا عليه من وسامة قبل الإصابة .

جراحة الأدرينال

The Adrenal Surgery

والأدرينال غدة صغيرة فوق الكلى وظيفتها كوظيفة ضابط المرور المكلف بتنظيم اتجاهات التفكير والانفعالات ولم يكن هناك أى مجال للتفكير فى إزالتها جراحياً لولا أن عندنا الآن هورمون الكورتيزون (هذا الدواء العجيب) الذى يقوم مقام الغدة — فأصبح من الممكن إزالتها بدون أى خطورة على الحياة .

وقد عقد مؤتمر جراحي فى فندق هنرى هدسن Henry Hudson Hotel بنيويورك أثناء إقامتى به وكان خاصاً بهذه العملية . وتسأل لماذا تزال فأقول لك إنها محاولة لمعالجة مرض الانفصام العقلى (شيزوفرينيا) . والسبب الذى أوحى بالعملية ما لوحظ من أن المرضى المصابين بالروماتيزم أو الربو أو غيرها من الأمراض المتصلة بإفرازات الأدرينال تتغير أشكال أعراضهم إذا أصيبوا بالانفصام .

وقد قيل فى المؤتمر إن نتائج العملية بعد مضى أربعة عشر شهراً على بعض الحالات مشجعة وتدعو للاستمرار فيها أملا فى الحصول على علاج حاسم لهذا المرض البغيض الذى يختار الشباب مجالا للاصابة .

عملية فصل التوائم بشيكاغو

The Illinois Twins and Their Separation

كنت فى مدينة شيكاغو وقت إجراء عملية فصل التوائم السيامية فى مستشفى جامعة الينوا Illinois University Hospital وكانت كل المدينة بل كل أمريكا تتحدث وتترقب هذه العملية الفذة التى لم يسبق إجراؤها والتى سجلت انتصاراً كاملا للطب الأمريكى .

والتوأمان رودنى برودى وروجر برودى (Rodney & Roger Brodie) ولدا ملتصقين فى الرأس أى أن أرجلهما فى اتجاهين مضادين وكان عمرهما حينذاك (وقت العملية) خمسة عشر شهراً وتطل من أعينهم الحيوية .

ولم يحاول أحد فصل توأمين متصلين فى الدماغ إلا مرتين أحدهما فى البرازيل والأخرى فى تسمانيا Tasmania وكانت النتيجة سيئة فى الحالتين .

وقد أدخلا المستشفى فى نوفمبر سنة ١٩٥٢ وكانت الاختبارات العصبية مشجعة إذ ظهر أن جهازيهما العصبى منفصلان تماماً فحركاتهما ونومهما وتفاعلاتهما مستقلة عن بعضهما وظهر باختبارات عديدة وأجهزة كثيرة أن لكل منهما مخ مستقل ولكن العقبة الكبرى كانت فى أنهما يشتركان فى الوعاء الدموى الكبير الذى يغذى المخ بالدم .

وكانا وقت دخولها يتدحرجان ويحاولان الجلوس والنطق بكلمة دادا (بابا) نيت نيت (أسعدت مساء) وكذلك تقليد حركات الممرضات .

وفى يوم ٢٢ نوفمبر عملت أول محاولة للفصل ولكن العملية الكبرى تمت يوم ١٧ ديسمبر ولا داعى لتفصيلها ولكنى أذكر الآتى :

١ ــ رودنى وروجر عملت لها ١٢ عملية .

٢ ــ عملية يوم ١٧ ديسمبر استغرقت ١٢ ساعة وأربعين دقيقة فى غرفة العمليات وربما كانت هذه أطول عملية فى التاريخ على أطفال وقد أدهش هذا الأمر الجميع حتى شيوخ الجراحة .

٣ ــ استلزم الأمر إعطاء التوأمين ٦ لتر دم (فى الوريد) مع أن كمية الدم الموجودة فى جسم كل طفل هى لتر واحد .

٤ ــ راح روجر فى غيبوبة (نتيجة صدمة عصبية) عدة مرات وبخاصة عند الفصل الختامى مما استلزم عمل تنفس صناعى له بالإضافة إلى منبهات الدورة الدموية .

٥ ــ أعطى رودنى الوريد الكبير إذ هو الأقوى فى الاثنين أى فرصته فى الحياة أكبر .

٦ — أشرف على العمليات مجموعة كبيرة من الأطباء مكونة من ١٧ أستاذاً بينهم الجراح وإخصائى الأعصاب والدورة الدموية — الخ . . . وجراح التجميل وأطباء التخدير وكانوا يتناوبون العمل فى نوبات متتابعة متلاحقة .

ومن المدهش أن روجر وليس لديه وريد لترجيع الدم عاش مدة شهر كامل وإن كان قد أمضى معظم الوقت فى غيبوبة .

وقد تركت شيكاغو ولكن كان لا بد لى أن أتتبع أخبارهما ولما حل أبريل كان رودنى قد مر من دور الخطورة وأصبح طفلا مرحاً وإن كان لا يزال ضعيفاً .

أما تكاليف المستشفى والأشعة والأطباء والمعامل والممرضات فباهظة جداً ولكن لم يفكر أحد من هؤلاء السادة فى أتعاب بل كان كل همهم أن يتموا هذا العمل العظيم : إنه حقاً لفخر عظيم وانتصار للطب .

قطع غيار لجسم الانسان
Spare Parts for The Human Body

حقاً ليس فى الإمكان أن نجد بديلا للإنسان ، ولكن الأطباء والعلماء لم يثنهم ذلك عن ابتكار أجزاء تحل محل الأجزاء التى نفقدها وكنا نعجب — والآن بطل عجبنا — عندما نسمع بعمل ذراع ورجل بدل تلك التى فقدناها .

وأنت تعلم الشىء الكثير عن « بنك الدم » حيث يختزن « الدم الآدمى » محتفظاً بكل صفاته إلى وقت الحاجة إليه فى الاسعاف وكم أنقذت هذه أرواحاً كان مقدراً لها أن تذهب هباء . ثم إنك لا شك قرأت وسمعت عن « بنك العيون » حيث تؤخذ قرنية ميت تستعيض بها قرنية غير مبصرة (غير شفافة) وتعود للمريض نعمة الإبصار . وهناك الآن بنك العظام والشرايين والجلد والأوعية يحتفظ بها جاهزة لأى زمن قد يبلغ السنوات الثلاث حتى تمس الحاجة إليها . وقد شاهدت ضابطاً بمستشفى سان دييجو البحرى حاول إنقاذ أحد رجاله من الحريق فأصيب هو إصابات بالغة تركت آثاراً وتشوهات على وجهه جعلته يشبه الوحش الفظيع بما حمله على أن يتوارى عن الأعين . أما الآن فقد استبدل بكل جلد وجهه ورقبته جلداً معاراً وعادت له وسامته أحسن مما كانت .

القلب الصناعى The Mechanical Heart

(١) وقد ذكرت لك القلب الصناعى أثناء شرحى لعملية فتح القلب وتوسيع صماماته . وهو جهاز ميكانيكى معقد تمر منه الدورة الدموية ذهاباً وجيئة ويقوم بدور القلب الآدمى تماماً من تحويل الدم وتنقيته وتغذيته

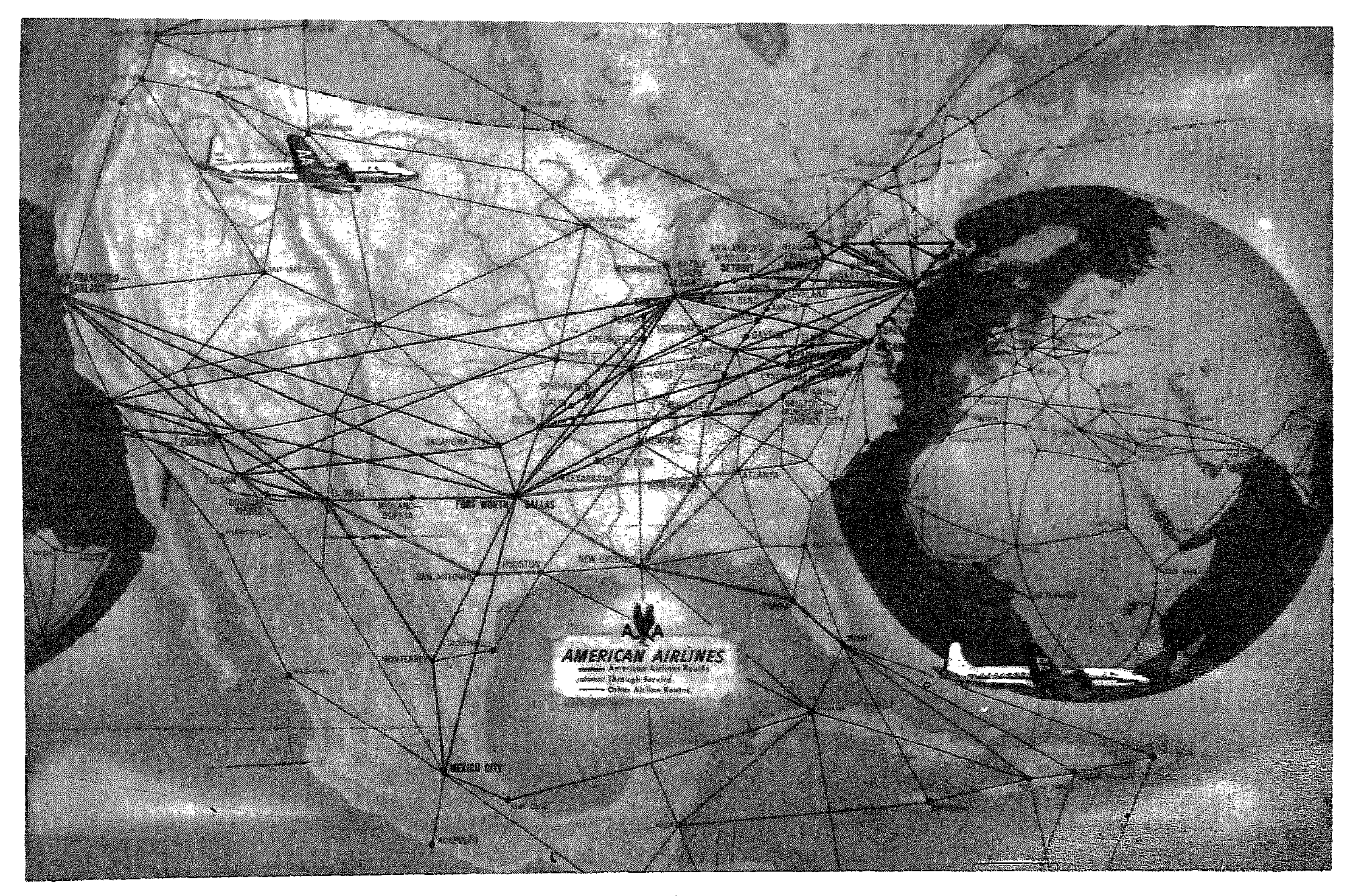
بالأوكسيجين ولولاه لما تيسر القيام بعملية فتح القلب التى تستغرق وقتاً طويلا .

(٢) ثم هناك الرئة الحديدية The Iron Lung وهى الجهاز الذى اشتهر فى جميع أنحاء العالم والذى بواسطته يمكن إنقاذ حياة المريض بشلل الأطفال إذا امتد الشلل إلى عضلات الصدر . ولولاها لوقف التنفس ومات المريض اختناقاً . ويوضع المريض داخلها وبتشغيل الجهاز ينفتح القفص الصدرى ويغلق بحركة انتظامية شبيهة بالتنفس الطبيعى والجهاز الذى شاهدته فى مستشفى كاليفورنيا كبير ومعقد ولكنى قرأت أن هناك أجهزة أخرى مبسطة تقوم بنفس الغرض — كما قرأنا أن الهيئة الصحية الدولية أهدت مصر أحد هذه الأجهزة لاستعمالها عند الحاجة .

(٣) وهناك « الكلى الصناعية » وهى أيضاً جهاز عجيب يقوم بدور الكلى الحية فى تنقية الدم من السموم العالقة به وإخراجها من الجسم كما يفعل الجهاز البولى وهى تستعمل فى حالات انحباس البول (عدم إفرازه) كما يحدث عقب بعض العمليات الجراحية وكما يحدث فى اضطرابات الكلى الحادة .

(٤) وهناك مثل آخر لقطع الغيار فقد فقدت شابة المرىء (Oesophagus) عقب حادثة ولكن أمكن عمل مرىء من البلاستيك بدلا منه وقد قالت عن نفسها : « كنت أشعر بالألم والمضايقة لاضطرارى لتناول الطعام بواسطة أنبوبة مرسلة إلى معدتى . أما الآن فإننى آكل بالطريق الطبيعى كغيرى تماما » .

(٥) ثم هناك « ميكى » الصغير الذى ولد قبل موعده وكان يزن رطلين فقط ومثل هذا الطفل كان يموت عادة ولكنهم وضعوه فى جهاز اسمه حاجز الهواء (Air-Lock) ، وهو يشبه الرئة الحديدية فى تصميمه فأمكنه التنفس والأكل وستدهش عند ما تعلم أن وزنه قفز فى ستة شهور إلى ١٦ رطلا .



خريطة تبين طرق الطيـارات التى سلكها المؤلف فى رحلته الى امريكا والبلاد التى زارها

طائرة الخطوط الجوية العالمية T.W.A

[illegible]

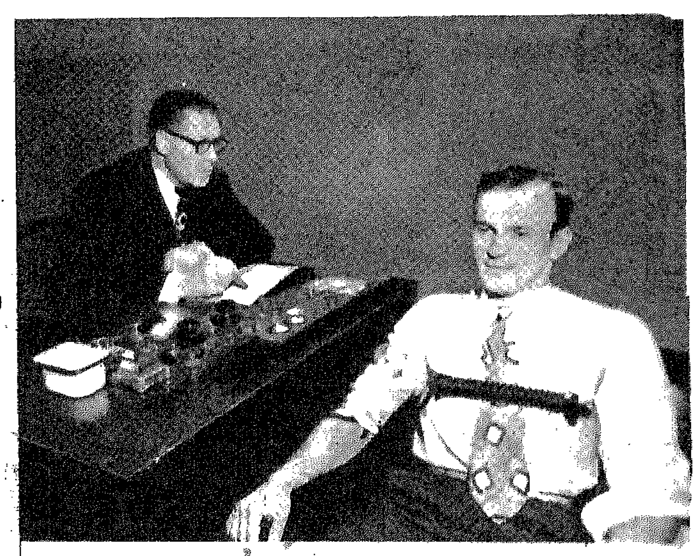
Associated — Research — Incorporated

MODEL 302

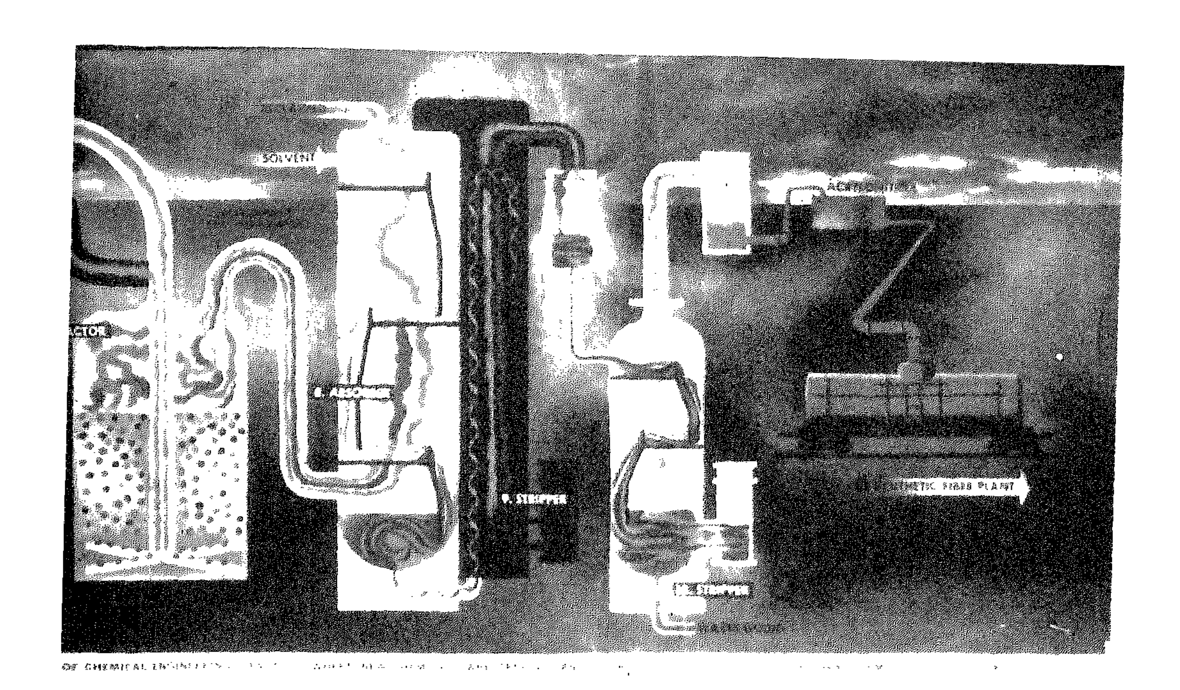
A practical scientific instrument to aid in interrogation, and for the study of psychological and physiological reactions.

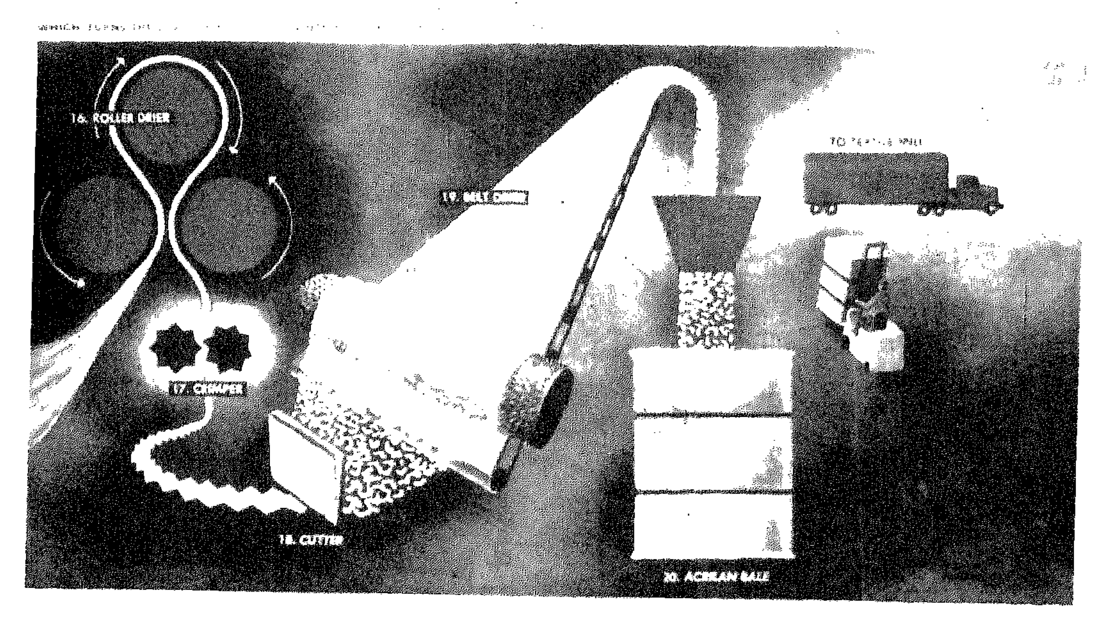
جهاز « اظهـــار الكذب » ويرى
الرسم البيانى الذى يسجله

صورة تبين طريقة وضع السائل
والمسئول والجهاز اثناء الاستجواب

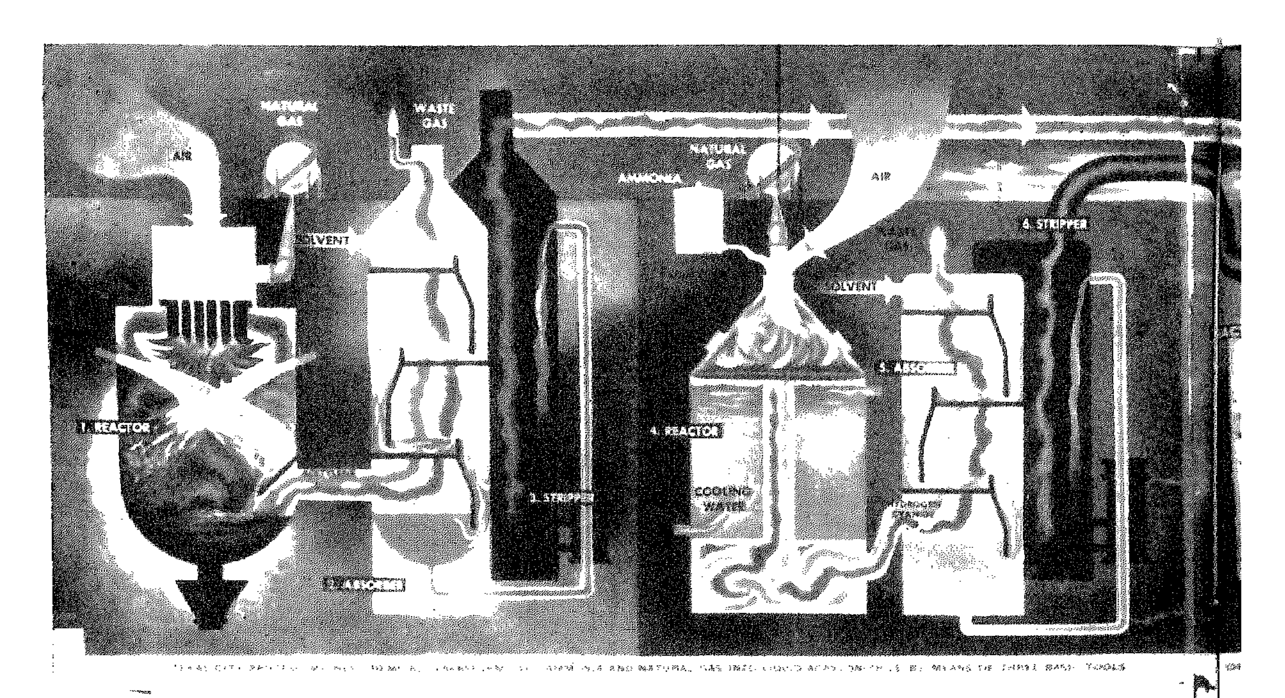


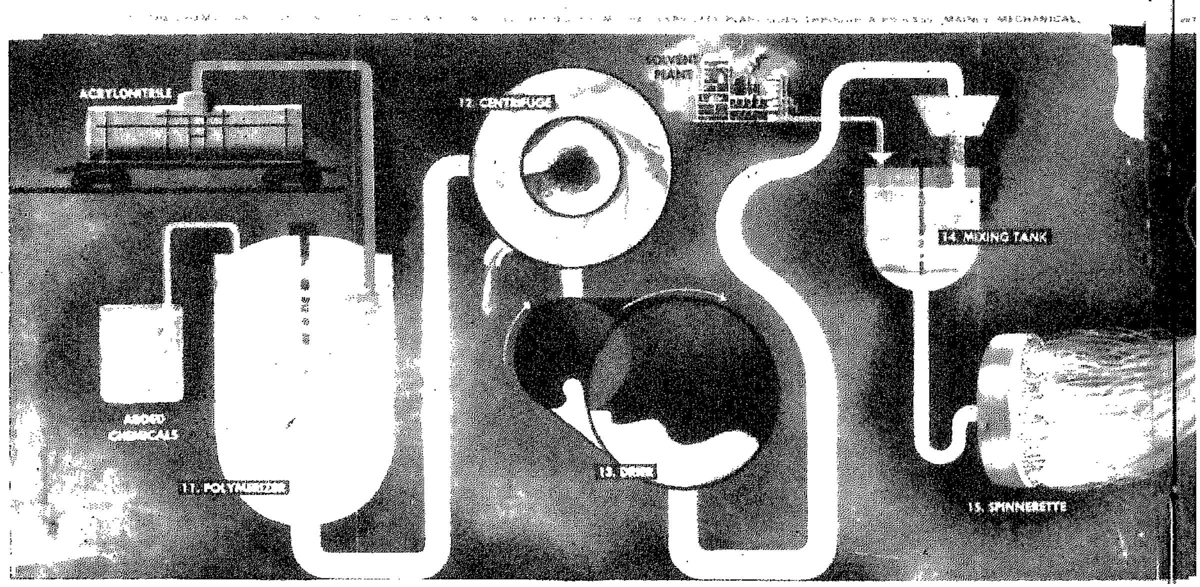
In ideal arrangement for deception tests. Note Polygraph mounted flush with top of table





رسم يوضح الخطوات الكيميا





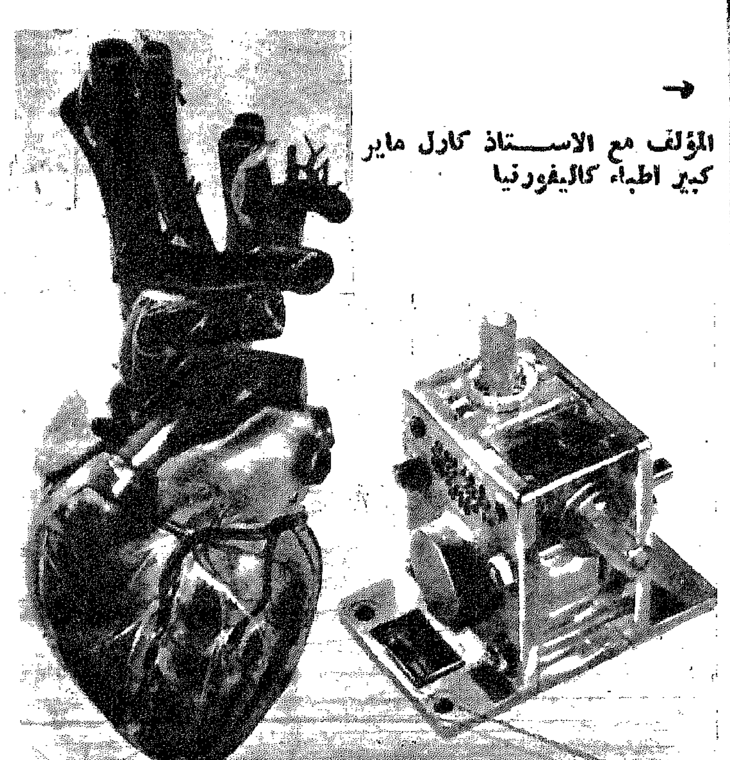
الى عمل « الاكريلان » وهو أحدث الخيوط الصناعية



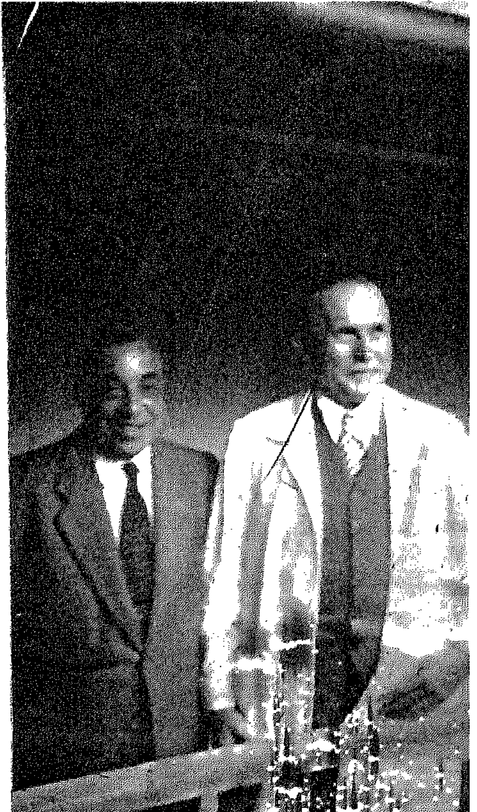
الطفلة ميكى ميلز كان وزنها عند ولادتها رطلين ونصف فقط ولكن
بفضل جهاز التنفس هذا عاشت وبلغت الوزن الطبيعى

طريقة استعمال القلب الصناعي ↑

القلبان الصناعي والطبيعي جنبا الى جنب ↓



المؤلف مع الاستاذ كارل ماير كبير اطباء كاليفورنيا →



التوأمان برودى ملتصقان فى الدماغ قبل فصلهما بمستشفى
جامعة شيكاغو وقد عاش احدهما ومات الآخر

جهاز الكلى الصناعية الذى انقذ حياة الكثيرين

(٦) وقد استعمل البلاستيك فى « تركيبات » طبية كثيرة فمثلا شاهدت فى مستشفى جامعة جورجتون Georgetown (بواشنجتن) فتاة كانت تشكو خللا (اتساعا) فى أحد صمامات قلبها فوضع فى هذا الصمام « بلف » بلاستيك على شكل الكرة وكيسها وأصبحت دورتها الدموية وصحتها طبيعية وأنت لو وضعت السماعة الطبية على قلبها لسمعت صوت التقاء قطعتى البلاستيك مع بعضهما ! !

(٧) أما جراحة التجميل فقد خطت خطوات واسعة لا تصدق فمثلا أمكن « عمل » أيدى وأصابع من تلك الأجزاء القليلة المتناثرة الباقية بعد الحادثة . وقد يحصل أحياناً أن يضطر الجراح لبتر الرجل فوق الركبة بكثير وفى هذه الحالة يصبح تركيب رجل صناعية من الصعوبة بمكان ولكن قد تمكن جراح فى مستشفى بروكلين (نيويورك) إلى « لصق » جزء من عظم الساق المبتور إلى عظم الفخذ وبذا أصبح طوله صالحاً للاستفادة من الرجل الصناعية ويشترط طبعاً فى هذه الحالة أن تكون العظام المزالة غير مريضة .

(٨) الاتجاه الحالى هو إلى الإستعاضة عن الأعضاء التالفة أو المريضة بأخرى سليمة من شخص مات حديثاً وفى خلال عام ١٩٥٢ أمكن القيام بتركيب « كلى » ثالثة لست أشخاص ومع أن الستة ماتوا فى النهاية إلا أن التجربة أثبتت أنه من الممكن أن الكلى الثالثة هذه تلتصق بالجسم وتشتغل لمدة ما — وكانت هذه المدة ١٠١ يوماً فى إحدى الحالات . وفى شهر فبراير قرأت تقريراً من باريس أن إحدى الوالدات تبرعت لابنها البالغ ستة عشر عاما بإحدى كليتيها لأنه ولد بكلية واحدة وهذه تمزقت أثر حادث ويقول التقرير أن حالة الولد حسنة .

ونحن لاندرى السبب فى أن الأعضاء الجدد (المزروعة) تقف

وظيفتها ثم تموت ولكن مجرد اشتغالها لمدة ما من الزمن — ولو لمدة محدودة — يدل على ضرورة مداومة البحث والمثابرة لاستكمال هذا الطريق الجراحى المثير . إننا لا يمكننا أن ندعى أننا سنتفوق على الطبيعة ولكن أليس من واجبنا أن نحاول تقليدها عند ما تتوقف عن آداء وظيفتها ؟؟

طرت إلى امريكا وفوقها كلها

ثم عدت طائراً

I flew to and over America and flew back

عند ما حان وقت سفرى إلى أمريكا كانت الوسيلة الطبيعية المختارة للسفر هى الطائرة وكان لذلك عدة أسباب أولها اشتياقى الملح لمشاهدة تلك البلاد واستطلاع مجاليها . وثانيها : منذا الذى يريد أن يقضى أسبوعين أو ثلاثة مربوطاً إلى سفينة بينما هنــاك متع شتى تنتظره فى الطرف الآخر من رحلته ؟ . أما عن الخطر فمن ذا الذى يهتم به ؟ لقد طرت إلى بريطانيا عام ١٩٥٠ — وكان هذا أول طيران بعيد لى — ووجدت الطائرة متعة وراحة ففيها تكييف للهواء وللضغط فوق أنى ولله الحمد لا يعترينى أى دوار فى الجو .

وعليه ركبت الطائرة الكونستليشن الكبيرة التابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية T.W.A. فى الساعة السادسة من صباح اليوم الثانى لشهر نوفمبر سنة ١٩٥٢ وشعر بالارتياح التام عندما حلقنا فى الجو قاصدين أثينا . وكانت هناك محال كثيرة خالية ولكن ما أن وصلنا روما حتى امتلأت المقاعد جميعاً وشعرنا بالازدحام . وكان خط سيرنا كالآتى : القاهرة — أثينا — روما — جنيف — باريس — شانون — المحيط الأطلسى — جاندار — بوسطن — نيويوك .

وبعد قيامنا من باريس تناولنا العشاء ثم استعد كل منا للنوم ولو أنه نوم متقطع خصوصاً عند ما يوقظونك فى الليل ليخبروك أننا وصلنا مطار جاندار مثلا . ومع ذلك كان جارى (مستر فرانكلين مور) يغط فى نومه

وفى الصباح قال لى إنه لم يستمتع بنوم هانىء عميق كما نام ليلته هذه .

ولم تخل الرحلة من الجانب المرح : فمثلا عند ما بدأت مرحلة قطع المحيط أخذت المضيفة الجميلة الظريفة تشرح لنا كيفية فتح ولبس واستعمال حزام العوم والنجاة لاستعماله فى حالة حدوث حادث للطيارة وسقوطها فى الماء (لا قدر الله) . وقد ضحكت من أعماق قلبى لهذه النكتة الضخمة إذ كيف ينتظرون من أحد أن يسبح فى المحيط وفى الليل وفى برد شهر نوفمبر حتى يأتى من يلتقطه من الماء ؟؟ هذا على فرض أنه وصل إلى مياه المحيط (جسما كاملا سليما) ولم يصل إليه قطعاً وأشلاء .

وقد أخبرت جارى بالقفشة المعروفة : ما هو الفرق بين حادث سيارة وحادث طيارة . الجواب : فى حادث السيارة : ها أنت ذا . أما فى حادث الطيارة : أين أنت . وسأذكرها بالانكليزية :

What is the difference between a motor and an aeroplane accident ? In a motor accident, here you are ; in an aeroplane accident : Where are you ?

* * *

وفى العشاء أعطونا كل أنواع الشراب حتى الشمبانيا ويمكنك أن تطلب منها ما تشاء . ربما كان ذلك ليجعلوك تنسى الخطر الماثل فى اجتياز المحيط ؟ ثم هناك المجلات الكثيرة وكذلك كتيبات توزع علينا بها كثير من المعلومات عن العالم والفوازير والنكت الخ وحتى الأطفال لهم كتب ولعب تلهيهم فى رحلتهم . الحق أن الشركة تبذل كل جهد فى راحتنا والترفيه عنا .

وقد وصلنا نيويورك بعد ٣٥ ساعة من قيامنا من القاهرة متأخرين سبع ساعات عن موعدنا وكنا فى حالة تعب بعد انقضاء كل هذا الوقت على

كرسى واحد لابسين ملابسنا وأحذيتنا ولم يخفف عنى إلا لطف وظرف رجال الجمرك الذين لم يفتحوا أى شنطة من عفشى مع أنهم فعلوا ذلك مع غيرى حتى مع الأمريكان وربما كان من أسباب هذا التسامح أنى قمت بدور المترجم بين موظف الجمرك وسيدة يونانية حضرت لزيارة ابنها فى فلوريدا ولا تعرف إلا اليونانية والفرنسية وكان هو يجهلهما !

فى هذا الجو القاتم والتعب من الرحلة الطويلة لم أجد أحداً بانتظارى ليدلنى عما أفعل بل وجدت تلغرافاً يقول « سافر إلى واشنجتون حيث حجزنا لك مكاناً فى فندق ناسيونال وإذا كان هناك ماتحب السؤال عنه فى نيويورك فتلفن نمرة كذا » . عند ذلك ثرت . فهأنذا أشعر بتعب شديد وقدماى تؤلمانى فوق شعورى بالحنين لمصر ولأولادى ويطلبون منى أن أواصل الطيران — قلت لا ! لا لا وكان هذا من حسن الحظ إذ أنى تمكنت فى اليوم التالى (٤ نوفمبر) من مشاهدة طريقة إعلان فرز أصوات انتخاب رئيس الجمهورية الأمريكية ومظاهرة الناس فى ميدان التيمز Times Square وهو منظر لا ينسى أبداً .

قبل أن أبدأ الرحلة كنت فكرت فى أن أقوم — ولو بجزء منها بالقطار أو حتى بالأوتوبيس — حتى يمكننى مشاهدة المناظر الطبيعية للبلاد . ولكن عند وصولى إلى هناك لمست الاتساع الشاسع للمملكة وشعرت أنه لا معنى لضياع الوقت الثمين فى القطارات خاصة وأننا فى فصل الشتاء والمناظر الطبيعية سوف تكون محدودة وهب أنك ركبت قطاراً فستطل من الشباك ساعة أو ساعتين ثم تشعر بالتعب والسأم وربما بالنعاس . ولذلك لم أركب القطار إلا بين واشنجتون ونيويورك لأتفرج على البولمان وركبت الأوتوبيس فى

الأمكنة المتقاربة . أما باقى الرحلة فكانت كلها بالطائرة . وهل تريد مثلا على ذلك :قطعنا المسافة بين مدينة « أوماها » فى مقاطعة نبراسكا وسان فرانسيسكو غرباً فى تسع ساعات والقطار يقطعها فى ٣٦ ساعة وكان قائد الطائرة ظريفاً فطار على ارتفاع منخفض وأخذ يشرح لنا مناظر جبال الروكى The Rockey Mountains والثلوج التى تغطيه والأودية والمغاور التى تجتازها خصوصاً Big Canyon وبذلك لم يفتنا شىء من المناظر وكسبنا وقتاً ثميناً .

وكل مدن الولايات المتحدة مرتبطة ببعضها البعض بواسطة الطيارات وفى أغلب الأحيان تجدهناك طائرة كل ساعة تقريباً وبذلك لا داعى للقلق إن فاتتك الطائرة التى تزمع أخذها فلن يؤخرك ذلك كثيراً وحتى البضائع ترسل عادة بالطائرات وإن كانت تتكلف أكثر . ويستعمل الطائرات ملايين وملايين الأمريكان والسياح . ولو حسبت مقادير المأكولات التى يجب إعدادها وغيرها من الخدمات وعدد الركاب والموظفين والعمال والمهندسين والطيارين الخ لعلمت ضخامة المأمورية الملقاة على عاتق شركات الطيران ولكنها تتعاون مع بعضها تعاوناً مدهشاً .

وقد طرت من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ثم عدت وبذلك جربت تقريباً كل الشركات وأشهرها .T.W.A

American Airlines, Delta, Braniff, Eastern, Trans-continental, United, Western.

وكلها كبيرها وصغيرها بها تكييف للهواء وللضغط .

ولكن أريحها وأحسنها طائرات دوجلاس ٦ D.C. 6 وهى تطير بمعدل ٣٠٠ ميل فى الساعة ومقاعدها متباعدة ومريحة جداً ويتولى قيادتها ثلاث رجال : القبطان والضابط الأول والضابط الثانى علاوة على مضيفتين .

ولأجل أن يكون الطاقم فى حالة طيبة وصالحين للعمل لا يشتغلون إلا مسافة محدودة فمثلا من لوس انجلوس إلى ميامى تغير الطقم فى دالاس ثم تغير مرة أخرى فى نيو أورليانز New Orleans .

وتتخذ احتياطات كبيرة لضمان سلامة الرحلة والركاب فهناك اتصال دائم بين مختلف الشركات لتبادل المعلومات منعاً للتصادم فى الجو كما أن الاتصال بالراديو مع المطارات يضمن وصول معلومات دقيقة مستمرة وهناك آلة فى الطائرة تضمن الهبوط سالماً فى وسط أى ضباب . وفوق كل ذلك هناك نحو ٧٠٠ محطة أرصاد موزعة فى مختلف الولايات المتحدة لتعطى الطيارين معلومات دقيقة طوال الأربع وعشرين ساعة . وكل طائرة يعد لها برنامج طيرانها قبل قيامها مبيناً فيه طريقة ومدى ارتفاعها وسرعتها ونقط اتصالاتها وكل هذه البيانات ترسل إلى مراقبة الطيارات التابعة للحكومة المركزية Federal Government ومهمة هذه المصلحة هى تنسيق طيران جميع الطائرات للشركات الجوية المختلفة .

الإستمتاع أثناء الطيران

عند ما تدخل الطائرة تقودك المضيفة إلى مقعدك المريح — بل المريح جداً — وعليه تجلس فى الوضع الذى يوافقك ثم تسترخى استرخاء تاماً وتأخذ فى القراءة أو الراحة وإذا احتجت لشىء — أى شىء — فما عليك إلا الضغط على الزر الموجود فى يد المقعد فتأتى لك المضيفة ملبية النداء مسارعة إلى إجابة مطالبك مهما كانت صعبة وهى تؤدى وظيفة سيدة البيت المضيافة (جداً) ولا تتذمر أبداً بل عندها دائماً كلمة لطيفة أو ابتسامة حلوة لكل منا

ولك أن تطلب ما تشاء من مأكل أو مشرب وترسل التلغرافات لأى مكان على سطح الأرض وتحجز مكانك للرحلة القادمة . والحق يقال إنك فى جلستك هذه لا تشعر بأنك معلق بين السماء والأرض بل تظن إنك جالس فى بهو فندق من الدرجة الأولى مكيف الهواء . ولهذا قال لى أصدقائى فى سان فرنسيسكو إنك لن تشعر بأنك تطير حقاً إلا إذا ركبت هيلوكوبتر . وتذكر يا صديق أنى فعلت ذلك وإنى أخبرتك بما شعرت به .

الأمـــــان

Safety.

لا شك أن الطيران أمان بل آمن سبل المواصلات جميعاً . هل تريد الدليل ؟ إذن فاسمع : يمكنك التأمين على حياتك فى أى رحلة طيران بمبلغ خمسة آلاف دولار إذا دفعت ربع دولار وبمبلغ عشرين ألف دولار إذا دفعت دولاراً واحداً أى أن الخطر هو بنسبة ١ إلى ٢٠٫٠٠٠ !! وفى كل مطار تجد ما يشبه الصندوق وعليه استمارة بوليصة تأمين تكتب عليها اسمك وعنوانك ونمرة الطيران والرحلة من أين إلى أين ثم أسماء الورثة (فى حالة الوفاة) ومبلغ التأمين وتضع الربع ريال ثم تدير يد الآلة فتختم البوليصة وبعد استخراجها من الصندوق ما عليك إلا إرسالها للشركة (بدون طوابع) وتصبح مؤمناً على حياتك بمبلغ ٥٠٠٠ دولار تدفع لورثتك إن حصل لك شىء . وقد وجدت أن نسبة الحوادث ضئيلة جداً فاستخسرت مبلغ التأمين ولم أستخرج بوليصة تأمين إلا بين لوس انجيلوس وسان دييجو (وهى أقصر رحلة قمت بها) وقد احتفظت بالبوليصة لأريها لأصدقائى فى مصر لا لأرسلها ، إذ لنفرض أنه حصل لى حادث فمن أين لورثتى بمصر !! أن يعلموا أنى أمنت

على حياتى لدى شركة كذا ويطالبون بالتعويض !! ولو أنى علمت فيما بعد أن الشركات فى مثل هذه الحوادث تقوم بالبحث عن الورثة .

ولكن يظهر أن المثل القائل « العادة تولد عدم المبالاة » (Familiarity breeds contempt) صحيح تماماً فكما أنى أصبحت لا أبالى بالميكروبات نظراً لأنى اشتغلت بها ومعها سنين طوالا دون أن تحدث لى عدوى منها (ولله الحمد) فكذلك كثرة استعمال الطائرات جعلتنى أظن أنها لا يمكن أن تضطرب أو تهتز حتى بها كانت رحلتى بين شتانوجا ونوكسفيل إذ كان الجو عاصفاً والمطر منهمراً فأخذت الطائرة تهتز اهتزازاً شديداً رغماً أن اسمها كان النسر الفضى (Silver Falcon) وعندها علمت أن الطيران قد يكون مزعجاً أحياناً .

وقد وصفت لك طائرات D.C. 6 ومتانتها وراحتها وقوتها ويؤسفنى أن أذكر أن نفس الطائرة التى أقلتنا من لوس انجلوس إلى ميامى كانت عائدة بعد ذلك بثلاث أسابيع تحمل ركاباً يقصدون نيو أورليانز لحضور حفلات Mardi Gras الشهيرة فسقطت بين تامبا Tampa ونيو أورليانز ولم ينج أحد من ركابها أو ملاحيها وقد أسفت أشد الأسف لأنى عرفتهم وعرفت المضيفتين شخصياً فى رحلتى السابقة . وقد جرت حادثة أخرى لطائرات شركة برانيف (وهى إحدى الشركات التى ركبت طائراتها) إذ كانوا يحتفلون بمرور خمسة وعشرين عاماً على الشركة دون أن تحدث لطائراتها حادثة واحدة . ولكن للأسف سقطت طائرة الاحتفال هذه ومات مستر برانيف Braniff نفسه وهو مدير الشركة ومؤسسها وأكبر مساهميها .

ولكن رغماً عن كل ذلك لا زلت أكرر أن الطيران آمن سبل المواصلات فإذا ظن الناس غير ذلك فالسبب هو أن البرق يحمل أنباء كوارث

الطيران ولا يحمل أنباء حوادث السيارات أو القطارات . ولا أدل على ذلك من أن أخبرك أنى بينما كنت طائراً بين نوكسفيل وشاتانوجا وجدت جريدة محلية تصدر فى المدينة الأولى على مقعدى فأخذتها لأتلهى بقراءتها وتصور أنى وجدت أنها كتبت عن حادث سقوط طائرة حربية مصرية فى طريق السويس ووفاة ٢٥ شخصاً وكان ذلك فى أوائل فبراير سنة ١٩٥٣ . وكان الشيء الوحيد الذى يضايقنى فى الطيران هو العفش ووزن العفش وأجر العفش الزائد. ويظهر أنى كنت دائماً أحمل أكثر من المقرر وهو ٦٠ رطلا فى الخارج و٤٠ رطلا داخل الولايات المتحدة .

وحتى فى بدء رحلتى من القاهرة اضطررت لدفع ١٥ جنيهاً أجرة زيادة العفش . ولذا كنت أرسل كثيراً من عفشى ومشترواتى إلى فندقى بواشنجتن لينتظرنى ولكنى لم أنفذ هذه الفكرة إلا بعد أن انكويت بغرامات كثيرة . ولا أدرى لماذا يدققون هكذا فإذا كانوا يريدون العدالة المطلقة فيجب أن يكون هناك وزن محدد للراكب وعفشه معاً .

* * *

وحتى تتم القصة أخبرك أنى عندما كنت فى ميامى وشاطئها ركبت « بالوناً » عليك أن تدفع أربع دولارات فتركبه لمدة ربع ساعة يطوف بك فى سماء المدينة والشاطىء وهو صغير وبطىء .

* * *

وها أنت ترى يا صديقى أنى ركبت الطائرة بل الطائرات والهيلوكوبتر والقطار والنفق والغواصة والبالون فماذا بقى ! شيء واحد « الطائرة النفاثة » Comet . قلت لنفسى لو ركبتها لما تطاول أحد فيما بعد فقال لى إنك لم تجرب الكومت فهو كذا وكذا .

وقد راودتنى فكرة ركوب الطائرة النفاثة فى صيف عام ١٩٥٠ حينما دعيت لزيارة شركة ماركونى Marconi للتفرج على جهاز رسام « المخ الكهربائى » (Electro-encephalogram) وكان بجوار مبنى الشركة مصانع دى هافيلاند للنفاثات فتفرجنا عليها ووددت لو أمكننى ركوبها .

ولذلك عند ما عدت إلى واشنجتون فى منتصف فبراير قصدت تواً إلى شركة الخطوط الجوية البريطانية B.O.A.C. وغيرت تذكرتى على شرط أن أركب الكومت من لندن إلى القاهرة ولم يكن هذا سهلا لأنهم يفضلون ركوب الرحلات الطويلة إلى جوهانسبرج مثلا .

وقد ركبت الاستراتو كروزر Stratocruiser من نيويورك فى الخامسة مساء يوم الجمعة وهو فخم جداً وله طابقان : الأول صالون وبار والأعلى للجلوس والنوم واسمه المونارك Monarch والمقاعد مريحة جداً والمأكل عظيم . أما الشراب فيسيل سيلا ويكفى أن أقول لك إن الشمبانيا كانت تصب من زجاجات ضخمة تشبه البراميل الصغيرة . وكان مفروضاً أن نصل لندن فى مدى إثنى عشر ساعة بدون توقف . ولكن بعد مضى سبع ساعات قيل لنا إننا عدنا ثانية إلى مطار جاندار — باللأسف — لنتزود بنزيناً إضافياً ولماذا ؟ لأننا ونحن فى وسط المحيط طلب إلينا العودة إلى أمريكا حيث إن هناك ضباباً كثيفاً يغطى جميع مطارات أوروبا حتى روما وقد تكدرت لذلك غاية الكدر . ولا أخفى عليك أيها القارىء أنى كنت لا أبالى ولا أخاف فى كل رحلاتى بأمريكا ولكن منذ أن غادرت واشنجتون فى طريق عودتى إلى مصر أحسست بشعور من الرهبة وأخذت أدعو الله أن أصل إلى الوطن لأسعد بلقاء عائلتى وأولادى وهذا يفسر تشاؤمى من رجوعنا بعد أن وصلنا إلى وسط المحيط .

نهايته وصلنا لندن ظهر اليوم التالى ووجدناها مغطاة بضباب كثيف أوقف البواخر فى عرض البحر وكان ذلك يوم السبت وفى يوم الاثنين كانت هناك طائرة كومت جديدة ماأن حاولت الارتفاع فىمطاركراتشى بالباكستان حتى فرقعت وهلكت وهلك معها الجميع . وفى صباح الأربعاء ٤ مارس سنة ١٩٥٣ ذهبت إلى الشركة لأسأل عن قيام الطائرة الكومت إذ خشيت أن الضباب قد يؤخر أو يمنع القيام . فقال لى الموظف : هل تريد تغيير رأيك وركوب طائرة عادية بدلا من النفاثة ؟ فأجبته : لا يا سيدى إننى قدرى ومصمم على ركوب الكوميت .

والكومت شكلها مرعب وتشبه الوحش الضخم بدون أجنحة ولكن طيرانها ممتع حقاً فهى تطير على ارتفاع أربعين ألف قدم وبسرعة خمسمائة ميل فى الساعة وليس بها اهتزازات قطعاً وكان مكانى فى الأمام (مقعد نمرة ٣) فلم أسمع إلا أضأل الأصوات ولكن هناك أصوات فى الخلف فهى ليست صامتة تماماً كما يقولون .

وبعد ساعتين اثنتين وصلنا روما حيث هبطنا وبقينا ساعة تناولنا فيها الشاى والمأكولات الخفيفة — ثم طرنا وفى ثلاث ساعات أخرى كنا فى القاهرة — أليس ذلك مدهشاً ! ؟

عند قيام وعند هبوط الكومت يصدر من الطائرة أصوات فظيعة وصفير هائل حتى أن زوجتى وأولادى وأصدقائى الذين كانوا فى مطار القاهرة الدولى ينتظروننا ظنوا أننا سنصطدم بالأرض ونهلك ! كلا لم يحدث لنا شىء سوى أننا استمتعنا بألذ وأطرف رحلة جوية .

شخصيات وأشخاص قابلتهم

Persons and Personalities

لن أحدثك فى هذا الباب عن الشخصيات والأشخاص الذين قابلتهم عن الطريق الرسمى الخاص بشؤون العمل أو الزيارات وإنما سأورد لك الناحية الإنسانية لبعض من قابلتهم وستجدنى مضطراً أن أخفى الإسم الحقيق لبعضهم إذ لم أستأذنهم فى نشر ما أحب أن أنشره عنهم : —

المس شنيدر Miss Schneider

أخبرتك فى فصل سابق انى عند ما وصلت نيويورك بعد طيران خمسة وثلاثين ساعة كنت متعباً جداً وساخطاً جداً خصوصاً عند ما تسلمت تلغرافاً يطلب منى مواصلة السفر إلى واشنجتن غير أن كاتب التلغراف طلب منى أن أتلفن نمرة چدسون ٢٠٠ — ٦ إن كنت أريد الاستعلام عن شىء وبذا كانت مس شنيدر هى أول أمريكية (فى أمريكا) كلمتها وشكوت لها حالى وثورتى وفى الحال شعرت أنها فهمت موقفى إذ قالت لى اعطنى نمرة التليفون الذى تتكلم منه فى المطار . وصدقنى ، بعد خمسة دقائق بالضبط ، ردت علىّ قائلة يمكنك البقاء فى نيويورك لأى مدة تشاؤها وقد حجزت لك غرفة رقم ١٤٦٦ فى فندق هنرى هدسن بالشارع رقم ٥٩ غرب ، خذ الليموزين (الأوتوبيس) من المطار ولا تأخذ تاكسى لأنه يكلفك كثيراً واسترح ثم احضر لمقابلتنا غداً فى أى وقت تشاء . ولما قابلتها فى اليوم التالى وجدتها مثال الكفاءة مع أنها صغيرة السن جداً . فمثلا عندما أزمعت زيارة سجن ولكيل Walkill Prison لم يعلم أحد فى واشنجتون كيف أصل إليه فليس هناك سكك حديدية ولكن

المس شنيدر تذكرت أنها دلت طبيباً هندياً منذ ثلاث سنوات وبحثت في دفاترها فوجدت أن شركة ديكسون للأوتوبيس تصل إلى هناك . ثم هى التى كانت تشير علىّ بأحسن المحال لشراء الفاكهة الكبيرة — الشليك الذى فى حجم البيضة والتفاح الذى تزن الواحدة ثلاث أرباع الرطل . وبهذه المناسبة هذه الفواكه ضخمة جدا ولكنها لا تحمل الطعم والنكهة التى تتناسب مع الحجم وهذا يذكرنى بما أخبرنى به المستر سام فى ضواحى كاليفورنيا من أن أباه الإيطالى كان دائماً يذكر لهم أن الفاكهة فى إيطاليا أقوى نكهة منها فى أمريكا وتشم رائحتها قبل أن تصل إلى المزرعة بمراحل والراجح عندى أن هذا ناشىء من كثرة استعمال المخصبات الكيماوية .

والمس شنيدر « نعمة » من السماء فى بلد متسع مثل نيويورك تحتاج فى أيامك الأولى لمن يرشدك إلى ما تعمل وأين تجد ما تطلب .

دكتور يوجين بين **Dr. Eugene Payne**

كان من حسن حظى أن قابلت هذا الطبيب العالمى فى معامل بارك ودافيس بمدينة ديترويت . وقد قضينا ساعات طويلة نبحث شتى المسائل الطبية التى تهمنا وهو ذو أفق واسع وخبرة طويلة من بحوثه وأسفاره ومما لفت نظرى أنه « يلف » سجائره بنفسه ولم أر ذلك فى أى شخص آخر بأمريكا وقد ذكرنى بأحد عمد قرى مصر . وقد قدم لى سيجارة ولكنى اعتذرت بأنى لا أدخن وقد عدت لمصر فى الأسبوع الأول من شهر مارس وفى الأسبوع التالى لم أصدق أذنى عندما سمعته يكلمنى بالتليفون ليخبرنى أنه وصل القاهرة وقد تغذينا سوياً فى جزيرة الشاى بحدائق حيوانات الجيزة حيث صورنا سوياً وهو يلبس الطربوش كما إنى أقمت له حفلة شاى بمنزلى بهليوبوليس

لأقابله بأصدقائنا المصريين والأمريكان وكنت أحب أن أرسمه لابساً الملابس البلدية ويلف سجائره ولكنه استعجل سفره إلى الباكستان .

عائلة المستر كومندو The Komenda Family

كتب صديق الدكتور بين إلى المستر كومندا مندوبهم فى روتشستر بأنى سوف أحضر لزيارة مؤسسة مايوكلينيك وأنتهز هذه الفرصة لفحص صحتى . وقد قدم لى حضرته عدة خدمات فى هذه الناحية . وهو أحد تسعة أخوة موزعين فى أنحاء الولايات المتحدة . وكان الوقت عيد الميلاد فطلب منى أن أشاركهم العيد وأكون « عائلتهم » وبذلك قمت بدور العم أودور بابانويل (Father X-mas) وله ثلاث أولاد أكبرهم وعمره ١٤ عاماً يحب الفلسفة ويرجو أن يصبح عالماً فلكياً أو مصرولوجياً متأثراً بذلك بمكتبة والده ولذا أهديته كتاباً فى علم الفلك وأهداه والده بندقية لتساعده فى الحراسة أثناء حفرياته والأوسط عمره إثنى عشر عاما وهو أميل للميكانيكيات ولذا أهديته صندوق آلات . ومع أن والده فى حالة مالية طيبة إلا أن يوم عيد الميلاد وجدته متكدراً ولما سألته عن السبب قال أنه لم يكن يعرف أن الجرائد سوف تصدر هذا الصباح وتبين لى أنه يوزع الجرائد صباحاً ومساء — قبل وبعد عودته من المدرسة — على الجيران ويكسب بضع دولارات شهرياً يضعها باسمه فى صندوق التوفير .

وقد قدمنى المستر كومندا لفطاحل المايوكلينيك وهم إلى جانب علمهم الغزير على قسط وافر من التواضع وحب الاجتماع ويجتمعون سوياً هنا وهناك فى منازلهم ويحضر كل منهم شيئاً من المأكولات والمشروبات معه بل أن بعضهم يحضر زكيبة ملأى بقطع الثلج للمشروبات وبهذا لا يسأمون

حياتهم فى هذه المدينة التى تبقى شوارعها مغطاه بالثلج من نوفمبر إلى أبريل من كل عام .

وفى مساء السبت . أى قبل مغادرتى روتشستر بيوم واحد أقيم مرقص كبير للسرة الأولى يشبه ما يقيمه الفنانون فى باريس « بوزار » Beaux-Arts وقد أسفت لأنى لم يكن معى لبس فرعونى تنكرى فى هـذه المناسبة وقد قضينا وقتـاً سعيداً مرحاً تلك الليلة . كان هناك شخصية الكولونيل بلمب (Colonel Blimp) الشهير وسقط شاربه أو على الأصح سرقناه منه . وكانت هناك المهرانا الهندية تدعى أنها تغازل السائح الأمريكى وامرأة الأخير تثور من جراء ذلك . ثم كان هناك الجراح بملابس غرفة العمليات وزوجته تلبس لبس الممرضة ولا ينقصهم إلا المشارط والمريض . ثم كانت هناك السيدة الثرية (جداً) « من تـكساس » ولبست ملابس غالية جداً ولو أنها تنكريه ولـكنها لم تنل أية جائزة فسبت ولعنت ذوق الحكام . ثم كانت هناك سيدة صغيرة إيطاليـة الأصل (متزوجة من أمريكى) دهشت لأنى من مصر ولا أتـــكلم الإيطالية ! ! واضطررت أن أوافقها على أن بلدها الأصلية « نابولى » أجمل من أى بلد فى أمريكا ! !

وقد استمرينا فى الأكل والشرب والضحك حتى الثالثة صباحا وخرجنا فوجدت القمر مكتملا يسطع على الثلج الذى غطى الشوارع والمنازل فكان منظراً خلابا لا ينسى ولـكنى شعرت بقشعريرة فقلت هذا برد شديد . بل شديد جداً فأجابوا كلا أنها دافئة بالنسبة لهذا الوقت من العام فدرجة الحرارة (أو البرودة) ٣٠° تحت الصفر فقط ! !

Cold ! ! No. It is rather Warm for this time of the year.

* * *

عندما تسمع اسم مدينة شيكاغو يقفز إلى الخيال أنها جنة اللصوص ومرتع السفاحين ونظن أن أهلها كلهم كذلك ومع هذا أؤكد لك أنى لقيت أروع الأمثلة الانسانية فى تلك المدينة .

وقد حدثتك عن التوأمين برودى (Brodie Twins) وعملية فصلهما ويسرنى أن أخبرك أن التوأم الذى عاش يتقدم سريعاً فى النمو وكذلك فى الشقاوة ومحاكاة الممرضات . . ومن النادر أن نجد مجموعة كبيرة كهذه من فطاحل الأطباء تجند نفسها لعملية عسيرة مشكوكة النتيجة كهذه . ليست الناحية المالية هى المهمة بل الناحية الإنسانية التى جعلتهم يقدمون على القيام بها .

* * *

سألنى سائق التاكسى الذى كان ينقلنى من فندق اليرتون Allerton Hotel إلى محطة الجراى لاين Gray Line Bus عن جنسيتى وأخذ يحدثنى عن أصدقائه الهنود ولما علم أنى مصرى كلمنى عن فاروق والانقلاب المصرى ثم أخبرنى أن له ثلاث أولاد يبذل فى تعليمهم كل مرتخص وغال ويسأل الله أن يصبحوا مثل آل توماس لا مثل آل جرين . وكان لا بد لى أن أسأله عن خبر هؤلاء وأولئك فقال إن مستر توماس سواق مثله وله ابن مهندس يشتغل فى كارولينا الجنوبية ولكنه يرسل لأبيه قسط المنزل الشهرى بانتظام مع أنه لا ينوى السكن فى شيكاغو ولكن الإبن يردد القول « إنه شىء جميل أن يعرف الإنسان أنه يمتلك منزلا لعائلته يمكنه العودة إليه يوم يحتاج إلى ذلك » .

أما إبن مستر جرين فقد تعلم الطب ولكنه بعد تخرجه تنكر لوالده وعائلته مع أنهم كادوا يستجدون المال ليتموا تعليمه وقد أصيب الوالد بخيبة أمل شديدة كادت تقضى عليه . فتشاور زملاؤه السواقين فى الأمر واستدعوا

الإبن بحجة إسعاف مريض ولما حضر أعطوه علقة ساخنة ردت إليه عقله وأرجعته إلى صوابه وإلى عائلته .

هناك مثل آخر قرأته فى جريدة (شيكاغو تريبيون) عن طبيب أسنان شاب كان يسكن مع زوجته وولديه فى منزل حماته . ثم أصيب بشلل الأطفال وأصبح عاجزاً تماماً . وبكل قسوة طلبت منهم الحماة أن يخرجوا من منزلها ولما علم الجيران بذلك اجتمعوا وفى يوم واحد اكتتبوا بما يكفى لشراء منزل جديد أهدوه للطبيب اعترافا بخدماته لهم عندما كان فى صحته .

* * *

وما دمنا بصدد سواق التاكسى فلأخبرك بأحدهم الذى قابلته فى واشنجتون . كنت أركب معه ملبياً دعوة شاى ولما اخترقنا شارع مساتشوستس Massachussettes Avenue وحاذينا الجامع الجديد أخذ يحدثنى عنه وعما به من فن وما صرف عليه . وظاهر أنه لم يخمن أنى مصرى ومسلم ثم استمر يقول « أتعلم يا مستر إنه لا مانع عندى أن أصير مسلما لأتزوج أربعة ولو أن هذا سيستلزم مصروفات كثيرة » . قلت — وأنا أحاوره — ولماذا تريد أربعة ؟ قال : الأولى يجب أن تكون نابغة تشتغل وتساعد فى المصروفات المنزلية والثانية تكون شاطرة تشتغل فى المنزل والثالثة تكون جميلة لمتعتى الخاصة . قلت : والرابعة قال : تبقى « احتياطى » لتسد خانة أى واحدة تعجز من الثلاث . ثم استمر يقول : إن الزواج بأكثر من واحدة كفيل بأن يجعل كل واحدة منهن تجتهد أن تبز ضرتها فى إرضاء زوجها . ثم قال حقا إن سيدنا سليمان كان شيخ الحكماء ولكن لا أدرى كيف يمكن شخص واحد أن يسوس ألف زوجة ! !

* * *

سأضرب لك مثلين لبيان نظرة الأمريكى إلى المال أولهما المستر ب أحد مديرى شركات البترول الكبرى . قابلته فى نيويورك فأخبرنى أنه يبلغ الرابعة والستين وسيترك الشركة فى العام المقبل ولذا يبحث عن وظيفة أخرى من الآن ليتولاها مع أن عنده ما يكفيه لعيشة رضية ولكنه لا يمكنه أن يستكين ولما سألنى عن رأيى فى نيويورك قلت له لماذا لا تهدءون قليلا وما هذا الجرى السريع ؟ قال لى : أظن أنك محق فإنى (هو) عندما كنت أذهب إلى إرلنده أو إيطاليا أجدهم قادرين على أن يقدموا لك فنجانا من القهوة أو شرابا آخر ويتكلمون معك ساعات ومع ذلك فهم يقومون بنفس القدر من العمل الذى تقوم به هنا بدون كل ذلك الجرى .

المثل الثانى : وصلت مدينة توكسفيل مساء يوم سبت وفى التو تلفنت المسز د . التى سوف ترتب زيارتى لوادى التنسى وقد نصحتنى بزيارة المتحف الذرى فى اليوم التالى (الأحد) على أن نتقابل يوم الاثنين بعد زيارتى للخزانات . وقد تكرمت فتناولت الغذاء معى فى ذلك اليوم ووجدتها تتقد ذكاء وواسعة الإطلاع ومحبة للموسيقى خصوصاً الكلاسيكية واعتذرت عن عدم إمكانها قبول دعوة العشاء فى اليوم السابق هى وزوجها قائلة إن زوجى لم يتعلم كثيراً بل فضّل أن ينزل إلى ميدان العمل مبكراً « على الطريقة الأمريكية » وله محل للسباكة ويكسب كثيراً ولكنه لا يحب المجتمعات ولا الدعوات لأنه يشعر بالنقص ولذا يكون حزيناً كل مرة ندعى إليها . ثم استطردت تقول إن هذا من الأسباب الهامة التى جعلتها تقبل وظيفة فى مؤسسة التنيسى إذ يهيىء لها ذلك مقابلة الناس وإشباع رغباتها فى « الحديث والثقافة » وقد وصلنى منها خطاب بعد عودتى تكرر لى القول كم تمتعت بالغذاء والحديث معى . والواقع إنى أنا يا سيدتى الذى تمتعت بمقابلتك والتحدث إليك .

مستر كلارك : كاتب فندق ليبرتى Liberty Hotel بميامى شخصية عجيبة يشبه الفأر فى استكانته وخضوعه لصاحبة الفندق . ولكنه كان خير دليل لى عما يحسن أن أشاهده فى ميامى وشاطئها نهاراً وليلا . وكنت طوال إقامتى بأمريكا أشترى جريدة نيويورك تيمز New York Times أينما كنت مهما غلا ثمنها لأنها الوحيدة التى كانت تنشر أخبار مصر تباعاً ويومياً تقريباً (ولم يكن فى الإمكان الحصول على جرائد مصرية) فلما لاحظ ذلك طلب منى أن أعطيها له بعد قراءتها — قلت حباً وكرامة . ولكنه أدهشنى بقوله « إنى لا أريد من الجريدة إلا الجزء الخاص بالمال » : الأسهم والسندات . فذهلت فهو لا يحمل عقلية ولا شكل من يصلحون للعلوم المالية العالية — قد يكون حلماً لذيذاً يداعبه وقد يصح : من يدرى : — على العموم حظ سعيد يا مستر كلارك إن كنت قد ساعدتك فى الخلاص من عذاب صاحبة الفندق .

* * *

مسز جاربودى Mrs. Gerbode'

شخصية محبوبة أخبرتنى سيدة فى سان فرنسيسكو إنها تريد أن تقابلنى لترتب محاضرة عن مصر وتطوراتها الثقافية والسياسية وقد أخذتنى فى اليوم التالى وفرجتنى على سان فرنسيسكو كأحسن دليل وبعد الفرجة تناولت الغذاء فى منزلهم حيث سعدت بمقابلة زوجها جراح القلب الشهير (إقرأ مقالى عن جراحة القلب) ولكن الذى أدهشنى أنها صممت على أن ترينى « حارات » سان فرنسيسكو الفقيرة (Slums) فرفضت رفضاً باتاً قائلا إنى لم آت كل هذا الطريق الطويل لأزور الأحياء الفقيرة فعندنا منها الكثير وسألتها لماذا تلح

هكذا فقالت إن بنكيراً هنديا ألح عليها فى العام الماضى وصمم أن تريه هذه الأحياء : حقاً وللناس فيما يعشقون مذاهب !!

وفى اليوم التالى حضرنا حفلة شاى فى الحديقة اليابانية وصُورنا عند تمثال بوذا وكانت الحفلة تكريماً للقنصل اليابانى الجديد وكان يقدم الشاى فتيات يابانيات جميلات يلبسن الكيمونو والصنادل .

وبعد الشاى ذهبنا مع الدكتور والسيدة وإبنهم إلى حفلة كوكتيل أقيمت للدكتور باترسن مدير جامعة ترسكيجى Trusckege' University الذى حضر لكاليفورنيا خصيصاً لجمع مليون ونصف دولار لمساعدة كليات الزنوج لتغطية مصاريفها (وقد جمع مبلغاً مماثلا فى العام الماضى) وهكذا ترى أن الأمريكان قد تغيرت نظرتهم كثيراً نحو الزنوج . حتى فى الجنوب تحول الريح لناحيتهم . ولا أنس مدير مصحة ليكسنجتون لمعالجة مدمنى المخدرات وتحمسه للزنوج وقوله إنهم أحسن مرضاه وإنهم دائماً يسعون لتحسين حالتهم بل ذكر لى أن مربيته وهو صغير كانت زنجية وكانت تحنو عليه كأم ولن ينساها أبدا .

وبهذه المناسبة كان الأستاذ الطبيب الذى أسميته كولونيل بلمب فى روتشستر يتكلم معى فى هذا الموضوع وسألنى هل تريد أن أزوج ابنتى لزنجى فأجبته إن ديننا يقول إن الناس أمام الله سواء وإن أكرمهم عند الله أتقاهم . أما عن الزواج فالأحسن أن يترك هذا — فى حدود خاصة — إلى الإبنة فهو مستقبلها وعلينا فقط النصيحة والإرشاد .

مرض السكر : هو أساساً مرض التعذية . غير أن صديقى الدكتور ا . ب . أحد كبار رجال الجمعية الطبية الأمريكية عند ما دعانى للغذاء معه

أكل من كل شيء وبكميات كبيرة جداً رغماً عن أنه يشكو من السكر المتقدم - ولكن الذى أدهشنى أنه بعد ثلاثة أسابيع قرأت له فى الجرائد مقالا عن السكر والتغذية يقول فيه « ليس من المتعة أو السهل أن تراعى التغذية
It is no pleasure to diet » .

نعم يا صديق المتعة كل المتعة هى فى عدم مراعاة قواعد التغذية !! -

وبمناسبة مرض السكر دعانى صديق الكابتن هـ . لتناول الطعام فى مطعم صينى بواشنجتن وكان معنا زوجته وحماته وكان الغذاء وافراً جداً لأن الكابتن معروف لصاحب المطعم ولكن هذه السيدة البالغة من العمر ثمانين عاما والتى تشكو السكر أكلت وشربت قدر ما أكلنا نحن الثلاث وتوقعت أن أدعى لإسعافها أثناء الليل ولكن الذى حصل أنها فى اليوم التالى كانت مرحة تصف لى رحلتها حول العالم منذ ستة شهور وزيارتها مدينة الاسكندرية !! : يظهر أن هناك سناً معينة إذا تجاوزها الشخص يئست منه الأمراض وتركته إلى شخص آخر يكون أكثر استجابة لها : والله أعلم .

* * *

وبمناسبة الأكل الصينى : هل تصدق أن ألذ أكلة صينية أكلتها من يد سيدة أمريكية فى سان دييجو هى حرم الدكتور . س وبعد الأكل أمتعتنا هى وزميلتها برقصات أهل هواى (رقصة الهولا) وكانتا لابستين لبس تلك الجزائر !! The Hula Dance

* * *

وبمناسبة سان دييجو صدقنى أن قلت لك إنى قابلت أجمل نساء أمريكا

وأشيكهن فى تلك المدينة فى المرقص الخيرى الذى أقيم فى لوكندة كورونادو Coronado Hotel . هن بلا شك أجمل الجميع وقد يكون ذلك بسبب اعتدال الطقس أو هواء المحيط الهادى أو لأنهن لا يشتغلن (عادة) أو لقربهن من المكسيك فجمعن بين الجمالين الأمريكى الساحر والمكسيكى الساخن وقد بقينا تلك الليلة ساهرين حتى السادسة صباحا حيث أفطرنا سويا .

الاقتصاد الامريكى

ثلاثمائة عام فى تقدم سريع جداً

الإنسان والآلة

The American and His Economy
Man or Machine

الزائر للولايات المتحدة الأمريكية يندهش من شيئين :

أولها — اتساع المملكة وغناها . ففيها كل شىء . الزيت والحبوب والقمح والذهب والقطن وبالجملة كل ما يمكن أن يكون تحت الأرض أو ما يمكن أن ينبت فوق سطح الأرض .

ثانيهما — الناس فهم خيرة العاملين فى الدنيا من كفاءة ودقة وأمانة ومثابرة على العمل . والعمل السريع المنتج ولذا نراهم يدفعون بلدهم دفعاً إلى التقدم السريع . وأنت حين تنظر إليهم وإلى أعمالهم لا يمكن أن تظن أنهم مجموعة مهاجرين بل تؤكد أنهم اختيروا اختياراً ليكونوا من مستوى عال جداً . ولا أظن التاريخ يسجل لأى أمة تقدما يضارع فى سرعته وفى عظمته تقدم الولايات المتحدة فى هذه الحقبة القصيرة من الزمن : إنى لا أدعى أنى أعرف الكثير من علم الاقتصاد لا كدارس ولا حتى كهاو . ولكنى ذهبت إلى هناك وأنا تحت تأثير الفكرة أن أمريكا تمثل الرأسمالية أحسن تمثيل (أو هل نقول أسوأ تمثيل !!) أى أن الغالبية مسخرة لمنفعة الأقلية) .

ولكن عندما جلت خلال البلاد — فى المراكز الصناعية وفى المزارع لم أجد الحال هكذا — بل كانت الصورة تكاد تكون العكس . وفى الحق

وجدت عظماء الملاك وملوك الصناعة يفقدون ما تحت أيديهم (وأرجلهم) بسرعة عظيمة بل قد تحولت مساكنهم الفخمة الضخمة إلى مستشفيات أو مدارس أو أماكن للعبادة . ولم يكن هـذا التغيير تغيرا (اشتراكيا) لأن الحكومة لم تكن لها يد فى أغلبية المشاريع الصناعية أو الزراعية .

وفى الماضى كان (كبار رجال الأعمال) هم الأشخاص الذين يمتلكون المال ويقدمونه لتمويل المشاريع المختلفة ومن ثم يديرونه حسب رغباتهم ولكن هـذا لا يرى الآن إلا فى المشاريع الصغيرة المحدودة . أما الأعمال الكبيرة الضخمة فقد أصبحت موزعة توزيعاً واسع النطاق بدرجة لا تجعل لأى شخص نفوذاً ما فى التوجيه أو التنفيذ بل إن التوجيـه أصبح أكثر ما يمكن فى أيدى العلماء الإخصائيين . وإذا أردت مثلا على ذلك فانى أذكر لك شركة التلغرافات والتليفونات فملاكها يبلغون أكثر من مليون شخص أو هيئة وغير مصرح لأحد أن يمتلك أكثر من $\frac{١}{٢٠}$ فى المائة من جملة رأس المال . أما مديرو البنوك فقد قيدتهم التشريعات الجديدة فلم يصبحوا — لا هم ولا حى المـال (وول ستريت) Wall Street — بقادرين على التلاعب بمصير البلاد المالى . بل إن أكثر الشركات تعمل الآن على توسيع مصانعها وتحسين إنتاجها بما توفره من أرباحها .

ونتج عن ذلك أن مدير الشركة أو الكلب الأعلى (Top Dog) كما يسمونه — وكان عهدنا به شخص متغطرس يضرب المائدة بيده ولا يطيق أن يعارضه أحد ويصدر الأوامر التى يجب أن تنفذ مهما كانت سخيفة — هذا الشخص أخذ فى الزوال تاركا مكانه للخبراء الفنيين — كما أن الاتجاه هو أن يعطى الموظف الأصغر أو ما يسمى Under Dog كل فرصة لتحسين حاله . وقد بدأ هذا الاتجاه من نحو نصف قرن والآن نرى الموظف يحصل على مرتب

أحسن عن ذى قبل ويشتغل ساعات أقل كما أنه يلقى من العناية الطبية ووقت الفراغ الشيء الكثير وتنال عائلته من التعليم ورفع مستواها الاجتماعى قدراً كبيراً .

ولم تأت هذه الثورة الاجتماعية نتيجة لإعادة توزيع ثروة ثابتة جامدة بل إعادة توزيع ثروة مندفعة نامية متحركة نحو التوسع والتقدم فكلما زادت كفاءة الشخص زاد إيراده كما أن الصناعة الأمريكية غزت حدوداً جديدة بأن زادت القوة الشرائية للطبقة التى كانت — فى ما سبق — فقيرة .

ويمكن إجمال هذه الثورة الصناعية فى كلمة واحـــدة (الآلة) The Machine فالأمريكى أصبح يستخدم آلات أكثر وآلات أحسن واخترع آلات لم تعرف من قبل . وفى الواقع كان هذا تطوراً لا بد منه إذ كيف يعقل أن تتصل أطراف هذه البلاد الشاسعة (بل هذه القارة الكبيرة) لو لم تكن هناك شبكة عظيمة من السكك الحديدية والتليفونات والتلغرافات والسيارات والطيارات . وكيف يمكن أن تزرع هذه المساحات الشاسعة والمزارع الكبيرة ومن أين لها بالأيدى العاملة الكافية — بل إن الآلة قد غيرت وجه الحياة اليومية — هذه السيارات وهذه الجرارات والثلاجات والغسالات وآلات تكييف الهواء وآلات الحصاد وآلات جنى القطن ثم الراديو والتليفيزيون ثم الكهرباء فى كل شيء فى الإنارة والمصاعد وحلب اللبن . وستعجب إذ تعلم أن ٧٨ ٪ من المزارع تستعمل الكهرباء فى شتى الأغراض .

إنى لا أحب الإحصائيات ولا أريد أن أتعبك فى تتبعها ولكنى سأذكر لك مثلا واحداً فقط لأدلك على ما أريد وهو مدى الثروة الاجتماعية . فى عام ١٩٠٠ كان لبس الجوارب الحريرية (للسيدات) علامة الترف ، فى تلك

السنة صنعت الولايات المتحدة ١٥٥ ألف زوج منها . ثم جاء عهد النيلون وهو يماثل الجوارب الحريرية — على الأقل — فنى سنة ١٩٤٩ صنعت وباعت الولايات المتحدة (٥٤٤ مليون زوج جوارب نيلون) أى بمعدل ٩ — ١٠ أزواج لكل بنت أو سيدة فوق الرابعة عشر من العمر .

وبمناسبة الكلام عن النيلون أظنك تعرف أنه ظهر فى السوق سنة ١٩٣٩ ومنذ ذلك الحين أخذت الخيوط الصناعية فى التقدم تقدما عظيما وتنوعت أشكالها وظهر إلى جانبها العديد من المنتجات الأخرى . هناك البنسلين واستربتوميسين والأوريوميسين وأمثالها . هناك المطاط الصناعى والتقدم الهائل فى الألكترونات : الراديو والتليفزيون . هناك الطائرات النفاثة والهليكوبتر . وهناك منتجات البترول التى دخلت كل صناعة . ثم هناك الطاقة الذرية وإمكانياتها فى تقدم البشر — ودعك من القنبلة الذرية فهذه ظاهرة عرضية لابد منها لتقدم العلم والبحث نفسه . فأنت ترى التيار يسير قدماً وسريعاً ولا يدرى أحد ما سوف نرى فى الغد من العجائب والغرائب .

* * *

الآلة : شر أم خير

Machine : Master or Slave

تعودنا فى السنوات الأخيرة أن نسمع الصيحات عن شرور الآلة وإنها ستحيل الإنسان إلى « عبد » Slave لها أو شخص ميكانيكى كل وظيفته أن يؤدى عملا آلياً مملا . ولكن الذى حصل كان عكس ذلك تماماً فهى لم تستعبد الإنسان بل خلصته من الأعمال المضنية المملة . ولو قدرت فوق ذلك أن الأجور عالية جداً فى أمريكا لوجدت أنه لم تكن هناك مندوحة عن الاستعانة

بالآلات لتأدية ولو جزء من العمل . وقد اصبحت القاعدة هى « إذا كان العمل ثقيلا جداً أو متكرراً فيكون هذا علامة لاستعمال (أو اختراع) آلة لتأدية هذا العمل » ويكفى أن تنظر إلى شخص يحمل الصناديق الملأى بالبضائع على ظهره أو أكياس القطن الزهر (كما فى مصر) ليرفعها إلى العربة وتقارن ذلك بالآلة الصغيرة التى ترفع هذه الأشياء بضغطك على الأزرار لتحكم معى أن تشغيل الآدميين فى ذلك جريمة حقاً — بل إنى أذكر أن صاحب أحد مصانع تجفيف الفاكهة فى سان جوسيه San José كان يقوم بعملية تحميل صناديق الفاكهة بنفسه لأنها لا تحتاج إلى أى مجهود .

فالآلة ليست السيدة أكثر من أن تقول أن غسالة الأطباق سيدة صاحبة البيت : كلا إنها الخادمة المطيعة الساكتة . وأذكر أنى عندما كنت أدعى إلى منازل أحد أصدقائى الأمريكيين كانت سيدة البيت ترينى — مفاخرة — ماعندها من آلات للكنس والطبخ وحفظ الأطعمة (شهوراً عديدة) وغسل الأطباق وتحطيم بقايا الطعام والعظام والكناسة ثم طردها إلى المجارى وكلها تجعل حياة السيدة (والسيد) سهلة محتملة وتجعلها لا تتردد أو لا تخشى دعوة الأصدقاء لتناول الطعام إذ أنها كانت سابقاً تفكر دائماً فى التعب والمجهود الذى ينتظرها عقب انفضاض السامر .

وإنى لأذكر أنى عندما اشتريت ضيعتى المتواضعة ورأيت ما يعانيه الإنسان والحيوان فى حرث الأرض عرضت أن أشترى جرارة فعارض ناظر الزراعة معارضة كاد يهدد فيها بالاستقالة قائلا « إن البهائم رجليها تعطى بركة للارض » ولكنى أصررت . وهو الآن من أشد المتحمسين للجرارات بعد أن شاهد نعمتها على المزرعة. ثم فكر أيها القارىء فى الثلاجات الكهربائية

ولزومها لحفظ الغذاء فى بلد حار مثل مصر وكيف أنها ضرورة لازمة لكل بيت إن أردنا صحة ووفراً .

الأبحـــاث

وقد تسأل ما الذى أوجد كل هذا التقدم فى شتى الميادين : شىء واحد : « الأبحاث » Research وحيثما ذهبت فى أى مصنع — فى أى معمل — تجد هناك مجموعة من العلماء يشتغلون بالبحث وراء أفكار جديدة وطرق جديدة وآلات جديدة أو تحسين القديم منها . وتصرف الملايين من الدولارات على هذه الأبحاث بكل سخاء وكثير من هذه الأبحاث لا يوصل أى نتيجة عملية أو تطبيقية بل إن واحداً من كل عشر من هذه الأبحاث هو الذى يظهر أنه ممكن تطبيقه .

ولا يمكننى أن أسرد لك كل ما شاهدته ولكن سأذكر لك طرفا مما لفت نظرى بصفه خاصة فى الكيمياء وفى الزراعة .

الكيمياء

يمكننا أن نسمى الوقت الذى نعيش فيه (عصر الكيمياء) ولن أذكر لك تقدم الكيمياء فى ابتكار شتى الأدوية والمستحضرات الصيدلية فقد ألمحت لك عنها فيما سبق كما أنى لن أذكر المخصبات الكيماوية والفسفور ومبيدات الحشرات ومئات الأمثلة الأخرى فلا بد أنك سمعت وقرأت الكثير عنها .

ولـكنى سأذكر لك شيئاً عن ذلك الذى أصبح أكثر مُكسب للمال وأعنى به (المنسوجات) وبعبارة أوضح (الخيوط الصناعية).

لقد زرت مصانع دى بونت De Pont فى وادى التنيسى وهو أول من اخترع واستعمل النيلون وقد أدهشنى أن أرى هذه الخيوط تصنع — هل أقول — من لا شىء!! وقد ظهرت كما سبق أن قلت فى سنة ١٩٣٩ ثم أخذت هذه المؤسسه فى ابتكار خيوط أخرى أطلق عليها أورلون Orlon ثم داكرون Dacron .

ثم بعد ذلك تبعتها المؤسسات الأخرى حتى أصبحت الآن الخيوط الصناعية تمثل ربع المبيعات فى كل صناعة المنسوجات .

وقد شاهدت الاكريلان Acrilan الذى تنتجه شركة مونسانتو Monsanto وقد تكلف المصنع بل المصنعين (لأنه يتم فى عمليتين) ملايين الملايين من الدولارات .

(١) ففى الدور الأول ، فى مدينة تكساس Texas City تكون العملية كيماوية صرفة وتتم بتحويل الهواء والنشادر الغاز العادى إلى سائل يسمى Acrylonitryle بإضافة بعض الكيماويات ثم تنقيتها .

(٢) وفى ديكاتور Decatur (Alabama) يتحول السائل بواسطة عمليات ميكانيكية متعددة إلى مسحوق أبيض ثم إلى سائل سميك يشبه العصير Syrup ثم إلى خيوط الأكريلان . وعند ما ترى النسيج النهائى بألوانه البديعة لا يمكن أن تظن أن هذا كله خرج من هواء ونوشادر ؟!!

الفـــــلاحة

لأجل أن نقدر أهمية عمل الأبحاث لتقدم الزراعة والفلاحة يجب أن تذكر أنه فى سنة ١٨٠٠ كان ١٠ من كل ١١ شخصاً فى الولايات المتحدة يشتغل بالزراعة أى كان كل واحد يهتم بتغذية نفسه . أما الآن فأصبح عدد المشتغلين بالزراعة لا يتعدى عشرة ملايين شخص — أى أن كل واحد منهم لا بد أن يغذى خمسة عشر شخصاً من مواطنيه ومعنى هذا أنه يجب زيادة إنتاج الحبوب من نفس المساحة وزيادة إنتاج البيض من نفس عدد الدجاج وزيادة إنتاج اللحوم .. الخ كما أنه يجب مقاومة شتى الأمراض والأوبئة التى تصيب الزرع والحيوان . وتغذية سكان الولايات المتحدة تكلف نحو ٣٣ بليون دولار سنوياً وهو مبلغ ضخم يستأهل أن يشمل كل أنواع البحوث المختلفة الأغراض فهناك البحوث على المخصبات لزيادة غلة الأرض وتحسين نوع النبات . وعلى الحشرات ومبيداتها والأمصال حتى يعيش النبات والحيوان مدة أطول وينمو أحسن وكانت نتيجة هذه الأبحاث مشجعة ومجزية جداً فزادت غلة الأرض والحيوان بمعدل ٤٣ — ٥٥ ٪ وباستعمال الآلات زاد الإنتاج ١٢٦ ٪ فلا عجب إن ترى هناك أكثر من ٧٠٠ محطة تجارب موزعة فى شتى أنحاء المملكة .

وأظهر ما تكون نتائج هذا التحسن فى الولايات الجنوبية وكانت الأرض قد أجهدت إجهاداً شديداً نتيجة لزراعة محصول واحد هو القطن (كما فى مصر) أو الدخان . أما الآن فقد أصبحت مصدراً وفيراً للغذاء من فاكهة وحبوب وطيور وحيوان ولذا زادت قيمة الأرض إلى ثلاثة أمثالها نتيجة لاستعمال الآلات بالإضافة إلى الطرق الحديثة الأخرى .

هذا فيما يختص بالأرض والنبات . أما الحيوان فكانت النتائج أعجب وأدهش فعلاوة على منع الأمراض ومحاربة الأوبئة فقد وجدت سلالات جديدة حسب مطالب (الزبائن) أو الاحتياجات ولا تظنن أن خلق سلالة جديدة بالشيء الهين بل هو يحتاج إلى سنين طويلة من التربية والخلط ثم اختيار الأنسب واستبعاد غيره . وقد رأيت طيوراً وحيوانات يمكن أن أسمى (خلائق جديدة) بكل معانى الكلمة : فمثلا هناك خنازير ضخمة بها نسبة عالية من اللحم ونسبة قليلة من الشحم . ثم هناك الفراريخ الفضية (Silver Cornish Chicken) وهى « معمولة » خاصة للشواء إذ أفخاذها ضخمة بشكل غير عادى . وهناك خراف تحمل الكثير من اللحم والصوف الجيد فى وقت واحد . أما الثيران والأبقار المدرة للبن بكميات هائلة فعليك أن تراها لتصدق . وفى سبيل ذلك تستعمل الهرمونات للحيوان والنبات ومضادات الميكروبات (Antibiotics) للمساعدة فى النمو ومقاومة الأمراض فضلا عن الفيتامينات وقد تكرم رجال معامل ليدرلى Lederle بنيويورك للأدوية بإعطائى بعض هذه المواد لتجربتها على الدواجن وهى مواد متبقية من تحضير الأوريوميسين الذى اختصت بتحضيره معامل ليدرلى . وتحتوى هذه المادة على فيتامين ب ١٢ .

وهكذا ترى فى كل مصنع وفى كل مكان معامل للأبحاث . فلو عرفت أن الأمريكى لا يصرف دولاراته إلا حيث يعرف أنها ستعود إليه أضعافاً مضاعفة فلا تعجب للملايين التى ينفقونها على أبحاثهم لا فى داخل الجامعات فقط (كما يفعل غيرهم) بل فى كل مكان .

الخلاصة

إن التقدم السريع العظيم فى الإقتصاد الامريكى ناشىء من استعمال الآلة وهذه بدورها تدين فى تقدمها للباحث المنتشرة فى كل مكان والآلة خادم مفيد لا سيد غشوم . فى الوقت الحاضر يخلى ملوك الصناعة مكانهم للمنشآت الصناعية الكبيرة (Corporations) . والاقتصاد الامريكى آخذ فى الزيادة (من حيث القيمة) وفى نفس الوقت اتسع توزيعه . والطبقة الوسطى (إن شئت أن تسميها كذلك) آخذة فى الزيادة والمشاركة فى الاقتصاد النامى المتحرك كما أن منسوب الحياة لم يكن أبداً أعلى مما هو عليه الآن .

الأمريكان

The Americans

من ساعة وصولى إلى مصر والجميع يسألنى مراراً وتكراراً ما رأيك فى الأمريكان وكيف وجدتهم . وسبب ذلك أننا تعودنا فى مصر أن نصف كل شىء غير عادى أو شاذ بأنه أمريكانى !! وأغلب الظن أننا كونا رأينا هذا من أن أمريكا بلد بعيد جداً عنا فمعلوماتنا عنها ليست مباشرة بل مستقاة من الأوربيين وهم ليسوا دائماً منصفين .

وقد ذكرت لك أنه ولو أن زيارتى للولايات المتحدة كانت بدعوة رسمية من حكومتها إلا أنه ترك لى الحرية التامة منذ المبدأ فى اختيار البلاد التى أزورها والناس الذين أرغب أن أقابلهم . وقد جبتها من أربعة أركانها وإن كنت طبعاً لم أزر كل مقاطعاتها . إلا أنى التقيت بمختلف البيئات مما يسمح لى بإعطاء فكرة صحيحة عنهم ولذا سأحاول أن أجيب عن بعض ما سئلت عنه .

(أولا) فى أمريكا تجد أمامك الفرصة لتصل إلى القمة : لتصبح مليونيراً أو سفيراً أو رئيساً للجمهورية حتى ولو ابتدأت من القاع . والشرط الوحيد لبلوغك هذا الارتفاع هو أن تعمل له بنفسك — ليس هناك من يساعدك — إنها مهمتك وعليك أن تقوم بها وتتمها بمجهودك الشخصى .

(ثانياً) لا توجد هناك « طبقات » قط لا أرستقراطية ولا غيرها . حقيقة إن بعض المهاجرين الأوائل حاولوا خلق طبقة ارستقراطية وكونوا لهم مدارس خاصة ونواد خاصة وأحياء خاصة ولكن كل هذا مات نتيجة

للمعارضة الشديدة — معارضة الأغلبية الساحقة . واليوم الامتياز الوحيد الذى يمكنك الحصول عليه ويميز البعض بالنسبة للبعض الآخر هو « النجاح » Success وهذا بدوره يقاس بما يمكنك كسبه من « المال » أو « تصل إليه من مركز على أو أدنى » فهل تعجب إذن عندما ترى كل فرد يشتغل ويشتغل ليزيد من مقدار ما يكسبه حتى يمتاز على غيره . ومن منا لايحب أن يمتاز ؟ . ثم إن المال هو الطريق الوحيد للحصول على كل هذه المتع المعروضة فى الحوانيت للاستعمال فى المكاتب والمنازل وكذلك لرفع مستوى الحياة المادية والثقافية لك ولعائلتك .

والبعض يعيب على الأمريكى سعيه لجمع المال ولكن قل لى بالله أين هذا الشخص أو الأشخاص الذين لا يحبون المال . فى أوروبا (وغيرها) نرى الارستقراط والهيئات الحاكمة تستنزف أموال الملايين بالضغط والضرائب ، أما فى أمريكا فلا توجد طبقة ارستقراطية تمتص الدماء وحتى المليونير تراه يستمر فى العمل ليظهر لمواطنيه أنه لايزال قادراً على الإنتاج .

وهناك حقيقة لمستها وهى أن الأمريكى لا يحكم عليك بمقدار ما تملك من مال أو مركز عال بل بالكيفية التى حصلت بها على هذا المال وذلك المركز ، فمثلا وجدتهم لا يوافقون على جمع المال لغرض تعليمى (وهو غرض شريف) عن طريق عمل اليانصيب بل يفضلون أن يكون ذلك عن طريق التبرعات .

قارن كل هذا بما يجرى فى أوروبا : فى فرنسا مثلا ، هناك الدوطة وكلما كانت أكبر كلما زاد إغراؤها بل إن « حضرة العريس » قد يكسب مرتبه من تشغيل هذه الدوطة فى تجارة أو صناعة . أما فى الولايات المتحدة فتجد أنه

مهما كانت ثروة والدى الزوجة . عظيمة فالعادة أن الزوجين الشابين يعيشان فى حدود ما يكسبه الزوج إذ هو يشعر بالمهانة إن اعتمد على ثروة حماه .

وهناك ظاهرة أخرى رائعة تلك هى أن الأمريكى عند ما يحصل على قدر من المال — كبر أو صغر — فليس المهم عنده أن يحتفظ به بل أغلب الظن أنه يسعى للانتفاع به بطريقة أو بأخرى . وإذا فقد الامريكى كل ماله فلا يشعر أنه فقد جزءا من نفسه ويروح يصخب هنا وهناك ويشكو لكل إنسان بل العكس هو الذى يحصل إذ يجتهد الأمريكى أن يخفى كارثته حتى لا تفسر على أنه لم يفلح فى عمله. وبدلا من الصخب يبدأ من جديد لاصلاح حاله وتكوين ثروة جديدة مستفيدا بما يكون قد ارتكبه من أخطاء بينما الأوروبى فى ظروف مماثلة يثير العالم أجمع بل يسر كل السرور إن أمكنه الحصول على المال بدون أى تعب . وقد كتبت صحيفة باريسية عقب الأزمة المالية التى حصلت عام ١٩٣٠ تقول « لو حصلت هذه الأزمة فى فرنسا لرأينا كارثة وذعرا ومصائب وانتحارات ومظاهرات فى الشوارع واضرابات وأزمة وزارية كل ذلك فى يوم واحد .

أما فى أمريكا فكل شىء هادىء وضحايا الموقعة جالسون يحصون خسائرهم ويستجمعون أفكارهم ويرتبون مستقبلهم — ثم مضت الصحيفة تقول « حقاً إن فرنسا وأمريكا عالمين مختلفين فى حضارتيهما وفى طرق تفكيرهما » .

كل هذا حق ولكن لا بد لى أن أعترض على استمرار الامريكى فى جمع المال حتى بعد وصوله إلى سن متقدمة . إن إغراء المال شديد . هذا حق . ولكن للجسم وللروح مطالب لا بد من الاستجابة إليها والاستجابة إليها فى

الوقت المناسب . أما إذا ظننا أننا يمكن تأجيل هذه الاستجابة حتى تنتهى — وهى لن تنتهى — فأغلب الظن انه لن تتاح لناهذه الفرصة للراحة والاستمتاع أو سوف نجد أنفسنا — عند ما تتاح — أننا أصبحنا فى حالة صحية لا تسمح بأى استمتاع . أنظر للقوم فى نيويورك — يخيل إليك وأنت تراهم فى المكاتب أو الشوارع أنهم جميعاً فى سباق سريع مريع .

(ثالثا) وجدت الأمريكى مستعداً دائماً ليريك عمله ويشرح لك دقائقه ويدلك على كيفية تنفيذه — وقد تظنه مفاخراً — وماذا فى هذا — غير أنه يحب منك بل ويلح عليك أن تقلده وتقوم بنفس العمل . وقد نعد هذا منه سذاجة لو قسناه بالمعايير الأوروبية ولكنها فى حقيقة الأمر علامة الثقة بالنفس .

(رابعا) الامريكى شخص طيب القلب سهل التعارف إليه كما هو الحال عندنا فى مصر وهو عندما يلقاك يصاحبك ويفضى لك بمكنوناته من مسرات ومن متاعب . وقد جعلنى هذا الخلق الرضى أستمتع بكل دقيقة قضيتها فى الولايات المتحدة وكونت لى صداقات كثيرة وإنى لمسرور أنى أتلقى منهم خطابات رقيقة عزيزة منذ عودتى من أمريكا .

(خامسا) لقد تغيرت نظرة الأمريكى إلى البلدان الأخرى والأمم الأخرى تغيراً حاسماً فى السنوات الأخيرة . وكان مبدأ العزلة هو الذى تدين به الغالبية من السكان وأغلب الظن أن هذا كان سببه أنهم أصلا من المهاجرين الذين تركوا بلادهم نتيجة لعدم الرضا عن حالتهم المالية أو الدينية أو السياسية أو الاجتماعية فلم يكن لديهم أى ميل لتذكيرهم بالدنيا القديمة ومتاعبها . يضاف إلى ذلك أنهم أصبحوا الآن فى بلاد تكتفى نفسها بنفسها وتغنى أهلها

فهم لا يطلبون إلا أن يتركوا وشأنهم ولا يريدون أن يشتركوا فى هذه المشاكل التى لا نهاية لها ولا حتى يريدون أن تذكر لهم .

ولكنهم بعد أن اشتركوا فى حربين عالميتين أخذ الجندى الأمريكى والمواطن الامريكى يشعر أن العالم « وحدة » لا تتجزأ فاذا أردت أن تعيش « حراً » فيجب أن يكون غيرك أيضاً « حراً » ثم وجدوا أن السياحة وتبادل الآراء ممتع حقاً ولذا أصبح أنصار العزلة قلة واضحة بل أن « البندول » انتقل إلى الجانب الآخر بصـــورة واضحة . وإنى هنا لا أتكلم عن الضمان المتبادل أو النقطة الرابعة أو ما إلى ذلك فهذا ليس مكان بحثها فضلا عن أنها سياسات رسمية حكومية . بل إنى أتكلم عما لمسته شخصياً أثناء رحلتى . فمثلا فى اليوم الثانى من وصولى إلى واشنجتون دعيت لزيارة المركز الدولى (International Center) وهناك استقبلت استقبالا وديا للغاية وتعرفت إلى القائمين بأمره وقدمونى بدورهم إلى الضيوف وهم « قادة » من مختلف بلاد أوروبا وبعض بلدان آسيا فكانت فرصة طيبة للتعرف بهؤلاء السادة الأفذاذ وتكلم كل منا عن بلده ومشاكله وكان ما سرنى أكثر من غيره أن رئيس الاجتماع وهو أمريكى قال وكرر أن الناس — فى كل بقاع العالم — كلهم سواء وأننا — أى الزوار — سوف نلحظ فى خلال رحلتنا أن هناك تبايناً بين بعض سكان الولايات وبعضها الآخر أكثر من التباين الموجود بين الامريكان كمجموعة وغيرهم من الأمم .

وأنت ترى معى أن هذه روح طيبة بل طيبة جداً إذ ينشأ عنها تفاهم وهذا التفاهم قمين بأن ينتج سلاما عالميا .

* * *

ولا أدل على الروح الجديدة لدى الأمريكان وتركهم دين العزلة ـ من أنى كنت أطالب أينما حللت أن أتكلم عن مصر وأشرح بواعث الانقلاب الذى قمنا به ونوايا العهد الجديد ومشاريعه . خطبت فى نيويورك وواشنجتون وروتشستر وسان فرنسيسكو . وفى سان دييجو لم يكتف أبطال البحرية فى هذه المدينة الأخيرة بالاستماع والمناقشة بل طلبوا منى أن أبعث بتحياتهم الحارة إلى الجنرال نجيب وأطيب تمنياتهم فى نجاحه هو والشعب المصرى فى عهده الجديد (وقد قمت مسروراً بتبليغ الرسالة فى حينها) .

(سادساً) أما كرم الضيافة الأمريكى فحدث عنه ولا حرج وأنت ولا شك لتعجب عند ما تجد أحد كبار رجال الأعمال يترك مهامه ليستضيفك ويكرمك ويتحدث معك عن كل المواضيع . بل إن كل من تتعرف إليه يدعوك لشراب أو طعام حتى لو كنت فى نيويورك ؟ وإنى أنتهز هذه الفرصة لأشكرهم جميعاً لا لكرمهم فقط (الذى يذكرنا بكرم العرب الأمجاد) بل للفرصة العظيمة التى أتاحها لى هؤلاء الأصدقاء لأدرس الحياة الامريكية والخلق الأمريكى .

كلمة ختامية

عند ما كنت أزور معهد الأمراض المعدية فى مدينة أطلانتا (بولاية جورجيا) عرضوا عليّ وظيفة بحاثة فى البكتريولوجيا فشكرتهم شكراً جزيلا ولكنى اعتذرت عن قبولها . وفى مرة أخرى كنا فى اجتماع خاص وسئلت هل أفضل العيش فى انجلترا أو فى أمريكا ولكنى أجبت إنى أفضل زيارة انجلترا وزيارة أمريكا ولكنى أحب أن أعيش فى مصر .

وتسألنى يا قارئى العزيز لماذا اعتذرت عن قبول الوظيفة ولماذا أعطيت ذلك الجواب لأصدقائى وصدقنى أنى لا أعرف الرد على وجه التحقيق : قد تكون هى هذه البلاد (مصر) ومناخها المعتدل — قد تكون العائلة — وقد يكون السبب أن مصر الحبيبة أسعدتنى أدبياً ومادياً أو قد يكون أنى قد عشت هنا مدة طويلة لاتسمح لى بعمل أى تغيير الآن أو قد تكون كل هاته العوامل مجتمعة . صدقنى لايمكننى أن أخبرك على وجه الدقة . ولكن تعزيتى هى أن أصدقائى الامريكان الذين سبق أن خدموا فى مصر (وأولادهم الصغار أكثر منهم) كلهم يتوقون للعودة إلى مصر والعيش فيها مرة أخرى .

فهرس

المطبعة العالمية ١٦ ش ضريح سعد بمصر
تليفون ٢٩٣١٧

لماذا ألفت هذا الكتاب ؟

« قضيت فى زيارتى للولايات المتحدة الامريكية أربعة أشهر ، جبت خلالها الديار من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها فى رحلة قطعت فيها أكثر من ثلاثين ألف ميل .

وقد قابلت خلال ذلك مختلف طبقات الشعب ، من الطبيب البارع الى الجندى الباسل والمهندس النابغ والصانع الماهر والزارع الفالح والعامل المجد .. وشاهدت المصانع الهائلة والمزارع النموذجية ودور العلم ومعاهد الاصلاح والتقويم . كما صاحبت الامريكى فى مختلف أوجه نشاطه العلمى والصناعى والاجتماعى والثقافى . وشاركته فى جده وفى لهوه . فى حياته العملية اليومية وفى حياته العائلية المنزلية . وركبت معه السيارة والقطار والباخرة والطائرة والهيلوكوبتر .. حتى الغواصة مخرنا بها المحيط .

وتراءى لى ان جماع هذه المشاهدات حرى بأن تدون فى كتاب ، خاصة وانه اتجهنا فى الحقبة الاخيرة الى ارسال رجالنا وشبابنا لتلك البلاد للدرس والدراسة ، كما أن الامريكان عرفوا — ولو مؤخرا — اهمية التفاهم المتبادل بيننا وبينهم .

وليس الغرض من كتابى هذا أن يكون دليلا سياحيا ، ولا ان يكون دراسة مستفيضة للمشاكل التى تواجههم هناك — وتواجهنا هنا — بل كل غرضى من تسجيل مشاهداتى — ما أعجبنى ومالم يعجبنى — ان تكون مرشدا لمن يريد زيارة تلك البلاد . فان تحقق هذا الغرض فسيكون ذلك مدعاة لغبطتى وارتياحى ..

Printed by
MONDIALE Press
16, Dareeh Saad Street, Cairo